تاريخ

ملوك المسلمين

منذ شروق شمس الرسالة النبوية الى
الجيل الحاضر

منسوق
بقلم الفقير اليه تعالى
نخلة قلفاط

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة
في ٢٣ حزيران سنة ١٣٠٧ نومرو ٣٣

يباع في مكتبة المطبعة الادبية

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٩١م و١٣٠٨ه

مُقدمة

انبعثت انوار شموس الخطة الاولى المباركة في الحجاز فانارت الاقطار بنور الاسلامية واخترقت سواطع القرآن الشريف اواسط ادلهمام الجهل فجلتها لامعة كلمعان الغزالة البهية البس الممالك شعار بنيان التمدن والعدالة وخطّ على صفحات الدوران « لا جهالة بعد الرسالة » ولهذا كان من خواص الاسلامية الميل الى العلا فامتدت الى كل صقع من اصقاع هذا الملا

نعم ان من دقائق انوار هذا القرآن الشريف منذ بداية ظهوره بالنور الالهي في الاسلام بثّ منافع خواصهِ الظاهرة لدى العيان فانتج توسيع حدود الشوكة وتنفيذ احكام القدرة ونشر فضائل العدالة في البشر فرسم للاعاظم خطة الاقتدار الاساسي السياسي وعلم العالم منذ تجليه الاقدام على الخير فاستناروا بنوره منذ ذلك الحين

وفضلاً عن ذلك فقد سهل امتداد وانتشار النور الاسلامي كثيراً فتقوى بهِ المسلمون وعلى الخصوص في زمن الخلافات القوية الشكيمة كخلافة الامويين والعباسيين والعثمانيين وقد عرف

ان تلك الاعصر كانت تفيض بغزير معارف المسلمين فتسري الى الاطراف بسريان قوتهم وامتداد سطوتهم

وعليهِ فمن اللازم اللاذب على كل فرد عثماني مطالعة التاريخ خصوصاً التاريخ العثماني الذي لهُ بهِ اكبر علاقة جنسية وادبية وعلمية ودينية ومن الضروري ايضاً تدريسهُ في المدارس لارضاع الاحداث لبان معرفة احوال اسلافهم ومن تقدمهم في الاعصر السالفة من مشاهير الخلفاء وجماهير الامة وفطاحل الاداب وبواسل القتال ولا يغيب ما دون ذلك من الفوائد العظيمة العميمة فلهذا يكون هذا الكتاب المختصر الجامع بالتسلسل كل ترقيات الامة الاسلامية وحوادث ملوكها وما يتعلق بذلك نافعاً للخاص والعام مفيداً للكبير والصغير

ونعم صباح اشرقت فيهِ شموس محيا عظمة مولانا الخليفة الحالي على افاق العرش العثماني السعيد فكان صباحاً مباركاً حيي بهِ طليعة المعارف والعلوم فاتسع نطاقها اتساعاً سريعاً وامتدت الى كل قطر وناح فتسابق العلماء والادباء والمتفنون والمتشرعون الى التاليف والتصانيف الكثيرة حتى باقل من اربع عشرة سنة ملئت الاقطار العثمانية المحروسة من الكتب التاريخية والطبية والهندسية والنظامية والفلسفية وغيرها مما لا يخفى على كل

عثماني فضلاً عن انهُ لم يبقَ حتى اليوم ناحية من نواحي المملكة الا وفتحت فيها المدارس الملكية والرشدية والحربية الكلية تحت عناية الحكومة ونفقتها ففاضتْ ينابيع المعارف وكثرت رجالهُ ولا تزال تكثر وينمو لكثرتها حتى والامل منهُ تعالى بوقت قريب الدنو تبلغ الامة العثمانية الدرجة القصوى تحت ظل ظليل خليفتها الاعظم غيث الرحمة والعدالة وغوث الاداب والعلوم السلطان ابن السلطان السلطان

عبد الحميد خان

ايد الله سرير دولتهِ مدى الدوران وحفظ سلطة شوكتهِ بعنايته الالهية الى اخر الازمان

الباب الاول

منذ ظهور الاسلام الى خلافة ابي بكر

الفصل الاول

ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

جاء حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الدنيا في مكة المشرفة ليلة الاثنين في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٥٦٩ ميلادية فاسم ابيه عبدالله واسم امه آمنة وقبل ان تلده امه توفي ابوه وعليه فتكون قد اشرقت انواره الى الوجود يتيماً من الاب . وقد سلمته امه الى السيدة حليمة فارضعته . و بينما كان في السادسة من العمر توفيت ايضاً والدته فبقي عند جده عبد المطلب . وحال وصوله الى الثامنة مات جده عبد المطلب فذهب الى بيت عمه ابي طالب

وفي الثالثة عشرة بينما كان ذاهباً الى الشام مع عمه ابي طالب مرّاً بمحلة البصرى فنظره بحيرا الراهب فقال لقومه انه اي حضرة النبي سيكون نبي اخر زمان .

ولما كان في الثالثة والعشرين سار ايضاً الى الشام وعند عودته منها تزوج بالسيدة خديجة . وما بلغ الخامسة والعشرين حتى اكتملت فيه كل الصفات فكان ذا اخلاق حميدة واطوار وسجايا ممتازة وسيرة مترفعة ولهذا كان ينادى له « محمد الامين »

بعثة النبي

ولما بلغ الاربعين من العمر جاءته النبوة يعني انه اقتبل الامر من الله سبحانه وتعالى بواسطة جبرائيل عليه السلام ليدعو الناس الى الاسلام واول من اعتنق الاسلامية في هذه الدنيا حضرة السيدة خديجة وابو بكر الصديق والامام علي ابن ابي طالب (رضي الله عنهم) وبقي النبي صلى الله عليه وسلم مدة ثلاث سنين يدعو الناس سرًّا الى الدين ومن ثم جاءه الامر الالهي بالدعوة علنًا

وكان اهالي مكة يهزأون منه . وعند اقبال اعظم البواسل الى الايمان مثل حضرة حمزة وحضرة عمر اشتد غضب المشركين ونما فيهم البغض والحقد ولهذا سار قسم من الصحابة الذين اعتنقوا الاسلامية الى ملك الحبشة والقسم الاخر الى المدينة المنورة

الهجرة المحمدية

جمع ابو جهل الخائن المشركين وتراس فيهم وشوقهم الى قتل النبي . فنذروا النذر وجاءوا فاحتاطوا بيت النبي صلى الله عليه وسلم فنهض النبي تاركًا الامام عليًا في فراشه وتقدم من المشركين ورمى في وجوههم قبضة من التراب وخرج من الباب وجاء بيت ابي بكر وسارا معًا الى المدينة المنورة . ومع ان ابا جهل ومن معه تاثروهما فلم يهتدوا اليهما

فهوذا النبي قد خرج من مكة الى المدينة هاجرًا فاعتبر التاريخ الاسلامي منذ ذلك اليوم

وابتنى النبي في محل يدعى قبا مسجدًا وهو المسجد الاول في المسلمين ومن بعد ذلك دخل المدينة ونزل ضيفًا على ابي ايوب خالد وهناك ايضًا ابتنى مسجدًا شريفًا . وعليه فقد اصبحت المدينة المنورة مركزًا للمسلمين . ومنذ ذلك اليوم اخذت الاسلامية بالترقي والتوسع

فتوحات النبي

ومن بعد هجرة النبي عليه السلام الى المدينة وقع بين المسلمين والمشركين عدة وقائع مشهورة . اهمها

يوم بدر . يوم احد . يوم الخندق . يوم موته . فتح مكة

وفي الحروب المذكورة كان النصر دائماً يرافق المسلمين ومن جرى ذلك وقع المشركون باليأس والضيق . وكان فتح مكة من اعظم فتوحات ذاك الزمان . تم في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة للهجرة

انتقال النبي صلى الله عليه وسلم

وبعد فتح مكة بسنتين انتقل النبي عليه السلام اي في السنة العاشرة للهجرة في المدينة المنورة واودع جسده الشريف في المدينة . توفي وهو في الثالثة والستين

وقد بلغ عدد المسلمين الى ذلك اليوم اكثر من مليون وكان للاسلامية مركزين اي قاعدتين وهما مكة والمدينة . وحدود ما ملكته . شرقاً نجد وغرباً البحر الاحمر . وجنوباً اليمن وشمالاً سوريا

القرآن الشريف

القرآن الشريف هو مجموع الوحي الالهي الذي انزل آية فاية على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في مدة ٢٣ سنة من قبل الله سبحانه وتعالى وهو اي القران الكريم جامع لكل معاملات الدنيا والاخرة تماماً . والاية الاولى التي انزلت على النبي عليه السلام منه هي (اقرأ باسم ربك الذي . . . . الخ)

ومن الواضح الجلي انه قانون الاسلامية الابدي . وبقاوه . موكد الى

اخر الازمان لانه كلام الله عزّ وجل وقد انزل فيه كل نوع من الحقوق المدنية والمعاملات الدينية . وفي بقائه حفظ ودوام الاسلامية . ولم يكن في نظر المسلمين كتاب مقدس اعظم منه قط

خلاصة

ولد النبي في مكة . جاءته النبوة في الاربعين . ثلاث سنين دعا الناس الى الاسلامية سرًّا ثم دعاهم علنًا . دخل المدينة المنورة وافني المشركين . ابتداء التاريخ الاسلامي منذ الهجرة . فتحت مكة في السنة الثامنة للهجرة . انتقل في السنة العاشرة ودفن في المدينة . نزل القرآن الشريف في مدة ٢٣ سنة

الفصل الثاني

خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه)

ومن بعد انتقال النبي عليه السلام استقرت الخلافة على ابي بكر يعني انهُ صار خليفة النبي عليه السلام على المسلمين وذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة وعند توليه لفظ فيهم الكلام الاتي

يا ايها الناس

هانذا الان قد صرت عليكم اميرًا ومتوليًا مع اني لا اصلح لكم فاذا عملت جيدًا فاعضدوني عليهِ او رديئًا فاهدوني الى طريق الحق لان بالصدق الامانة و بالكذب الخيانة . اه

ولدى ارتحال النبي عليه السلام كان الايمان في البعض ضعيفًا فمنهم من رجع عن الدين ومنهم من اعترض على رسالة النبي . وعليه فقد اجتمع قوم منهم الى رؤسائهم وعملوا على الفتن والفساد . فبعث ابو بكر عليهم بالجند فبددهم وقد ادعى النبوة في اليمن مسيلمة الكذاب وفي اطراف

نجران اسود العنيسي فاهلكا

ولما كان المقصد توسيع الاسلامية ارسلت العساكر تحت قيادة خالد بن الوليد في طريق بغداد وايضاً تحت قيادة عمرو بن العاص ويزيد بن سفيان. وحينئذٍ ادخلت اطراف سوريا الى الحلقة الاسلامية

وكان الجند الذي بعث الى اطراف سوريا يبلغ الثلاثين الفاً فبدد نحوًا من مائة وعشرين الف جندي من جنود الامبراطورية الرومانية التي كانت تملك هناك اوانئذٍ

واول ما فتح في سوريا مدينة البصرى واخيرًا فتحت الشام بهمة اثنين من بواسل المسلمين وهما خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

وفي الوقت الذي فتحت فيهِ الشام توفى الله ابا بكر الصديق في المدينة المنورة وذلك في ٢٢ جمادى الاخرة سنة ١٣ للهجرة وكان في مرضهِ اقام وكيلاً عنهُ الامام عمر بن الخطاب احد الصحابة

وكان ابو بكر (رضي الله عنه) يهلك اموالهُ بغير حساب في سبيل نجاح الاسلامية وكان يتعيش الى حين ارتحالهِ مع جاههِ وعلو منزلته كل يوم بدرهمين. وجمعت تركتهُ بعد وفاتهِ فبلغت جملاً وثوبًا واحدًا وعبدًا لا غير

ولما كان القرآن الشريف لم يكتب في زمن النبي بل كان الصحابة يحفظونهُ غيبًا جمع في زمن ابي بكر الى نسخة واحدة. وكانت مدة خلافته سنتين واشهرًا

خلاصة

خلف ابو بكر النبي (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين. كبح الانبياء الكذبة والذين رجعوا عن الدين. فتحت دمشق في زمانهِ. خلافتهُ سنتين واشهرًا

انفق جميع امواله في خدمة المسلمين

الفصل الثالث

خلافة عمر رضي الله عنه

ومن بعد وفاة ابي بكر عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبلغ في العدالة الدرجة القصوى

وفي زمانه زحفت الجيوش التي في سوريا على حمص وحماه و بعلبك وأرسل جيش اخر تحت قيادة سعد ابن ابي وقاص الى بلاد العجم فسحق جيوشها . واخذ في هذه الحرب التي تسمى عندهم حرب (درفش كاو يان) العلم الاكبر والمجوهرات الموجودة هناك وافتتحت المدائن قاعدة الاعجام بعد ان حوصرت سبعة اشهر

وبينما كان الجيش في ناحية العجم محرزًا النصر والظفر كان الجيش الاخر الذي في سوريا تحت قيادة ابي عبيدة ابن الجراح قد زحف على القدس الشريف وحاصرها

ودعا اهالي القدس الامام عمر فجاءهم اليهم بالذات واعلن بينهم الامان والمحافظة على حياة كل فردٍ منهم فانقادوا ودخلوا في حوزة المسلمين

وتم افتتاح القدس في السنة السادسة عشرة . وابتني في زمن عمر ايضًا مدينتا الكوفة والبصرة

وفي السنة التاسعة عشرة زحف عمر بن العاص وزبير بن العوام وهما على جيش من المسلمين على مصر واحتاطا بمدينة الاسكندرية . وبعد محاصرتها نحوًا من سبعة اشهر افتتحت وبافتتاحها وقعت كل البلاد المصرية في قبضة المسلمين

قيل بنيت القاهرة في ذاك الزمان وقيل في ايام الفاطميين

وفي السنة الحادية والعشرين وقعت محاربة عظيمة مع العجم دام الانتصار فيها للمسلمين فمما تقدم يظهر ان الجيش الاسلامي امتد كثيراً في الشرق حتى بلغ تركستان اي بلاد الترك وكذلك جيش الغرب فانه استولى على نواحي تونس وطرابلس الغرب

انتقال عمر

واستشهد عمر رضي الله عنه قتيلاً بخنجر اللعين ابي لوءلوء فيروز وبعد ان طعنه به بثلاثة ايام توفاه الله . وقد اودع شخصه الكريم بالقرب من قبر النبي

وكانت خلافته احدى عشرة سنة في اثنائها توسعت الاسلامية كثيراً ومع ان الغنائم والاموال كانت ترسل اليه من كل طرف كان رعاية لحقوق العباد يلبس خرقة ولا يحب التلذذ و التنعم وقد بلغ بالعدالة الدرجة القصوى التي لا يمكن ان يترفع فوقها احد قط

وكان عندما عهد اليه بالخلافة قد خاطب الناس مظهراً مسلك عدالته حيث قال لهم « يا ايها الناس . من كان منكم صاحب حق فهو قوي عندي وان كان اضعفكم ومن لم يكن ذا حق فهو ضعيف عندي وان كان اقواكم»

وقد وصلت الاسلامية في زمانه الى دور الكمال . وفتوحاته هي في الدرجة التي تحط الغبطة لاعظم الملوك

خلاصة

حضرة عمر هو الخليفة الثاني . فتح في زمانه القدس والمدائن ومصر ونواحي تونس وطرابلس الغرب . اخذ من العجم العلم المسمى «درفش كاويان» وقعت وقعة عظيمة في نهاوند دام بها النصر للمسلمين . استشهد عمر من اللعين ابي لوءلوء . مدة خلافته ١١ سنة . كان كثير العدل والانصاف

الفصل الرابع

خلافة عثمان رضي الله عنه

ومن بعد عمر بويع بالخلافة عثمان وذلك في السنة الرابعة والعشرين للهجرة. وكان في تلك الازمان قد كثر الاختلاف بين المسلمين . فمن بعد سنة عزل عن مصر عمر بن العاص ونصب في مكانه سعد ابن ابي سرح اخو الخليفة بالرضاع. وكذلك فصل عن العراق سعد ابن ابي وقاص ونصب في مكانه عقبة ابن ابي معيطه اخو الخليفة من امه

وهاجم الرومان الاسكندرية فبعث بالجند وعليه عمر بن العاص ففتح تلك النواحي ثانية

وفي سبيطلة من افريقيا تبدد معسكر الامبراطورية الرومانية ايضاً وكذلك ارسل معاوية ابن ابى سفيان والي الشام اسطولاً على قبرص فهاجمها ومن ثم ضرب عليها الجزية وما عدا ذلك فقد خرج من الشام ايضاً جيش أخر وحاصر القسطنطينية

واتصل جماعات المسلمين بجهات وان وارضروم ودوخوا تلك الاطراف وكان أرسل جيش على العجم تحت قيادة عبدالله بن عامر بن كريز ابن خال الخليفة فاستولى على كل تلك الجهات

ودخلت الفتن بين المسلمين فكانت اكثر من الف فتنة متنوعة ولم يتسنَّ له تسكين واحدة منها

شهادة عثمان رضي الله عنه

اتسعت دائرة الفساد حتى كان من نتيجتها اخيرًا استشهاد عثمان استشهد وهو يقرأ القرآن الشريف. وقد كتب في زمانه ثلاث نسخ منه ارسلت الى الاطراف وكانت وفاته في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية

خلاصة

عثمان ثالث خليفة للمسلمين . وقع في زمانه الاختلاف بين المسلمين . بُدد في افريقيا جيش عظيم للامبراطورية الرومانية . استظهرت في العجم الجيوش الاسلامية . هوجمت قبرس وحوصرت القسطنطينية . استشهد عثمان من نتيجة اتساع الفساد . مدته ١١ سنة

الفصل الثامن

خلافة الامام علي رضي الله عنه

ومن بعد وفاة عثمان قبض على ازمة الخلافة علي ابن ابي طالب ابن عم النبي وذلك في سنة ٠٣٥ . ولم يكن اولاً يرضى الخلافة الا انه قبلها اخيراً بطلب والحاح بعض الصحابة . ولكن اكثر الذين اختصوا بعثمان ووصل اليهم جميله ابوا مبايعته

ومن ثم اثير على الامام علي الفتن بدعوى ان المبايعة لورثة عثمان وسارت فرقة من مكة الى البصرة لمحاربة الامام علي . فارسل الامام اليهم رسالة ينصح لهم كثيراً ان يرجعوا فلم يسمعوا له . وفي النهاية التحم الجيشان بالقرب من الكوفة واستشهد طلحة والزبير . ولم يقدر ان يثبت الباقون امام شجاعة علي فتقهقروا . و يقال لهذه الوقعة « وقعة الجمل »

ووقعة الجمل هذه فتحت ابواب ميادين باقي الوقائع المأسوف على وقوعها في المسلمين ومن بعد وقعة الجمل بعث علي بالرسل الى سائر الولاة ليبايعوه فبايعوه الا معاوية والي الشام فلم يبايعه فاتفق مع والي مصر وزحفا سوية على الامام . فالتحمت الجيوش في مكان يدعى صفين فاقتتلوا واتصل القتال الى تسعين يوماً استشهد فيه نحو من ثمانين الف

عثماني فضلاً عن انهُ لم يبقَ حتى اليوم ناحية من نواحي المملكة الا وفتحت فيها المدارس الملكية والرشدية والحربية الكلية تحت عناية الحكومة ونفقتها ففاضتْ ينابيع المعارف وكثرت رجالهُ ولا تزال تكثر وينمو لكثرتها حتى والامل منهُ تعالى بوقت قريب الدنو تبلغ الامة العثمانية الدرجة القصوى تحت ظل ظليل خليفتها الاعظم غيث الرحمة والعدالة وغوث الاداب والعلوم السلطان ابن السلطان السلطان

عبد الحميد خان

ايد الله سرير دولتهِ مدى الدوران وحفظ سلطة شوكتهِ بعنايته الالهية الى اخر الازمان

الباب الاول

منذ ظهور الاسلام الى خلافة ابي بكر

الفصل الاول

ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

جاء حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الدنيا في مكة المشرفة ليلة الاثنين في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٥٦٩ ميلادية

فاسم ابيه عبدالله واسم امه آمنة وقبل ان تلده امه توفي ابوه وعليه فتكون قد اشرقت انواره الى الوجود يتيماً من الاب . وقد سلمته امه الى السيدة حليمة فارضعته . و بينما كان في السادسة من العمر توفيت ايضاً والدته فبقي عند جده عبد المطلب . وحال وصوله الى الثامنة مات جده عبد المطلب فذهب الى بيت عمه ابي طالب

وفي الثالثة عشرة بينما كان ذاهباً الى الشام مع عمه ابي طالب مرّا بمحلة البصرى فنظره بحيرا الراهب فقال لقومه انه اي حضرة النبي سيكون نبي اخر زمان .

ولما كان في الثالثة والعشرين سار ايضاً الى الشام وعند عودته منها تزوج بالسيدة خديجة . وما بلغ الخامسة والعشرين حتى اكتملت فيه كل الصفات فكان ذا اخلاق حميدة واطوار وسجايا ممتازة وسيرة مترفعة ولهذا كان ينادى له « محمد الامين »

بعثة النبي

ولما بلغ الاربعين من العمر جاءته النبوة يعني انه اقتبل الامر من الله سبحانه وتعالى بواسطة جبرائيل عليه السلام ليدعو الناس الى الاسلام واول من اعتنق الاسلامية في هذه الدنيا حضرة السيدة خديجة وابو بكر الصديق والامام علي ابن ابي طالب (رضي الله عنهم) وبقي النبي صلى الله عليه وسلم مدة ثلاث سنين يدعو الناس سرًّا الى الدين ومن ثم جاءه الامر الالهي بالدعوة علنًا

وكان اهالي مكة يهزأون منه . وعند اقبال اعظم البواسل الى الايمان مثل حضرة حمزة وحضرة عمر اشتد غضب المشركين ونما فيهم البغض والحقد ولهذا سار قسم من الصحابة الذين اعتنقوا الاسلامية الى ملك الحبشة والقسم الاخر الى المدينة المنورة

الهجرة المحمدية

جمع ابو جهل الخائن المشركين وتراس فيهم وشوقهم الى قتل النبي . فنذروا النذر وجاءوا فاحتاطوا بيت النبي صلى الله عليه وسلم فنهض النبي تاركًا الامام عليًا في فراشه وتقدم من المشركين ورمى في وجوههم قبضة من التراب وخرج من الباب وجاء بيت ابي بكر وسارا معًا الى المدينة المنورة . ومع ان ابا جهل ومن معه تاثروهما فلم يهتدوا اليهما

فهوذا النبي قد خرج من مكة الى المدينة هاجرًا فاعتبر التاريخ الاسلامي منذ ذلك اليوم

وابتنى النبي في محل يدعى قبا مسجدًا وهو المسجد الاول في المسلمين ومن بعد ذلك دخل المدينة ونزل ضيفًا على ابي ايوب خالد وهناك ايضًا ابتني مسجدًا شريفًا . وعليه فقد اصبحت المدينة المنورة مركزًا للمسلمين . ومنذ ذلك اليوم اخذت الاسلامية بالترقي والتوسع

فتوحات النبي

ومن بعد هجرة النبي عليه السلام الى المدينة وقع بين المسلمين والمشركين عدة وقائع مشهورة . اهمها

يوم بدر . يوم احد . يوم الخندق . يوم موته . فتح مكة

وفي الحروب المذكورة كان النصر دائماً يرافق المسلمين ومن جرى ذلك وقع المشركون باليأس والضيق . وكان فتح مكة من اعظم فتوحات ذاك الزمان . تم في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة للهجرة

انتقال النبي صلى الله عليه وسلم

و بعد فتح مكة بسنتين انتقل النبي عليه السلام اي في السنة العاشرة للهجرة في المدينة المنورة واودع جسده الشريف في المدينة . توفي وهو في الثالثة والستين

وقد بلغ عدد المسلمين الى ذلك اليوم اكثر من مليون وكان للاسلامية مركزين اي قاعدتين وهما مكة والمدينة . وحدود ما ملكته . شرقاً نجد وغرباً البحر الاحمر . وجنوباً اليمن وشمالاً سوريا

القرآن الشريف

القرآن الشريف هو مجموع الوحي الالهي الذي انزل آية فاية على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في مدة ٢٣ سنة من قبل الله سبحانه وتعالى وهو اي القران الكريم جامع لكل معاملات الدنيا والاخرة تماماً . والاية الاولى التي انزلت على النبي عليه السلام منه هي (اقرأ باسم ربك الذي . . . . الخ)

ومن الواضح الجلي انه قانون الاسلامية الابدي . و بقاوه موكد الى

اخر الازمان لانه كلام الله عزّ وجل وقد انزل فيه كل نوع من الحقوق المدنية والمعاملات الدينية . وفي بقائه حفظ ودوام الاسلامية . ولم يكن في نظر المسلمين كتاب مقدس اعظم منه قط

خلاصة

ولد النبي في مكة . جاءته النبوة في الاربعين . ثلاث سنين دعا الناس الى الاسلامية سرًّا ثم دعاهم علنًا . دخل المدينة المنورة وافني المشركين . ابتداء التاريخ الاسلامي منذ الهجرة . فتحت مكة في السنة الثامنة للهجرة . انتقل في السنة العاشرة ودفن في المدينة . نزل القرآن الشريف في مدة ٢٣ سنة

الفصل الثاني

خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه)

ومن بعد انتقال النبي عليه السلام استقرت الخلافة على ابي بكر يعني انهُ صار خليفة النبي عليه السلام على المسلمين وذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة وعند توليه لفظ فيهم الكلام الاتي

يا ايها الناس

هانذا الان قد صرت عليكم اميرًا ومتوليًا مع اني لا اصلح لكم فاذا عملت جيدًا فاعضدوني عليهِ او رديئًا فاهدوني الى طريق الحق لان بالصدق الامانة و بالكذب الخيانة . اه

ولدى ارتحال النبي عليه السلام كان الايمان في البعض ضعيفًا فمنهم من رجع عن الدين ومنهم من اعترض على رسالة النبي . وعليه فقد اجتمع قوم منهم الى رؤسائهم وعملوا على الفتن والفساد . فبعث ابو بكر عليهم بالجند فبددهم وقد ادعى النبوة في اليمن مسيلمة الكذاب وفي اطراف

نجران اسود العنيسي فاهلكا

ولما كان المقصد توسيع الاسلامية ارسلت العساكر تحت قيادة خالد بن الوليد في طريق بغداد وايضاً تحت قيادة عمرو بن العاص ويزيد بن سفيان. وحينئذٍ ادخلت اطراف سوريا الى الحلقة الاسلامية

وكان الجند الذي بعث الى اطراف سوريا يبلغ الثلاثين الفاً فبدد نحواً من مائة وعشرين الف جندي من جنود الامبراطورية الرومانية التي كانت تملك هناك اوانئذٍ

واول ما فتح في سوريا مدينة البصرى واخيراً فتحت الشام بهمة اثنين من بواسل المسلمين وهما خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

وفي الوقت الذي فتحت فيهِ الشام توفى الله ابا بكر الصديق في المدينة المنورة وذلك في ٢٢ جمادى الاخرة سنة ١٣ للهجرة وكان في مرضهِ اقام وكيلاً عنهُ الامام عمر بن الخطاب احد الصحابة

وكان ابو بكر (رضي الله عنه) يهلك اموالهُ بغير حساب في سبيل نجاح الاسلامية وكان يتعيش الى حين ارتحالهِ مع جاههِ وعلو منزلته كل يوم بدرهمين. وجمعت تركتهُ بعد وفاتهِ فبلغت جملاً وثوباً واحداً وعبداً لا غير

ولما كان القرآن الشريف لم يكتب في زمن النبي بل كان الصحابة يحفظونهُ غيباً جمع في زمن ابي بكر الى نسخة واحدة . وكانت مدة خلافته سنتين واشهراً

خلاصة

خلف ابو بكر النبي (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين. كبح الانبياء الكذبة والذين رجعوا عن الدين . فتحت دمشق في زمانهِ . خلافتهُ سنتين واشهراً

انفق جميع امواله في خدمة المسلمين

الفصل الثالث

خلافة عمر رضي الله عنه

ومن بعد وفاة ابي بكر عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبلغ في العدالة الدرجة القصوى

وفي زمانه زحفت الجيوش التي في سوريا على حمص وحماه و بعلبك وأرسل جيش اخر تحت قيادة سعد ابن ابي وقاص الى بلاد العجم فسحق جيوشها . واخذ في هذه الحرب التي تسمى عندهم حرب (درفش كاو يان) العلم الاكبر والجوهرات الموجودة هناك وافتتحت المدائن قاعدة الاعجام بعد ان حوصرت سبعة اشهر

و بينما كان الجيش في ناحية العجم محرزًا النصر والظفر كان الجيش الاخر الذي في سوريا تحت قيادة ابي عبيدة ابن الجراح قد زحف على القدس الشريف وحاصرها

ودعا اهالي القدس الامام عمر فجاءَ اليهم بالذات واعلن بينهم الامان والمحافظة على حياة كل فردٍ منهم فانقادوا ودخلوا في حوزة المسلمين

وتم افتتاح القدس في السنة السادسة عشرة . وابتني في زمن عمر ايضًا مدينتا الكوفة والبصرة

وفي السنة التاسعة عشرة زحف عمرو بن العاص وزبير بن العوام وهما على جيش من المسلمين على مصر واحتاطا بمدينة الاسكندرية . و بعد محاصرتها نحوًا من سبعة اشهر افتتحت و بافتتاحها وقعت كل البلاد المصرية في قبضة المسلمين

قيل بنيت القاهرة في ذاك الزمان وقيل في ايام الفاطميين

وفي السنة الحادية والعشرين وقعت محاربة عظيمة مع العجم دام الانتصار فيها للمسلمين فمما تقدم يظهر ان الجيش الاسلامي امتد كثيراً في الشرق حتى بلغ تركستان اي بلاد الترك وكذلك جيش الغرب فانه استولى على نواحي تونس وطرابلس الغرب

انتقال عمر

واستشهد عمر رضي الله عنه قتيلاً بخنجر اللعين ابي لؤلؤة فيروز وبعد ان طعنه به بثلاثة ايام توفاه الله . وقد اودع شخصه الكريم بالقرب من قبر النبي

وكانت خلافته احدى عشرة سنة في اثنائها توسعت الاسلامية كثيراً ومع ان الغنائم والاموال كانت ترسل اليه من كل طرف كان رعايةً لحقوق العباد يلبس خرقة ولا يحب التلذذ والتنعم وقد بلغ بالعدالة الدرجة القصوى التي لا يمكن ان يترفع فوقها احد قط

وكان عندما عهد اليه بالخلافة قد خاطب الناس مظهراً مسلك عدالته حيث قال لهم - يا ايها الناس . من كان منكم صاحب حق فهو قوي عندي وان كان اضعفكم ومن لم يكن ذا حق فهو ضعيف عندي وان كان اقواكم

وقد وصلت الاسلامية في زمانه الى دور الكمال . وفتوحاته هي في الدرجة التي تحط الغبطة لاعظم الملوك

خلاصة

حضرة عمر هو الخليفة الثاني . فتح في زمانه القدس والمدائن ومصر ونواحي تونس وطرابلس الغرب . اخذ من العجم علم يسمى «الدرفش كاويان» وقعت وقعة عظيمة في نهاوند دام بها النصر للمسلمين . استشهد عمر من اللعين ابي لؤلؤة . مدة خلافته ١١ سنة . كان كثير العدل والانصاف

الفصل الرابع

خلافة عثمان رضي الله عنه

ومن بعد عمر بويع بالخلافة عثمان وذلك في السنة الرابعة والعشرين للهجرة. وكان في تلك الازمان قد كثر الاختلاف بين المسلمين. فمن بعد سنة عزل عن مصر عمر بن العاص ونصب في مكانه سعد ابن ابي سرح اخو الخليفة بالرضاع. وكذلك فصل عن العراق سعد ابن ابي وقاص ونصب في مكانه عقبة ابن ابي معيط اخو الخليفة من امه

وهاجم الرومان الاسكندرية فبعث بالجند وعليه عمر بن العاص ففتح تلك النواحي ثانية

وفي سبيطلة من افريقيا تبدد معسكر الامبراطورية الرومانية ايضاً وكذلك ارسل معاوية ابن ابى سفيان والي الشام اسطولاً على قبرص فهاجمها ومن ثم ضرب عليها الجزية وما عدا ذلك فقد خرج من الشام ايضاً جيش أخر وحاصر القسطنطينية

واتصل جماعات المسلمين بجهات وان وارضروم ودوخوا تلك الاطراف وكان أُرسل جيش على العجم تحت قيادة عبدالله بن عامر بن كريز ابن خال الخليفة فاستولى على كل تلك الجهات

ودخلت الفتن بين المسلمين فكانت اكثر من الف فتنة متنوعة ولم يتسنّ له تسكين واحدة منها

شهادة عثمان رضي الله عنه

اتسعت دائرة الفساد حتى كان من نتيجتها اخيرًا استشهاد عثمان استشهد وهو يقرأ القرآن الشريف. وقد كتب في زمانه ثلاث نسخ منه ارسلت الى الاطراف وكانت وفاته في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية

خلاصة

عثمان ثالث خليفة للمسلمين . وقع في زمانه الاختلاف بين المسلمين . بُدد في افريقيا جيش عظيم للامبراطورية الرومانية . استظهرت في العجم الجيوش الاسلامية . هوجمت قبرس وحوصرت القسطنطينية . استشهد عثمان من نتيجة انساع الفساد . مدته ١١ سنة

الفصل الثامن

خلافة الامام علي رضي الله عنه

ومن بعد وفاة عثمان قبض على ازمة الخلافة علي ابن ابي طالب ابن عم النبي وذلك في سنة ٣٥ . ولم يكن اولاً يرضى الخلافة الا انه قبلها اخيرًا بطلب والحاح بعض الصحابة . ولكن اكثر الذين اختصوا بعثمان ووصل اليهم جميله ابوا مبايعته

ومن ثم اثير على الامام علي الفتن بدعوى ان المبايعة لورثة عثمان وسارت فرقة من مكة الى البصرة لمحاربة الامام علي . فارسل الامام اليهم رسالة ينصح لهم كثيرًا ان يرجعوا فلم يسمعوا له . وفي النهاية التحم الجيشان بالقرب من الكوفة واستشهد طلحة والزبير . ولم يقدر ان يثبت الباقون امام شجاعة علي فتقهقروا . و يقال لهذه الوقعة « وقعة الجمل »

ووقعة الجمل هذه فتحت ابواب ميادين باقي الوقائع المأسوف علي وقوعها في المسلمين ومن بعد وقعة الجمل بعث علي بالرسل الى سائر الولاة ليبايعوه فبايعوه الا معاوية والي الشام فلم يبايعه فاتفق مع والي مصر وزحفا سوية علي الامام . فالتحمت الجيوش في مكان يدعى صفين فاقتتلوا واتصل القتال الى تسعين يومًا استشهد فيه نحو من ثمانين الف

نفس . وفي ذات ليلة اوقع الامام علي بجيش معاوية . وما لبث ان وقع الاختلاف بين اركان الامام و بواسطة المنطوقات الاحتيالية الصادرة عن عمرو بن العاص استقرت الخلافة على معاوية

ومن ثم انسحب الامام علي الى الكوفة . وقد اهلك الاشقياء الموجودون بالقرب من النهروان

شهادة الامام علي

استشهد الامام علي في ١٨ رمضان من سنة ٤٠ للهجرة من يد اللعين ابي ملجم بينما كان قائماً على صلاة الجمعة . وكانت مدة خلافته خمس سنين . وقد تزوج من فاطمة كريمة النبي (رضى الله عنها) وهو اشجع من ناضل في ميدان وامتطى صهوة حصان ولذلك لقب باسد الله الغالب

خلافة الحسن رضي الله عنه

و بعد استشهاد الامام علي بايع اهل الكوفة الحسن وهو اكبر ولده وحفيد حضرة النبي (عليه السلام) ولما لم يكن يميل الى حب السلطة وزخرفة هذه الدنيا ومجدها ترك الخلافة الى معاوية بعد ان استقر عليها ستة اشهر . وانسحب الى المدينة المنورة على وعد ان يسد عوزه الضروري من بيت المال

وفاته

ومن ثم توفي الحسن متأثراً من فعل سم دس اليه وذلك في الخمسين للهجرة

ملاحظة

منذ وفاة الرسول الى حين وفاة الامام علي ٤٠ سنة في اثنائها اتسعت دائرة الاستيلاء الاسلامي فصارت تحد . من الغرب بنهر الهند ومن الشمال بالاناضول ومن الشرق بالنيل المبارك ومن الجنوب بضواحي نجد

ويدعى زمن الخلفاء المتقدم ذكرهم اي ابي بكر وعمر وعثمان وعلي زمن الراشدين وكل منهم يلقب بامير المومنين

ولو لم يدخل الفساد والفتن بين المسلمين لترقت الاسلامية واتسعت بالطبع اتساعاً عجيباً يضاعف املاكها حينئذٍ قياساً على الاتساع الاول اي الذي كان بين ظهور الاسلامية ووقوع الفتن

وعليه لم يبقَ من وسيلة للنجاح كالسابق لان الفئة التي قامت بالفتن في اوائل خلافة عثمان اخرجت سوء النتيجة الى الوجود وفرقت بين المسلمين

ولدى انسحاب الحسن رضي الله عنه عن الخلافة تشكلت دولة اسلامية جديدة لقبت بالدولة الاموية وانتهى بواسطتها زمن الخلفاء الراشدين

الباب الثاني

الدولة الاموية

الفصل الاول

خلافة معاوية

ولما تخلى الحسن عن الخلافة مالت الى معاوية ابن ابي سفيان سنة ٤١ هجرية وهو اوانئذٍ على دمشق

وكان معاوية على جانب من العقل والزكاء والحلم والجود المفرط وفي زمانه فضلاً عن ترقي الدولة كان النجاح محتاطًا بالاهالي من كل ناح. وكاد يشتد امر الفساد الذي دخل بين المسلمين غير انهُ بدده بعنايته. وعاد فجدد الغزوات الاسلامية فساق الجند في افريقيا الى اطراف السودان وفي اسيا الى اطراف افغانستان

وفيما كان الجيش الاسلامي محاصرًا القسطنطينية سنة ٤٨ استشهد ابو ايوب الانصاري اثناء المحاصرة فدفن هناك ولا يزال ضريحهُ يزار حتى اليوم

واما عقبة بن نافع فاتح افريقيا فقد عزم على تشكيل ولاية هناك تحت اسم افريقيا فتمم عمله وبعد ان شكل الولاية المذكورة نصب عليها واليًا. وقد ابتنى المشار اليه مدينة القيروان

وهوجم بحرًا كل من جزيرتي اكريت ورودس وظهر من المسلمين اثناء ذاك الهجوم مهارة بحرية قريبة من الكمال

ولكي يأمن معاوية على ترك الخلافة لولده يزيد بعد وفاته جمع له كتب المبايعة في حال حياته من كل طرف. واما الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وبعض ذوات المدينة فلم يبايعوه فحضر اليهم بالذات وحملهم على المبايعة جبرًا

وفاة معاوية

توفي معاوية في سنة ٦٠ هجرية عن ٨٢ سنة وكان سخيًا حليمًا حريصًا على ملكه ورعيته

الفصل الثاني

خلافة يزيد بن معاوية

واقيم على الخلافة من بعد معاوية ابنه يزيد الاول وذلك في سنة ٦٠

ولما كان الكوفيون يكرهون الامويين ويرغبون في ولد الامام علي كانوا يكاتبون على الدوام الحسين ويدعونه الى الخلافة

واخيرًا بتشويق البعض قصد الكوفة وبمعيته ٧٢ نفسًا وذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠

وكان مسلم بن عقيل ابن اخي الامام علي في الكوفة ينتظر الحسين ومعه ثلاثون الف نفس. ولحق هذا الخبر بيزيد حالاً فاسرع بان اقام على الكوفة عبد الله بن زياد واليًا فنهض عبد الله المذكور وقبض على كبار تلك الجمعية فقتلهم

والحاصل ان الامام حسين والشرذمة التي معه انتبهوا الى نفوسهم بالقرب من محل يدعى كربلا لان العساكر التي ارسلت من قبل عبدالله ابن زياد صادفتهم هناك وعددهم الف فارس. وفي اليوم التالي ايضًا

لحق بهم اربعة الاف فارس وكلهم يجدون في طلب الامام حسين . وانتشب القتال هناك وسميت تلك الوقعة وقعة كربلا قتل فيها حضرة الامام حسين حفيد النبي عليه السلام مهاناً وذلك انهُ بينما كان يستقي الماء من نهر الفراة أُدرك فقطع جسده المبارك قطعاً . في ١٠ محرم سنة ٦١

ولما كان يزيد يرغب في ان ينسي المسلمين هذه الواقعة اخذ بالغزوات فارسل جيشاً وعليهِ سالم بن زياد فانسحب الى اطراف خوارزم وبخارى وجيشاً آخر عليهِ عقبة بن نافع وهذا تقدم ايضاً الى حد البحر المحيط .وكان اي عقبة هذا رجل غزو اكتسب لحميتهِ وشجاعته وصبره شهرة بين ابطال المسلمين

وفاة يزيد

بناءً على استشهاد الحسين بايع اهالي مكة والمدينة عبد الله بن الزبير. ولهذا السبب ارسل يزيد جيشاً على المدينة فافتتحها ونهبها . ومن ثم امر بفتح مكة لكنه توفي اذ ذاك اي في سنة ٦٤ هجرية

الفصل الثالث

معاوية الثاني

ومن بعد وفاة يزيد خلفهُ ابنهُ معاوية الثاني ولما كان كثير التدين تخلى عن الخلافة بعد ثلاثة اشهر ولم يلبث ان مات بعد ذلك بقليل

الفصل الرابع

مروان

كان مروان في زمن يزيد واليًا على المدينة وعند وفاة يزيد بايع اهالي مكة والمدينة وسائر اطراف الكوفة عبد الله بن الزبير وعلى هذا فرّ مروان من المدينة وجاء سوريا

وفي سوريا توصل الى وضع الخلافة تحت حمايته فانه تزوج من امراة يزيد وعين خالد بن يزيد وليًّا للعهد ٠ ومن ثم التقى وعبد الله بن الزبير في محل يدعى مرج راحط ودارت الدائرة على الزبيريين فتفرقوا

ومن جرى انتصاره هذا اشتد ساعده فارسل ابن عبد العزيز على مصر فنزعها ايضًا من يد الزبير

وفاة مروان

ولما كان مروان قد اخرج خالدًا عن ولاية العهد وعهد بها الى ولده عبد الملك مات خنقًا من زوجته اي والدة خالد وذلك في ٣ رمضان سنة ٦٥

الفصل الخامس

عبد الملك بن مروان

ومن بعد مروان دخل على الخلافة ابنه عبد الملك في سنة ٦٥ هجرية وكان اذ ذاك على مكة والمدينة عبد الله بن الزبير وعلى العراق والكوفة مختار بن عبيد الله الثقفي فخرجا على الامويين

ومختار هذا هو الذي حضر قتل الامام حسين ٠ فارسل على مختار عبيد الله بن زياد ٠ وبعد الالتحام تفرق جيش عبد الملك في حالة

تعيسة وقتل عبيد الله . ولما كان الله يريد الانتقام لحضرة الحسين انقلب على نفسه فعومل بالجور والجفاء من اطرافه . وقد طلب عبد الله بن الزبير الامداد من اخيه مصعب والي البصره . فجاء مصعب وبدد جيش مختار عند الكوفة وقتل مختار من عونه . وعلى هذا الوجه دخلت الكوفة في سلطة عبد الله بن الزبير

ولحق الخبر بعبد الملك من احد الرقباء فبعث بالجند لقتال عبدالله ابن الزبير . فاوقع بالزبيرين عند محل يدعى ديرجاثيليق . وبواسطة احسان عبد الملك للكوفيين استمالهم اليه . ومن ثم هيأ جيشاً تحت قيادة الحجاج وارسله على عبد الله بن الزبير . فاحتاط الحجاج بمكة اربعة عشر يوماً ثم افتتحها . ووقع عبد الله في هذه الحرب شهيداً

وفي غضون ذلك عهد بولاية العراق الى الحجاج ولم يكن يرى ظلم اشد من ظلمه لكنه كان غيوراً جداً على توسيع الدوائر الاسلامية وقد بذل همة جرية لرفع الشقاق من بين المسلمين

وفاة عبد الملك بن مروان

وتوفي عبد الملك في شوال من سنة ٨٦ وكان عالماً عاقلاً قوى دعائم الدولة الجديدة التي هيأها معاوية وفي زمانه ضربت السكة

وقد صرف اكثر اوقاته في نجاح امور الدولة وترقي الاسلامية

الفصل السادس

الوليد ابن عبد الملك

ومن بعد وفاة عبد الملك جلس على تخت الخلافة ابنه الوليد وذلك في سنة ٨٦ هجرية وفي زمانه كان موسى بن نصير والياً على افريقيا وقد اجتاز الى اسبانيا على ما ياتي

وذلك انه عندما شبت نيران الفتن في اسبانيا وتفرق اهلها الى فرق متعددة اتصل هذا الخبر بموسى بن نصير فاخرج على اسبانيا احد شجعان المسلمين الموجودين بمعيته وهو طارق بن زياد على اربع مراكب و بعض مئات من الجند

وكان طارق قد بلغ في العرب درجة كبار الرجال نظرًا لاعماله التي اجراها في تلك النواحي ولكي يقطع امال العساكر من الرجوع الى الخلف احرق المراكب واستولى على المحل الذي يقال له الان جبل طارق واقام فيه

وبسبب الامدادات العظيمة التي كان يرسلها موسى بن نصير بقي على فتوحاته الى ان بدد في حالة تعيسة جيش فردريك الذي كان يحكم فضوليًا على مملكة اسبانيا

وفي النهاية دخل مدينة طولد كرسي تخت اسبانيا اوانئذٍ ولما كان موسى بن نصير لم يقدر ان ينسب لنفسه مظفرية طارق هذه جاء هو ايضًا الى اسبانيا وتحته جيش جرار و باشر الفتوحات وقد حبس طارق ابن زياد لكنه اطلقه بامر الخليفة

وفيما كانت العساكر الاسلامية عاملة على الفتوحات من جهة الغرب كانت تسير في الجهات الاخرى على اطراف الصين والهند وكشغار و بخارى وفي هذه الايام توفي الحجاج الظالم

وفاة الوليد

ارتحل الوليد الى دار الاخرة في السنة العاشرة من خلافته اي في سنة ٩٦ هجرية وفي اثناء خلافته ابتنى الجوامع والمستشفيات و بيوت المسافرين في الشام وابتنى في القدس الشريف الجامع الاقصى وكذلك انشأ في مكة والمدينة كثيرًا من المحلات وطرق المياه

غير ان الحجاج كان بلاء ذاك الزمان لانه كان يوجد الوف من المسلمين في المحبوس بامره

وزمن الوليد من الازمان الساطعة في الدولة الاموية

الفصل السابع

سليمان ابن عبد الملك

جلس سليمان على تخت الخلافة في سنة ٩٦ هجرية

وقد جازى كلاً من فاتحي الاندلس موسى بن نصير وطارق بن زياد ومن التاثيرات الفعالة المحزنة ان هذين البطلين ابتليا بالفقر المدقع حتى احتاجا الى ثمن الخبز

وكان واليًا على الاندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير فوسع فتوحات اسبانيا واجتهد كثيرًا في ان يمزج الاهالي الاصليين بالعرب فتزوج بارملة فودريك واخيرًا بافساد اكثر من مائة من المفسدين قطع راسه وحمل الى الشام ومن هناك ارسل الى المسكين موسى بن نصير

وكان واليًا على فارس الشجاع محمد بن قاسم فكان من غرض الخليفة ان محا طالعه

وفي خرسان كان قتيبة بن مسلم فخرج على الخليفة وعمل على العصيان ونظرًا لقساوته قتل من بعض اتباعه وهو مستمر على طغيانه وقتيبة هذا نشر العلم الاسلامي الى حد الصين

وفي زمان سليمان وقع بينه و بين الاتراك الموجودين في اطراف خرسان بعض مناوشات . ومن ثم ارسل اخاه مسلمة على جيش عظيم فزحف على القسطنطينية من البر ومع انه طوقها ايضًا من البحر بنحو الف وثمانماية قطعة من السفن لم يقدر اوانئذٍ ان يقف امام نيران

الرومانيين فرجع

وفاة سليمان

وفيما كان سليمان سائرًا بنفسه الى حصار القسطنطينية اصابه سوء الهضم فتوفي في مكان يدعى دابق بالقرب من حلب

وكان سليمان فصيحاً حليماً لكن ما اجراه من القساوة والشدة في حق موسى بن نصير وطارق بن زياد البس تاريخه ثوباً رديئاً

وقد اخرج من المحبوس اولئك الذين كادوا يبلوا فيه من ظلم الحجاج ومن قبل وفاته عهد بولاية العهد الى عمر بن عبد العزيز

الفصل الثامن

عمر بن عبد العزيز

وبويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة سنة ٩٩ هجرية. وقد سادت العدالة في زمانه. وكان ديناً يعتني بحقوق الاهالي وعلى ذلك كانت جميع وجوه الرعايا باسمة اثناء خلافته .

وملأ بيت مال المسلمين بالمجوهرات الى حد فمه ولما كان الى ذاك الحين يسب الامام علي اثناء الخطب منع هذه العادة المكروهة وانتشر في الدنيا كرمه ولطفه وعدله . وفي زمانه تشرف ملوك الهند والسند بالدين الاسلامي

وفي زمان خلافة عمر رجع المسلمون عن محاصرة القسطنطينية

وفاته

ومن بعد جلوسه على الخلافة بنحو سنتين ونصف ارتحل الى الاخرة

وهو من الخلفاء الذين تركوا اسماً ممدوحاً بالكرم والعدالة في بطون التاريخ .

الفصل التاسع

يزيد الثاني بن عبد الملك

وخلف عمر بن عبد العزيز على الخلافة يزيد الثاني سنة ١٠١ هجرية وفي زمانه تبددت عائلة آل مهلب المتصفة بالكرم الغزير

واما في الاندلس وان كانت العساكر الاسلامية قد حاصرت مدينة طولوز منسحبة الى جبال بيرانه لكن بسبب استشهاد قائدها السماح انسحبت الى الاندلس

وفاته

وان كان يزيد في بدء خلافته دار الادارة بعدالة فائقة لكنه بعد ذلك انهمك باللهو والصفاء ومات متاثرًا من حزنه على جاريته حبابه التي كان مولعاً بحبها كثيرًا ودامت خلافته اربع سنين وصادف وقوع وفاته في سنة ١٠٥ هجرية

الفصل العاشر

هشام بن عبد الملك

ومن بعد يزيد الثاني تولى الخلافة هشام في سنة ١٠٥ وفي زمانه ارسلت العساكر بحرًا على جزيرة سيجيليا فاستولوا عليها وفي البر ايضاً وان كانت قد اتسعت دائرة الفتن في تونس وطرابلس الغرب الا ان العصاة اخيرًا تبددوا ٠وفي اطراف الخزر فاجأ الاتراك الذين خرجوا

والزمهم الى الطاعة

ومن بعد وفاة الامير السماح نصب على الاندلس عبد الرحمن الغافقي وهذا تقدم في الحال الى داخلية فرنسا وتحته جيش عظيم وقد تمكن من الاستيلاء على مدينة بوردو

وكانت عساكر الافرنج التي جاءت لقتال المسلمين تحت قيادة شارل مارتل . فباشر القتال في محل يدعى بواتيه واخيرًا بسبب استشهاد عبد الرحمن رجعت العساكر الى الاندلس متفرقة

ولو فاز المسلمون في هذه المحاربة لكانوا ادخلوا الى الدائرة الاسلامية عموم اوربا

وكانت شجاعة عبد الرحمن قد ارهبت كثيرًا اعداءه الافرنج حتى ان امهات الاطفال كن يتهددن اولادهن باسمه قائلات لاجل تخويفهم · جاء عبد الرحمن

وفي هذا الدور احرز الشهرة ايضًا بطال غازي احد الابطال الذي فاز بالنصر العظيم على الامبراطورية الرومانية

وادعى الخلافة في سنة ١٢٢ هجرية زيد بن زين العابدين احد احفاد الامام حسين وبناء على خيانة الكوفيين استشهد من ايدي جيش هشام

وفاة هشام

وارتحل هشام عن هذه الدنيا في سنة ١٢٥ بعد ان جلس على تخت الخلافة مدة عشرين سنة وكان حليمًا عادلاً

وفي زمانه اي في سنة ١١٠ توفي الفرزدق الشاعر العربي المشهور

الفصل الحادي عشر

الوليد الثاني بن يزيد الثاني

وانتهت الخلافة من بعد هشام الى الوليد الثاني وذلك في سنة ١٢٥ هجرية وبسبب بعض حركات غير مناسبة اختل انتظام ركن الدولة الاموية

ومع ان في زمن الوليد الثاني ادعى الخلافة يحيى ابن يزيد ولد زيد ابن زين العابدين لكنهُ توفي اخيراً

وفاته

وتوفي الوليد في اطراف طرابلس الشام وذلك انه خرج للصيد هناك وفي غيابه بويع يزيد الثالث فمات في تلك الاثناء بعد ان قام على الخلافة سنة

الفصل الثاني عشر

يزيد الثالث

يزيد الثالث هو ابن الوليد الاول اي ابن عم الوليد الثاني استلم الخلافة في سنة ١٢٦

وفي زمانه دارت الدولة الاموية بوجهها الى ناحية الاضمحلال. وقد كثر الاختلال في داخلية الدولة. ومع ان اهالي حمص والفلسطينيين قد ثاروا لكنهم ادبوا.

وفاته

وقد توفي يزيد الثالث في الشهر السادس من خلافته وكان ورعاً تقياً. رفع جميع ما كان باقياً من سوء الاستعمال من زمن الوليد .

الفصل الثالث عشر

ابرهيم بن الوليد

ابرهيم هو اخو يزيد الثالث. كانت خلافته في سنة ١٢٧ هجرية .
وبسبب الاختلال والفتن ما امكنه ان يستقر على الخلافة
وقد ختم دور خلافته بعصيان مروان بن محمد وسليمان بن هشام

وفاته

ولم تطل مدة خلافة ابرهيم لاكثر من شهرين وعشرة ايام لكنه عاش الى سنة ١٣٢ للهجرة

الفصل الرابع عشر

مروان الثاني

وهو نفس مروان بن محمد الذي نهض عاصياً على ابرهيم ابن الوليد الخليفة السابق . جلس في سنة ١٢٧

وفي بدء خلافته ظهرت الفتن من كل طرف وعلى الخصوص سليمان ابن هشام الذي عاهده على المبايعة . الا انه وان كان ثار عليه راجعاً عن عهده لكنه انهزم مرتين امام جيوش مروان

واحرزت تحريكات العباسيين الشدة والاتساع وعظم العصيان من جرى جلب اطراف خرسان الى جهة العباسيين بواسطة ابي مسلم الخرساني

يعني انه اي ابو مسلم استمال اهالي خرسان الى جهة العباسيين اولاد عم الرسول عليه السلام

ومالت الدولة الاموية الى الاضمحلال . فاخر خليفة قام منها هو هذا مروان الثاني

ومن حيث ان بقية تاريخ حياة مروان الثاني تتعلق بظهور العباسيين نكتفي هنا بسرد بعض كليات عن الدولة الاموية

***

رسخت الدولة الاموية على تخت الخلافة ٩١ سنة قام منهم في اثنائها اربعة عشر على الخلافة وجلب الامويون على نفوسهم العداوة من كل طرف لما اظهروه وما قاموا به من الظلم والاهانة ضد اولاد الامام علي وهذا الذي اوقع الاختلال بوقت قريب في داخلية خلافتهم

غير ان في مدة ٩١ سنة المذكورة اظهروا لدى الهيئة العالمية نتائج افعالهم ومساعيهم التي لدى التبصر وتدقيق النظر نرى انها كانت قد رقت الاسلامية ووسعتها كثيراً

وقد تموّج العلم الاسلامي تجاه فرنسا والقسطنطينية وفي بلاد الترك والهند وانتشرت الاسلامية الى حد الصين وهذا الاتساع يظهر اكيداً انه صرف لاجله همة عظيمة

وكذلك في زمن الامويين كانت العلوم والفنون تتدرج الى الترقي . واخذت المدنية العربية بفيضان التقدم الابتدائي في هذا الدور . ومن ثم ابتدأ هذا الترقي في ان يزيد ويمتد بسرعة في اقطار مصر والشام والاندلس

وبسالة واقدام كل من شجعان المسلمين كعمرو بن العاص وموسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن بلغت الاملاك الاسلامية بمدة قصيرة الحدود الاتية . من الشرق الهند والصين ومن الشمال بحر الخزر

والاناضول ومن الغرب البحر المحيط ومن الجنوب اليمن

وتجاوز عدد الاهالي التسعة والاربعين مليوناً . لكن ما الفائدة من ذلك والحروب الداخلية كانت تقاوم التقدم العلمي فلم يتقدم كالواجب

ومن بعد هذه الدولة سننظر في ادوار حكومات العباسيين التي اختصت باحوال منظورة ظاهرة النجاح

خلاصه

تولى من بعد النبي عليه السلام اربعة من الائمة سمي زمنهم . زمن الراشدين . الا ان في زمن الامام علي خرج معاوية والي الشام اوانئذ ووقعت وقعة صفين كان من نتيجتها واحتيال عمرو بن العاص ان مرّت الخلافة الى معاوية

ومعاوية هذا من عائلة يقال لضاوعها بنو امية ولذلك دعيت دولتهم دولة بني امية او الامويين

وقد قام من الامويين اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم ٩١سنة

اً . اولاً معاوية ملك ١٩ سنة وهو مؤسس الدولة الاموية

٢ً يزيد بن معاوية . حكم ثلاث سنين وشهرين . وفي زمانه استشهد الامام حسين في واقعة كربلا

٣ً معاوية الثاني . تخلى عن السلطنة في الشهر الثالث من جلوسه

٤ . مروان بن الحكم . ولم يكن هذا من بني امية ومدته كانت سنة وتسعة اشهر

٥ً . عبد الملك بن مروان . ملك سنة وشهراً واحداً

٦ً . الوليد بن عبد الملك . مدة سلطنته ٩ سنين و٨ اشهر

٧ً . سليمان بن عبد الملك . حكم سنتين وثمانية اشهر

٨ . عمر بن عبد العزيز . حكم سنتين وثمانية اشهر ايضاً

٩ . يزيد الثاني ابن عبد الملك . حكم اربع سنين وشهرًا واحدًا

١٠ . هشام بن عبد الملك . كانت مدة خلافته ١٩ سنة و٧ اشهر

١١ . الوليد بن يزيد المعروف بالوليد الثاني . ملك سنة وشهرين

١٢ . يزيد بن الوليد ويعرف بيزيد الثالث . ملك سنة اشهر

١٣ . ابرهيم بن الوليد . تولى نحوًا من شهرين

١٤ . مروان ويلقب بالحمار . وهو اخر خلفاء الدولة الاموية السورية

واما عبد الرحمن من العائلة المذكورة فقد تخلص من ايدي العباسيين وشخص الى اسبانيا وهناك اسس دولة اخرى اموية سنأتي على بيان حوادثها فيما ياتي

الباب الثالث

الدولة العباسية

الفصل الاول

ابو العباس السفاح

انتقلت الخلافة بعناية ابي مسلم الخرساني الى آل عباس وذلك بعد سقوط ومحو الدولة الاموية

واول من جلس منهم على سرير الخلافة ابو العباس السفاح . وصادف ذلك في سنة ١٢٨ هجرية وفي زمانه وقع التفتيش على الامويين فمن وقع في اليد قتلوه وهذه الشدة التي لحقت بالامويين نشأت عن الظلم الذي قاموا به تجاه اولاد الرسول الاعظم

ومع ان في زمن السفاح ثار كثيرون ووقع عدة حروب داخلية لكنها جميعها اخمدت ولم يكن اثناء ذلك من اهمية للحروب الخارجية

وفاة السفاح

استقر السفاح على سرير الخلافة مدة ٤ سنين وتوفي في سنة ١٣٢ هجرية

وقد لقب بالسفاح نظرًا لما اجراه من الشدة على الامويين وقد قام

اثناء خلافته بانشاءات كثيرة خيرية ٠ واتخذ مقرًا للتخت مدينة اينار التي سماها (هاشمية)

توفي في الثامنة والعشرين وكان جوادًا سخيًا

الفصل الثاني

جعفر المنصور

جعفر المنصور هو اخو السفاح بويع في سنة ١٢٣ هجرية وادعى الخلافة عمه عبد الله وزحف عليه ولما لم يكن عبدالله هذا محبوبًا من الاهالي لم يقدر ان يجد مساعدة منهم فقهر في عدة وقائع وفي النهاية سلم الى الخليفة وصارت روحه الى الاخرة

وقد ذبح ابو مسلم الخرساني الذي كان السبب في محو الامويين واستقلال شوكة وقدرة العباسيين

وانهى المنصور الحروب الداخلية التي اختطفت راحة حكومته وقد ارسل العساكر الى حد بلاد الترك

وكان ممن تخلص من الامويين في الشام عبد الرحمن فسار الى اسبانيا وهناك انشا سلطنة وعليه لم يقدر العباسيون ان يوصلوا نفوذ حكومتهم الى الاندلس

وفي زمن المنصور ابتنيت مدينة بغداد واتخذت مركزًا لتخت الخلافة (سنة ١٣٥)

وفاة المنصور

استقام المنصور على الخلافة ٢٢ سنة وانتقل الى دار الاخرة في سنة ١٥٤ هجرية

ولا يمكن ان تمحى من التاريخ النقط السوداء التي وضعت للمنصور

بقتله اماماً عظيماً صاحب مذهب كابي مسلم الخرساني الذي كان اميناً على خدمة الدولة العباسية

وكان المنصور محباً للمعارف ترقت في زمانه المدنية العربية بالمزروعات المرة الاولى فان اراضي بغداد زرعت بالحبوب . وكان كلما وصل اليه من كتب الرومان او اليونان سواء كانت صناعية او علمية امر بترجمتها . ونقل جميع آثار فلاسفة اليونان نظير افلاطون وارسطو و بتولومه واوقليدس . ولهذا دخلت بغداد في مصاف المدن العظيمة وامتازت بكونها صارت كدار للفنون . وفتح المدارس والمكاتب في كل طرف . وفي البداية كان النساطرة والرومان اساتذة للعرب . الا ان العرب بوقت غير طويل صاروا اساتذة فبرعوا واستغنوا عن اولئك

وزمن المنصور يشكل صحف ادوار العباسيين الساطعة . وقد كان يحترم العلماء والحكماء كثيراً وعليه فقد لفى الى بغداد جماهير العلماء من القسطنطينية وغيرها

الفصل الثالث

محمد المهدي

ومن بعد وفاة جعفر المنصور تولى محمد المهدي وذلك في سنة ١٥٤ وكان زمانه زمان راحة ورفاه الا انه وان كان قد وقع في جهات خرسان بسبب الطريقة الهاشمية بعض قلاقل واضطرابات ففي النهاية اضمحلت

وفاته

ومن بعد جلوسه على الخلافة بنحو عشر سنين توفي اي في سنة ١٦٤ . وكان ورعاً زاهداً انفق دراهم كثيرة في سبيل الحسنات

والمبرات وقد فتح الابار على طريق مكة ورمم وابتنى كثيراً من البنايات في مكة المكرمة ووسع المدينة المنورة وقام بانشاءات تذكر. والحاصل ان تقواه وحسناته مما يندر مثالها

وبما انه كان حليماً وديعاً يهتم كثيراً بمساعدة المحتاجين وتوزيع الصدقات على الفقراء كانت الرعية مسرورة منه

الفصل الرابع

خلافة موسى بن المهدي

استقر على الخلافة مدة سنة تقريباً ولم يقع في زمانه من الحوادث المهمة ما يستحق الذكر مطلقاً

الفصل الخامس

هارون الرشيد

جلس هارون الرشيد على عرش الخلافة الاسلامية سنة ١٦٥ هجرية ولما كان ركناً للعدالة والرعية متصفاً بالحلم دخل ضمن دائرة زمانه الامن والراحة فتعطر بهما الرعية

واصبحت بغداد مركز علوم العالم واشرقت شموس المعارف اشراقاً بهياً بصورة لم يسبق ان نظر مثلها

وزاد تقاطر العلماء والفضلاء والحكماء والادباء اليها من كل الاقطار وتأسست فيها دور الصنائع والمراصد والمكاتب الكثيرة

وكان الخليفة كثيراً ما يغير زيه ويطوف مع وزيره جعفر البرمكي المشهور في بغداد وبذلك يتوصل الى امداد الاهالي

وفاة هارون الرشيد

توفي سنة ١٨٧ في مدينة طوس في خرسان بينما كان مسافرًا الى المشرق ٠ومدة خلافته ٢٣ سنة وزمانهُ يعد من اسطع انوار العباسيين وكانت حدود الخلافة في زمانه من الشرق الصين ومن الغرب اطلس البحر المحيط ومن الشمال قفقاسيه ومن الجنوب صحارى افريقيا٠ وهو اشهر خلفاء المسلمين القدماء

وفي ذاك العصر كانت اوربا غارقة بالجهل حتى ان هارون الرشيد اهدى شارلمان ملك فرنسا ساعة دقاقة .ولما لم يكن حينئذٍ مثلها عند الافرنج تعجبوا منها كثيرًا واندهشوا اندهاشًا فوق العادة

الا ان الذي سوَّد تاريخ هارون الرشيد قتلهُ اخيرًا وزيرهُ جعفر البرمكي٠ وقد توفي الوزير المذكور قتيلاً مع حرمهِ بعد ان خدم الدولة العباسية خدمة عظيمة

الفصل السادس

الامين والمامون

وجلس على الخلافة بعد وفاة هارون الرشيد ولدهُ الامين غير انهُ قتل

ومن ثم تربع المامون في دست الخلافة سنة ١٩١ وبالحقيقة كان دورهُ من الادوار الساطعة اللامعة ٠و بقيت بغداد محطًا للعلوم والفنون ودامت فيها انوار المعارف الشرقية

واصبح جميع اساتذة المراصد ودور الصنائع وسائر العلوم والمعارف من العرب وتشكلت الجمعيات العلمية (اكاذيميات) وقد خمنوا حجم

الكرة واثبتوا كروية الارض ومساحة قوس نصف النهار

وفي زمن المامون ايضاً وضع محمد بن موسى العالم الرياضي قواعد الجبر الاساسية

وفاته

ارتحل المامون الى الاخرة في سنة ٢١١ هجرية . وما ابداه في عهد خلافته من الهمة لنشر الاداب والمعارف والصنائع وما اظهرهُ من الغيرة ايضاً في حسن ادارة الامور كان عظيماً

ولما كان دور كمال الدولة العباسية قد بلغ في زمن المامون حد منتهاهُ بدأ من بعدهِ في ان يتجه الى السقوط تدريجياً

الفصل السابع

المعتصم بالله

انتظم المعتصم في سلك الخلفاء سنة ٢١١ وهو اخو المامون وتوفي في سنة ٢٢٠. بعد ان استقرَّ على كرسي الخلافة تسع سنين

ونقدر ان نقول ان زمن زوال الدولة العباسية بدأ منذ زمن المعتصم لانهُ ترك الى روساء العساكر حرية الاستقلال تحت اسم امير الامراء ولما لم يكن عالماً بهذا المقدار كالمامون لم يرغب في تعزيز العلم

الفصل الثامن

الواثق بالله

ومن بعد المعتصم صار على الخلافة الواثق بالله في سنة ٢٢٨ هجرية .

وفي زمانهِ اصلحت الاضطرابات الداخلية فقط

ومن بعد خلافة الواثق بخمس سنين توفي وذلك سنة ٢٣٢ وكان اذ ذاك في الثانية والثلاثين

الفصل التاسع

المتوكل على الله

حكم المتوكل على الله سنة ٢٣٢ وفي زمن هذا الخليفة لم تظهر قط حوادث مهمة ما عدا محاصرة تفليس وافتتاحها ووقوع زلزلة عظيمة خربت مدينة انطاكية

وارتحل المتوكل في سنة ٢٤٧ وقد بقي على كرسي الخلافة ١٥ سنة

الفصل العاشر

المنتصر

وجلس من بعد المتوكل على الله المنتصر في سنة ٢٤٧ وفي زمانه لم يقع من الحوادث السياسية المهمة ما يذكر

ومن ثم توفي في سنة ٢٤٩ بعد ان تولى الخلافة مدة سنتين وقد اصيب بفساد المعدة

الفصل الحادي عشر

المستعين

ملك المستعين في سنة ٢٤٩ وفي زمانه حارب الرومانيين فغلب

وصادف خروج المستعين من الخلافة سنة ٢٥٢ بعد ان قام عليها نحو ثلاث سنين وتوفي بعد ذلك بتسعة اشهر

الفصل الثاني عشر

المعتز بالله

وبناء على سحب يد المستعين عن الخلافة بويع المعتز في سنة ٢٥٢ فقام على الخلافة مدة ثلاث سنين وتوفي وهو في الرابعة والعشرين

الفصل الثالث عشر

المهتدي

تولى المهتدي في سنة ٢٥٥ هجرية بعد المعتز ومن ثم توفي سنة ٢٥٦ في السامرة . وكان صاحب اخلاق حسنة زاهدًا ورعًا

الفصل الرابع عشر

المعتمد على الله

جلس المعتمد على الله على دست الخلافة سنة ٢٥٦ وفي سنة ٢٥٨ اعلن احمد ابن طولون استقلاله على مصر . وفي سنة ٢٦١ تشكلت دولة بني سامان فيما وراء النهر

وقد حارب الرومانيين فغلب . و بعد ان كان عزم على السير الى مصر

ذات مرة رجع عنه لوقوع بعض حوادث

وتوفي المعتمد في سنة ٢٧٩ بعد ان استقر على الخلافة ٢٣ سنة وهو في الخمسين

الفصل الخامس عشر

المعتضد بالله

بويع المعتضد بعد المعتمد في سنة ٢٧٩ هجرية وقد ادار امور الادارة بلياقة ٠ وقد جعل نفسه قدوة للرؤساء . فنظف بزمانه كل ما كان موجودًا من اوساخ ارباب الفساد

ومرض المعتضد في سنة ٢٨٩ وتوفي اثر مرضه ٠ وحكمته واقدامه اللذين استعملهما في امور الادارة البستا الدولة العباسية رونقاً ساطعاً . ودام على الخلافة عشر سنين

الفصل السادس عشر

المكتفي

وبويع المكتفي على الخلافة في سنة ٢٨٩ هجرية ٠ وبسبب انفصال احمد بن طولون ارسلت الجيوش من قبل الخليفة تحت رئاسة سليمان بن محمد على قطيعة مصر فضبطتها وغنمت الغنائم العظيمة

وسار المكتفي الى الاخرة في سنة ٢٩٥ بعد ان تولى الخلافة ست سنين

الفصل السابع عشر

المقتدر بالله

وخلف المقتدر المكتفي على الخلافة سنة ٢٩٥ وهو ابن ١٣ سنة ولهذا السبب وقع الاختلاف في بغداد بزعم ان ابن ١٣ سنة لا يقدر ان يدير امور الادارة وعليه فبويع في مكان المقتدر الراضي بالله انما خلافة الراضي لم تثبت اكثر من ٢٤ ساعة. ومن ثم اعيد المقتدر الى الخلافة

وبواسطة السفير الذى جاء من قبل الامبراطورية الرومانية نظم الجند تنظيماً لم يرَ مثله سابقاً

وفي سنة ٣١٧ صار القاهر على الخلافة لكنه انفصل واعيد المقتدر ثالثة على الخلافة واخيرًا استشهد المقتدر بالله في سنة ٣٢٠. ومدة خلافته ٢٥ سنة

الفصل الثامن عشر

القاهر بالله

ومن بعد المقتدر بالله بويع ثانية القاهر بالله في سنة ٣٢٠ هجرية ومن بعد خلافته بنحو سنة ونصف سحب يده عن الخلافة

الفصل التاسع عشر

الراضي بالله

وتولى الراضي من بعد القاهر في سنة ٣٢٢. وفي زمانه هجم من الرومان نحو خمسين الفًا على اطراف خربوت فاحدثوا بعض مكدرات

وتوفي الراضي سنة ٣٢٩ . ومدة خلافته سبع سنين

الفصل العشرون

المقتفي بالله

بويع المقتفي في سنة ٣٢٩ . وفي زمانه راجت سيئات بعض الامراء ومن بعد خلافته بنحو ثلاث سنين توفي في سنة ٣٣٣

الفصل الحادي والعشرون

المستكفي

بويع المستكفي بالله بعد المقتفي وذلك في سنة ٣٣٣ . وفي زمانه تشكلت حكومة آل بويه و بويع عليها معز الدولة وقد اخذ ادارة بغداد في يده . وتوفي سنة ٣٣٨

الفصل الثاني والعشرون

المطيع لله

صار المطيع لله خليفة في مكان المستكفي سنة ٣٣٨ . وفي سنة ٣٦٣ اصيب بمرض الفالج ولهذا ترك الخلافة لولده الطائع

الفصل الثالث والعشرون

الطائع لله

خلف الطائع اباه في سنة ٣٦٣ . وكان عز الدولة بختيار قد حارب الاتراك فقهر وطلب الامداد من عضد الدولة فامده . وجاء عضد الدولة

متغلبًا على الاتراك حتى بغداد ومع ان نفوذ بختيار قد سقط ذهب الى ولاية فارس

ومن زمان هذا الخليفة محجوبًا ببعض محاربات تغلب فيها

ومن بعد ان استمرت خلافة الطائع لله مدة ١٨ سنة توفي في سنة ٣٨١

الفصل الرابع والعشرون

القادر بالله

جلس على الخلافة في سنة ٣٨١ وفي سنة ٤٢٢ توفي بعد ان استقر على الخلافة ٤١ سنة

الفصل الخامس والعشرون

القائم بامر الله

دخل على الخلافة في سنة ٤٢٢ هجرية وكانت قد اختلت راحة الخلافة الداخلية فاخذ كل شخص ان يفعل ما يريده

وفي زمانه تشكلت الدولة السلجوقية في خرسان سنة ٤٣٢

ولم يعد يكتفى آل بويه بعظم النفوذ الذى وصل لهم في بغداد الى درجة الاستقلال بل اخذوا في احداث الاضطراب والقلق في تلك الجهات

وزاد عبد الرحمن اخر آل بويه شدته على بغداد و بسبب تعرضه لملك السلجوقيين احتدم منه طغرل بك سلطان السلجوقيين وجاء طغرل بك بغداد وقبل يد الخليفة و بظله قبض على عبدالرحمن وحبس وانقرض آل بويه يومئذ

وتوفي القائم بامر الله في سنة ٤٦٧ وهو في السبعين وكان ورعًا دينًا

الفصل السادس والعشرون

المقتدي بامر الله

تولى المقتدي الخلافة في سنة ٤٦٧ . ولم يقع في ايامه من الوقائع المهمة ما يستحق الذكر غير ان ملكشاه السلجوقي جاء بغداد وفي مجيئه الثاني توفي هناك

وتوفي المقتدي فجاة سنة ٤٨٧ بعد ان قام على الخلافة عشرين سنة

الفصل السابع والعشرون

المستظهر بالله

دخل المستظهر على الخلافة سنة ٤٨٧ هجرية وهو حينئذٍ في السادسة عشرة واستقر عليها الى سنة ٥١٢ . ومن ثم توفي فكانت مدة خلافته ٢٥ سنة

الفصل الثامن والعشرون

المسترشد بالله

بويع المسترشد في سنة ٥١٢ هجرية . وفي سنة ٥٢٩ عمل السلطان مسعود السلجوقي على الخصومة فحارب الخليفة وبالقرب من همذان قهر الخليفة واخذ اسيرًا

وتوفي المسترشد بالله وهو ابن ٣٣ سنة بعد ان بقي على التخت ١٧ سنة

الفصل التاسع والعشرون

الراشد بالله

وخلف الراشد اباه المسترشد سنة ٥٢٩ . ومن حيث ان الراشد عمل على العزيمة على السلطان مسعود جاء السلطان المشار اليه بعسا كره وطوق بغداد فحاصرها خمسين يوماً زادت في اثنائها الفتن ولما لم يقدر ان يستولي عليها رجع الى النهروان ومن هناك عاد ثانية الى بغداد وفي هذه المرة استولى عليها . ولما كان الخليفة الراشد قد سار الى الموصل بويع المتقي لامر الله وقد قام الراشد على الخلافة سنة واحدة

الفصل الثلاثون

المتقي لامر الله

وقعت خلافة المتقي في سنة ٥٣٠ واما الراشد بالله فاتفق مع الملك داود وعبد الرحمن طغرل بك وجاءوا لمحاربة السلطان مسعود . فانتصر عليهم السلطان مسعود . وبقي الراشد بعد ذلك منفرداً . فمات شهيداً في اطراف اصفهان من يد واحد من اصحاب مذهب الباطنية

وكثر الفساد في بغداد لكن بهمة بهروز الذي اقامه السلطان مسعود عليها اعيدت الراحة الى الوجود

وحوصرت بغداد من طرف السلجوقية انما وقعت المصالحة فرجعوا عنها وفي سنة ٥٥٥ هجرية توفي المتقي وهو في السبعين

الفصل الحادي والثلاثون

المستنجد بالله

جلس المستنجد في مقام الخلافة سنة ٥٥٥ . و بعد مرور مدة قصيرة تخلص ما كان باقياً من املاك الخلافة العباسية في يد السلجوقيين والاتراك وفي زمانه حدثت زلزلة كبيرة خربت كثيرًا واوقعت خسائر جمة بضواحي الشام

ومن بعد جلوس المستنجد باحدى عشرة سنة توفي وهو ابن ٥٨ سنة وكان شجاعاً محباً للرعية

الفصل الثاني والثلاثون

المستضيء بنور الله

دخل المستضيء على الخلافة في سنة ٥٦٦ هجرية . وفي ذلك الحين استقل صلاح الدين الايوبي الذي كان وزيرًا على مصر وخطب لنفسه وفي زمانه ايضاً فرَّ الوزير الذي كان على بغداد تحت اسم فايماز بعد ان احدث فيها عدة شرور . ولما كان قد بقي في الصحارى بدون ماء هلك مع اتباعه

وتوفي المستضيء في السنة السادسة من خلافته

الفصل الثالث والثلاثون

ناصر الدين

تولى ناصر الدين على الخلافة سنة ٥٧٢ هجرية وفي زمانه ارسلت الجنود على بعض الامراء الذين ظهروا بطريقات مختلفة في القطائع

الاسلامية و بذل الهمة الى الاصلاح

وفي سنة ٦١٦ زحف جنكيزخان التتاري الى اسيا الوسطى فكان عليها الافة الكبرى ٠ومن المدهش ان جميع الجيوش التي ارسلت الى محاربته ومنعه من الاستيلاء انهزمت تماماً في كل طرف

وطرأ على الخليفة الكفاف في آخر عمره وتوفي في سنة ٦٢٢٠ وكان غاية في العلم والفضل

الفصل الرابع والثلاثون

الظاهر بالله

استلم الظاهر بالله الخلافة في سنة ٦٢٢ هجرية. وبدأ بالاعمال بان عدل وحلم ٠فرد الاملاك والعقارات الى اصحابها . لكنه توفي في نفس السنة التي تولى فيها الخلافة وهو ابن ٥٢ سنة

الفصل الخامس والثلاثون

المستنصر بالله

ومن بعد الظاهر قبض على ازمة الخلافة المستنصر وذلك في سنة ٦٢٢٠ وكان عادلاً جداً ديناً٠قام بخيريات كثيرة وحسنات عميمة وابتنى عدة مكاتب ومدارس وجددت على نوع ما حياة العلوم والفنون وعند وصوله من سنة ٥٢٠ من عمره توفي اي في سنة ٦٤٠

الفصل السادس والثلاثون

المستعصم بالله

جلس المستعصم على سرير الخلافة في سنة ٦٤٠ هجرية٠وفي زمانه

كان تدبير امور الدولة بيد ابن علقم العلوي وزيرهُ . وكان ابن علقم هذا يجتهد لاحياء الدولة العلوية ومحو الدولة العباسية . فكتب الى هلاكو ابن جنكيزخان يرجوهُ الاستيلاء على بغداد . وقد اختلق بعض حوادث بعث لاجلها العساكر الموجودة في بغداد الى الخارج فاصبحت المدينة محرومة من كل انواع الدفاع . وجاء هلاكو قاصداً بغداد

فبعث الخليفة ببعض العساكر لملاقاته فانهزمت امامهُ . وقد امتدت الحرب الى خمسين يوماً . وفي النهاية حمل المستعصم اسيراً الى هلاكو

واوقع هلاكو القتل العام في اهالي المدينة فكان من ذلك ختام الدولة العباسية فيها

وتوفي المستعصم في سنة ٦٥٦ هجرية . وكان ديناً ورعاً . انقرضت الدولة العباسية في ايامه

استطراد

كانت مدة الخلفاء العباسيين في بغداد ٥٠٨ سنين قام فيها منهم ٣٧ خليفة . وكانت نجوم هذه الدولة في طلائع ايامها زاهية زاهرة سواء كان من جهة المعارف وترقيها او من جهة توسع حدودها وامتدادها . وما لبثت ان اخذت بالسقوط شيئاً فشيئاً

وفي تلك المدات كانت مدينة بغداد محط رحال معارف العالم . تتقدم فيها كل انواع الاداب والعلوم والفنون حتى اصبحت مركزاً لاستعداد العرب وفيضان اجتهاداتهم العلمية . ولم يمكن لكل الخلفاء الذين تعاقبوا على الخلافة من بعد المامون ان كان من معاملة ملوك الترك او من نفوذ المتغلبين ان يدبروا امور الدولة . ولذلك حسب زمن خلافاتهم زمن اضمحلال الدولة التدريجي

وعند استيلاء هلاكو على بغداد كانت بقايا نور المعارف القديمة

الاسلامية و بذل الهمة الى الاصلاح

وفي سنة ٦١٦ زحف جنكيزخان التتاري الى اسيا الوسطى فكان عليها الافة الكبرى ٠ومن المدهش ان جميع الجيوش التي ارسلت الى محاربته ومنعه من الاستيلاء انهزمت تماما في كل طرف

وطرأ على الخليفة الكفاف في آخر عمره وتوفي في سنة ٦٢٢٠ وكان غاية في العلم والفضل

الفصل الرابع والثلاثون

الظاهر بالله

استلم الظاهر بالله الخلافة في سنة ٦٢٢ هجرية. وبدأ بالاعمال بان عدل وحلم ٠فرد الاملاك والعقارات الى اصحابها . لكنه توفي في نفس السنة التي تولى فيها الخلافة وهو ابن ٥٢ سنة

الفصل الخامس والثلاثون

المستنصر بالله

ومن بعد الظاهر قبض على ازمة الخلافة المستنصر وذلك في سنة ٦٢٢٠ وكان عادلاً جداً ديناً٠ قام بخيريات كثيرة وحسنات عميمة وابتنى عدة مكاتب ومدارس وجددت على نوع ما حياة العلوم والفنون وعند وصوله من سنة ٥٢ من عمره توفي اي في سنة ٦٤٠

الفصل السادس والثلاثون

المستعصم بالله

جلس المستعصم على سرير الخلافة في سنة ٦٤٠ هجرية.وفي زمانه

كان تدبير امور الدولة بيد ابن علقم العلوي وزيره. وكان ابن علقم هذا يجتهد لاحياء الدولة العلوية ومحو الدولة العباسية. فكتب الى هلاكو ابن جنكيزخان يرجوه الاستيلاء على بغداد. وقد اختلق بعض حوادث بعث لاجلها العساكر الموجودة في بغداد الى الخارج فاصبحت المدينة محرومة من كل انواع الدفاع. وجاء هلاكو قاصداً بغداد

فبعث الخليفة ببعض العساكر لملاقاته فانهزمت امامه. وقد امتدت الحرب الى خمسين يوماً. وفي النهاية حمل المستعصم اسيراً الى هلاكو واوقع هلاكو القتل العام في اهالي المدينة فكان من ذلك ختام الدولة العباسية فيها

وتوفي المستعصم في سنة ٦٥٦ هجرية. وكان ديناً ورعاً. انقرضت الدولة العباسية في ايامه

استطراد

كانت مدة الخلفاء العباسيين في بغداد ٥٠٨ سنين قام فيها منهم ٣٧ خليفة. وكانت نجوم هذه الدولة في طلائع ايامها زاهية زاهرة سواء كان من جهة المعارف وترقيها او من جهة توسع حدودها وامتدادها. وما لبثت ان اخذت بالسقوط شيئاً فشيئاً

وفي تلك المدات كانت مدينة بغداد محط رحال معارف العالم. تتقدم فيها كل انواع الاداب والعلوم والفنون حتى اصبحت مركزاً لاستعداد العرب وفيضان اجتهاداتهم العلمية. ولم يمكن لكل الخلفاء الذين تعاقبوا على الخلافة من بعد المامون ان كان من معاملة ملوك الترك او من نفوذ المتغلبين ان يدبروا امور الدولة. ولذلك حسب زمن خلافاتهم زمن اضمحلال الدولة التدريجي

وعند استيلاء هلاكو على بغداد كانت بقايا نور المعارف القديمة

تنار فيها

و بواسطة الاستيلاء المذكور فرّ المستنصر احد العباسيين من بغداد وجاء مصر. وكان وقتئذٍ على مصر الملك الظاهر فبايعهُ وقرأ الخطبة باسمه وضرّب السكة

فكان جملة من قام من الخلفاء العباسيين في مصر ١٤ خليفة

خلاصة

وكان الامويون بعد الحرب التي وقعت بين معاوية والامام علي و بعد استشهاد الامام حسين يبحثون عن كل من ينتسب الى حضرة النبي فيصلبونهُ و يقتلونهُ

وعلى هذا سنة ١٢٨ نهض على الامويين ابو العباس عبد الله السفاح من ذرية العباس عم الرسول وابو مسلم الخرساني وانتزعا الخلافة من ايديهم وعملا على محو الدولة الاموية وقتلا كل من وقع بايديهم منهم. وكان من هذه الذرية ٣٧ خليفة ومدة سلطنتهم ٥٠٨ سنين

١. عبد الله السفاح وهو الخليفة الاول في العباسيين ملك ٤ سنين و٩ اشهر

٢. جعفر المنصور اخو عبد الله السفاح كانت مدة خلافته ٢٢ سنة

٣. المهدي بن المنصور ملك عشر سنين وشهرًا

٤. موسى بن المهدي ملك نحوًا من سنة

٥. هارون الرشيد بن المهدي. كانت مدة خلافته ٢٣ سنة وشهرين وفي زمانه اجتمع جماهير الادباء والعلماء الى بغداد

٦. محمد الامين بن هارون الرشيد حكم ٤ سنين و٩ اشهر

٧. المامون بن هارون الرشيد. قام على الخلافة ٢٠ سنة و٨ اشهر وفي زمانهِ غزرت ينابيع المعارف والفنون

٨ً .محمد المعتصم بن هارون الرشيد ايضاً ملك ٨ سنين و٨ اشهر
٩ً . الواثق بالله بن المعتصم ملك ٥ سنين و٩ اشهر
١٠ً .المتوكل على الله بن المعتصم اخو الواثق بالله حكم ١٤ سنة و٩ اشهر
١١ .المنتصر بن المتوكل . حكم ٦ سنين
١٢ً .المستعين بالله .ملك ٣ سنين و٩ اشهر
١٣ً .المعتز بن المتوكل .ملك سنتين و٦ اشهر
١٤ً .المهتدي بالله بن الواثق .حكم ١١ سنة
١٥ً .المعتمد على الله .حكم ١٣ سنة
١٦ً .المعتضد بالله . حكم ٩ سنين و٩ اشهر
١٧ً .المكتفي بالله .ملك ٦ سنين و٧ اشهر
١٨ً .المقتدر بالله بن المعتضد .ملك ٢٤ سنة و١١ شهراً
١٩ً .القاهر بالله بن المعتضد .ملك سنة و٥ اشهر
٢٠ .الراضي بالله بن المقتدر .حكم ٦ سنين و١٠ اشهر
٢١ .المكتفي بالله بن المقتدر .حكم ٦ سنين و١١ شهراً
٢٢ .المستكفي بالله بن المكتفي .حكم سنة و٤ اشهر
٢٣ .المطيع لله بن المقتدر .ملك ٢٩ سنة و٦ اشهر
٢٤ .الطائع لله بن المطيع . ملك ١٧ سنة و١٠ اشهر
٢٥ .القادر بالله .ملك ٤١ سنة و٤ اشهر
٢٦ .القائم بامر الله بن القادر .حكم ٢٤ سنة و٦ اشهر
٢٧ .المقتفي .ملك ١٩ سنة و٥ اشهر
٢٨ .المستظهر بالله بن المقتفي .حكم ٢٥ سنة و٦ اشهر
٢٩ .المسترشد بن المستظهر .ملك ١٧ سنة وشهرين
٣٠ .الراشد بن المسترشد .ملك سنتين

تنار فيها

و بواسطة الاستيلاء المذكور فرّ المستنصر احد العباسيين من بغداد وجاء مصر. وكان وقتئذٍ على مصر الملك الظاهر فبايعهُ وقرأ الخطبة باسمه وضرّب السكة

فكان جملة من قام من الخلفاء العباسيين في مصر ١٤ خليفة

خلاصة

وكان الامويون بعد الحرب التي وقعت بين معاوية والامام علي و بعد استشهاد الامام حسين يبحثون عن كل من ينتسب الى حضرة النبي فيصلبونهُ و يقتلونهُ

وعلى هذا سنة ١٢٨ نهض على الامويين ابو العباس عبد الله السفاح من ذرية العباس عم الرسول وابو مسلم الخرساني وانتزعا الخلافة من ايديهم وعملا على محو الدولة الاموية وقتلا كل من وقع بايديهم منهم . وكان من هذه الذرية ٣٧ خليفة ومدة سلطنتهم ٥٠٨ سنين

١ . عبد الله السفاح وهو الخليفة الاول في العباسيين ملك ٤ سنين و٩ اشهر

٢ . جعفر المنصور اخو عبد الله السفاح كانت مدة خلافته ٢٢ سنة

٣ . المهدي بن المنصور ملك عشر سنين وشهرًا

٤ . موسى بن المهدي ملك نحوًا من سنة

٥ . هارون الرشيد بن المهدي . كانت مدة خلافته ٢٣ سنة وشهرين وفي زمانه اجتمع جماهير الادباء والعلماء الى بغداد

٦ . محمد الامين بن هارون الرشيد حكم ٤ سنين و٩ اشهر

٧ . المامون بن هارون الرشيد . قام على الخلافة ٢٠ سنة و٨ اشهر . وفي زمانهِ غزرت ينابيع المعارف والفنون

٨ . محمد المعتصم بن هارون الرشيد ايضاً ملك ٨ سنين و٨ اشهر

٩ . الواثق بالله بن المعتصم ملك ٥ سنين و٩ اشهر

١٠ . المتوكل على الله بن المعتصم اخو الواثق بالله حكم ١٤ سنة و٩ اشهر

١١ . المنتصر بن المتوكل . حكم ٦ سنين

١٢ . المستعين بالله . ملك ٣ سنين و٩ اشهر

١٣ . المعتز بن المتوكل . ملك سنتين و٦ اشهر

١٤ . المهتدي بالله بن الواثق . حكم ١١ سنة

١٥ . المعتمد على الله . حكم ١٣ سنة

١٦ . المعتضد بالله . حكم ٩ سنين و٩ اشهر

١٧ . المكتفي بالله . ملك ٦ سنين و٧ اشهر

١٨ . المقتدر بالله بن المعتضد . ملك ٢٤ سنة و١١ شهراً

١٩ . القاهر بالله بن المعتضد . ملك سنة و٥ اشهر

٢٠ . الراضي بالله بن المقتدر . حكم ٦ سنين و١٠ اشهر

٢١ . المكتفي بالله بن المقتدر . حكم ٦ سنين و١١ شهراً

٢٢ . المستكفي بالله بن المكتفي . حكم سنة و٤ اشهر

٢٣ . المطيع لله بن المقتدر . ملك ٢٩ سنة و٦ اشهر

٢٤ . الطائع لله بن المطيع . ملك ١٧ سنة و١٠ اشهر

٢٥ . القادر بالله . ملك ٤١ سنة و٤ اشهر

٢٦ . القائم بامر الله بن القادر . حكم ٢٤ سنة و٦ اشهر

٢٧ . المقتفي . ملك ١٩ سنة و٥ اشهر

٢٨ . المستظهر بالله بن المقتفي . حكم ٢٥ سنة و٦ اشهر

٢٩ . المسترشد بن المستظهر . ملك ١٧ سنة وشهرين

٣٠ . الراشد بن المسترشد . ملك سنتين

٣١. المتقي لامر الله بن المستظهر. ملك ١٤ سنة و١١ شهرًا

٣٢. المستنجد بن المتقي. ملك ١١ سنة

٣٣. المستضيء بنور الله بن المستنجد. ملك ٣ سنين و٨ اشهر

٣٤. ناصر الدين. ملك ٤٦ سنة و١١ شهرًا

٣٥. الظاهر بالله بن ناصر الدين. حكم ٩ اشهر و١٥ يومًا

٣٦. المستنصر بن الظاهر. ملك ١٨ سنة و١١ شهرًا

٣٧. المستعصم وهو اخر الخلفاء استقرّ على الخلافة ١١ سنة و٧ اشهر وفي زمانه انقرضت الدولة العباسية من هلاكو المغولي. ومن بعد وفاة المستعصم باربع سنين اعلن المستنصر من السلالة العباسية خلافتهُ على مصر. لكن كان هناك الاسم للخلفاء فقط. ولم يكن لهم قط نفوذ في امور الاحكام. وفي سنة ٩٢٢ استولى ياوز السلطان سليم على مصر. وحينئذٍ انتقلت الخلافة الى السلالة العثمانية الامينة في زمن المتوكل على الله

الباب الرابع

طوائف الملوك

وان كانت الدولة العباسية قد انقرضت في سنة ٦٣٦ للهجرة لكن قبل انقراضها تشكلت عدة حكومات .وهذه الحكومات وان كانت صغيرة بالنسبة للحكومة العباسية غير ان من المهم ذكرها ، وقد بلغ عدد الحكومات الموما اليها فوق العشرين تقريباً اهمها بنو اغلب والفاطميون وآل بو يه وآل ايوب

بنو اغلب

وكان في زمن هارون الرشيد قد ظهر عصيان في اطراف المغرب اي في فاس والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ولذلك أرسل الخليفة الى تلك الاطراف ابراهيم ابن اغلب وهو من المشهورين

وكان تحت ابن اغلب كثير من الجند فاخمد نيران الفتنة ولذلك وجهت اليه ولاية المغرب في سنة ١٦٩

ولم يمض الا القليل حتى استقل بنو اغلب ولم تكن هذه الحكومة ذات اهمية في اعين الخلافة العباسية ، وقد ثبتت منذ سنة ١٦٩ الى سنة ٢٨١ اي نحوًا من ١١٢ سنة قام في اثنائها من العائلة المذكورة ٩ امراء واخيرًا دخلت في طاعة الدولة الفاطمية التي ظهرت في مصر

ولم تكن حكومة بني اغلب ساطعة بهذا المقدار بين الحكومات الاسلامية الا انهم ارجفوا بهجماتهم ايطاليا والجزائر الواقعة بجوارها ومدوا نور المعارف في تلك الاطراف ولا سيما الفنون البحرية. فانها سارت في سبل الترقي كثيرًا. وبها اصبحوا حينئذٍ اصحاب البحر الابيض. واخر امراء بني اغلب ابو النصر

الفاطميون

ظهر في زمان المكتفي بالله العباسي في اطراف دمشق رجل اسمه سعد زعم انه من سلالة الرسول وادعى الخلافة لنفسه معلنًا ذلك الى العالم

فبعث الخليفة يبحث اليه ففر مع عائلته الى اطراف ولاية المغرب مختفيًا هناك الى ان وجد نوعًا من الراحة فجمع تحت قيادته الجماعات واستولى على طرابلس وتونس واطراف الجزائر وذلك في سنة ٢٨٧

وانكر سعد خلافة العباسيين مدعيًا ان حق الخلافة له

وعليه فيكون سعد قد شكل هذه الدولة التي سميت بالفاطمية. وكان مقر حكومتها في البداية مدينة القيروان لكن في زمن حكومة الملك الرابع منها اتخذت القاهرة من مصر قاعدة لهم

وقد امتدت هذه الحكومة من سنة ٢٨٧ الى سنة ٥٥٠ يعني اكثر من ٢٦٠ سنة. قام في اثنائها على الدولة المشار اليها ١٤ حاكمًا. واخر الحكام المذكورين كان عضد الدين ولما لم يكن من اولاد الله وقع في يد صلاح الدين الايوبي احد امراء الاكراد

وكانت الدولة الفاطمية بالحقيقة ساطعة بالمعارف بارقة بالعلوم. وكانت القاهرة تقارن بغداد وتناظرها يدرّس فيها كل انواع العلوم والفنون وابتني فيها المستشفيات والمكاتب وبيوت الصنائع. فاخرجت كثيرًا من

العلماء والاطباء وسطعت المدنية العربية لامعة في صحف تاريخها

آل بويه

جد هذه العائلة بويه ويلقب بابي شجاع . وهو من اهالي قطيعة اسمها ديلم واقعة بجوار بحر الخزر . وكان بويه المذكور فقيرًا جدًا وله اولاد ثلاثة علي وحسن واحمد . فكانوا لشجاعتهم موضوعًا للتعجب والاستغراب في اي معسكر دخلوه

وبسبب فتوحات علي وحسن فاز الشقي مرداويج بالامارة . وهما ايضًا حصلا على رتبة اميرية الوادي من طرف مرداويج . وكان الجميع يسرون من دراية علي وحسن ادارته . وقد نظما الجند واستوليا على محل ابي

واخيرًا صار الاستيلاء على اصفهان من اعظم واشهر مدن ايران

وان كان مرداويج يريدان ياخذامامه فتوحات علي الساطعة . الا ان عليًا استولى على شيراز الواقعة تحت ادارة ياقوت المتفق مع مرداويج واتخذها مقر حكومة . وبسبب ذلك وقعت المحاربة بينه وبين مرداويج ففاز علي على خصمه في كل الوقائع

وكان طرف ايران الجنوبي كاملاً في يد علي

وكذلك حسن اخو علي استولى على مدينة طهران وكان يقال لها اوانئذ (الوي) وبدأ بتشكيل دولة

واما احمد اخوهما فقد هيأ ايضًا حكومة العراق في اطراف العرب . وقد لقب احمد هذا باسم (معز الدولة) . وفي ذات مرت استولى على بغداد فائزًا على الخليفة المستكفي بالله . وهذه الحكومة التي تشكلت تحت اسم آل بويه جعلت العباسيين ينقادون لها عادة . وفي زمان آل بويه كان للخلفاء الاسم فقط

وقام على هذه الحكومة سبعة عشر حاكما وامتدت الحكومة المذكورة نحوا من ١٢٤ سنة اي من سنة ٣١٣ الى سنة ٤٣٧

وقد قلبت هذه الدولة من يد السلجوقيين

وفضلاً عن هذه الحكومات وان كان قد تشكل وتالف كثير من الحكومات الصغيرة جداً مثل آل نوشتكين وآل سامان وآل جلاير لكن شهرتها لم تصل الى درجة هولاء ٠ وآل بويه هم السبب باضمحلال الدولة العباسية

ومن هذه الحكومات التي عددناها اثنتان سببتا احداث القلاقل والفتن في قطيعة اسيا ٠ وعلى هذا الوجه لم يكن ممكنا وقوع الاتحاد بين المسلمين ٠ وما من شبهة قط انه لو وجد الاتحاد في مكان واحد بين الامة الاسلامية لامكنها اوانئذٍ ان تاخذ الدنيا تحت ادارتها

ونظرًا للضعف العارض في تلك الاثناء للدولة العباسية طفئت مصابيح تلك الفتوحات السابقة المنيرة ٠ ونزلت العساكر الرومانية الشرقية الى حد اطراف الخربوت والقدس الشريف

آل ايوب

انشأ هذه الحكومة في اطراف العراق والشام نور الدين الاتابكي الموصلي ٠ وقد ارسل عند ما اخذ الصليبيون القدس من المسلمين وضايق البعض من الافرنج مصر مجتهدين بمحو الاسلامية فرقة من العساكر امداداً لمصر تحت قيادة اسد الدين احد القواد

وكان الحاكم في ذاك الوقت على مصر عضد الدين من الدوله الفاطمية ولذلك اتخذ عضد الدين اسد الدين وزيرًا لنفسه

و بعد مضي مدة قليلة توفي إسد الدين المومإ اليه فعين مكانه احد

امراء الاكراد واسمه صلاح الدين

ولكن من حيث ان عضد الدوله توفي بلا عقب جلس صلاح الدين في مكانه على حكومة مصر واصبح الحاكم في راس هذه الحكومة

وعند وفاة نور الدين الاتابكي اضاف صلاح الدين الى حكومته ايضاً كلاً من الشام وحلب وديار بكر

صلاح الدين الايوبي

وكان صلاح الدين قد نزع منذ زمان من ايادي الافرنج حكومة القدس فعاد القسوس في اوربا فشوقوا النصارى الى الهجوم على المسلمين وعلى هذا زحفوا ثانية على القدس الشريف بجيش عظيم. وكانت هذه ثالث الحملات. وسمي هولاء اهل الصليب او الصليبيون لانهم كانوا يعلقون على صدورهم رسم الصليب. وانقض صلاح الدين على هولاء انقضاض الصاعقة. وبدد تلك الفرق التي كانت متجمعة بهذا القدر حتى كاد يوصلهم الى درجة الاضمحلال

وكان صلاح الدين نظراً لديانته وشجاعته معدوداً من كبار ملوك المسلمين. وقد حكم نحواً من ٢٢ سنة

ويقال لهذه الحكومة التي اسسها صلاح الدين الايوبي آل ايوب او الايوبيون. وقد استمرت حاكمة مدة ٨٠ سنة قام في اثنائها عشرة انفار منهم. ومر زمان العشرة حكام المذكورين بالوقائع مع الصليبيين

وان كان الصليبيون في ذات مرة هجموا على مصر واستولوا على مدينة دمياط لكن لما كان سان لويس احد ملوكهم قد اخذ اسيراً تركت المدينة المذكورة فدية عنه اي في مقابل اطلاق سراحه

واخر حاكم من الايوبيين كان مظفر الدين طرد من الوزير ولهذا انقطعت دولة الايوبيين ومن بعد اعتزال مظفر الدين أُلف في مصر حكومة جديدة قيل لها حكومة الغلمان . وقد قام من هولاء ٢٤ حاكمًا . وان كانت حكومتهم قد استقامت نحوًا من ١٤٠ سنة لكن لم يكن لهم اطراد في الادارة

ومن بعد اولئك وقعت قطيعة مصر في ايدي الامراء الجراكسة

خطة مصر

ومن ثم دخلت مصر بعدئذٍ في يد الدولة العثمانية في زمان حضرة ياوز السلطان سليم احد سلاطينها . وكان حينئذٍ في مصر المتوكل على الله تحت اسم الخليفة وفي يده الامانات النبوية

وبسبب اخذ السلطان سليم الامانات الشريفة برضا الخليفة المشار اليه نقلت الخلافة الى يد السلاطين العثمانيين وحملت الامانات المقدسة المذكورة الى استانبول ومن ثم صارت مصر ايالة تابعة لدولتنا العلية (كما ياتي في بابه)

لكن في زمان حضرة ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ادخلت بصفة ولاية ممتازة بشرط ان يحكم عليها العائلة الحاكمة الان بالتسلسل واعطي لقب خديوي لكل حاكم منها والايالة المذكورة تدفع معينًا سنويًا لدولتنا

بنو أُمية في اسبانيا

كان مروان اخر خليفة من بني امية وكان قد غلب تجاه عبد الله السفاح بجوار ماء الزاب وعليه كما تقدم تجددت قوة العباسيين وانتهت الدولة الاموية

ولما كان العباسيون يكرهون الامويين لسبب وقعة الحسين كانوا اينما وقعوا بواحد منهم اي من الامويين قتلوه

وكان موجوداً في الكوفة اذ ذاك حفيدا هشام الخليفة الحادي عشر من الامويين فامر عبد الله بقتلهما ايضاً واخذ بالتفتيش عليهما

ولما كان عبد الرحمن احد الحفيدين غائباً عن منزله اثناء التحري وقد بلغه الخبر فرّ الى افريقيا . ومع انه بقي هناك مدة ست سنوات باسم جعفر المنصور بقي التفتيش جارياً عليه من العباسيين واخيراً قصد اسبانيا .

وكانت اسبانيا حينئذٍ في يد المسلمين ونظراً لبعدها عن مركز الخلافة كان النظر في ادارتها يصعب جداً . وفي الزمان الذي عزم عبد الرحمن فيه الدخول الى اسبانيا كانت القلاقل والفتن واقعة بين الاهالي

وما لحق ان انتشر الخبر بان احد بني امية يقصد اسبانيا حتى أسرع الكثير الى استقباله من بعض الاطراف ودعوه فلبى دعوتهم

الا ان الامير يوسف الذي كان قائماً على الفتوحات في اسبانيا ساق جيشاً على عبد الرحمن . فضربه عبد الرحمن والجئه الهرب الى البورتغال وعلى هذا بقيت حكومة اسبانيا في عهدة عبد الرحمن

حكومة عبد الرحمن

ونهض الامير يوسف على عبد الرحمن مرتين فقهر وغاب واخيراً قتل . ووقع في زمانه بعض اختلالات داخلية محاها جميعها بغيرته وهمته . وانشأ عمارة صغيرة قامت لمنع المرور الى قطيعة اسبانيا وبسبب ذلك خلص تلك النواحي من الاضطراب والفتن

وذهب الامير قاسم احد اولاد الامير يوسف الى المانيا فحرك كارلس

الكبير المشهور على عبد الرحمن . فزحف الملك كارلس المذكور على اسبانيا غير ان الشجاع عمر ابن عبد الملك قائد سرقسطه اجبره الى الرجوع بعد ان تركه في حالة تعيسة

ومع ان اولاد الامير يوسف بثوا جراثيم الاختلال في كل طرف لم يتوفقوا قط . وبعد ان اخمد عبد الرحمن نيران الفتن قرأ الخطبة لنفسه وضرب السكة في قرطبة

وفاته

ملك عبد الرحمن ٢٢ سنة وتوفي في سنة ١٧٢ هجرية . وعهد من قبل وفاته بولاية العهد الى هشام اصغر اولاده

وكان من مزاياه الحميدة انه يفضل العفو والمرحمة على الانتقام وقد اظهر الاقتدار العظيم جدًّا في ادارة المملكة حتى انه خفف مصالح الحكومة قاطعًا اسبانيا الى ست ايالات

وابتنى الموانى في اكثر سواحل اسبانيا . وعمرت تلك الاقطار بما انشاه من الطرق والجداول وعيون المياه والحماميم ونحوها . وقد تقدم فن الزراعة فوق العادة حتى لم يبقَ مقدار ذراع بدون زرع

ولما كان محبًّا للعلم انشا في قرطبة عدة محلات للكتب وفتح المدارس في كل ناحية واجتهد بنشر العلوم حتى الى حين وفاته وهكذا اصبحت الاندلس في مركز ادهش جميع العالم بعد زمان قصير من اثر هذا الامير الحكيم وكان نظرًا لرغبته بالعلم والفضيلة معدودًا من كبار ملوك المسلمين

هشام بن عبد الرحمن

ملك هشام بن عبد الرحمن في سنة ١٧٢ وهو في الثلاثين من عمره وكان لعبد الرحمن ثلاثة اولاد ولما كان هشام اصغرهم حسده اخواه فضايقاه و بذلك تكدرت راحة اسبانيا وظهر فيها الاختلال. لكن بهمة هشام وحسن تدبيره أُجبر الاثنان الى الطاعة

وفي زمانه فتح الحرب عليه مسيحو استوريش فأُخذوا غنيمة

وفاته

وارتحل هشام الى دار الاخرة في سنة ١٨٠ اي في السنة السابعة من ملكه. ولما كان غايةً في الفضل والعلم بذل معظم غيرته وجده في نشر العلوم والفنون

وقد عم اللسان العربي الى درجة قصوى فلم يعد يقرا هناك اللسان اللاتيني. وتعلم جميع النصارى اللغة العربية

وتمم بناء الجامع الذي كان بدأ بانشائه ابوه وهذا الجامع هو من اول اثار العرب

الحكم

ولم يلبث ان جلس الحكم على التخت حتي اظهر عماه العصيان وكذلك هاجمهُ من الخارج ملك فرنسا وعليه فقد تاخر في الاول لكنه اخيراً ازحف على عميه فبددهما. وهذا من اهم وقائعه

وفاته

ومن ثم توفي في سنة ٢٠٧ هجرية وقبل وفاته عهد بولاية العهد الى

ابنه عبد الرحمن

عبد الرحمن الثاني ابن الحكم

ولما كان عبد الرحمن قد بذل ما في الوسع من الخدمة واللياقة عندما كان وليًّا للعهد صادف توليه حسن القبول من الاهالي . غير ان عمه عبد الله الذي كان قد هيا العصيان منذ زمان الحكم فلكي ان يجرب في هذه المرة طالعه ايضًا خرج ثائرًا . فادركه عبد الرحمن بقوة كافية وحاصره في بلنسية واخيرًا سلم عبد الله متخليًا عن دعواه

واما الجيوش الفرنسوية فقد تجاوزت الحدود من جهة ثانية . فسيقت عليهم الجيوش لاجل الدفاع

وكذلك سيقت الجنود ايضًا على الفونس ملك استوريش فالزمته الطاعة

ونظرًا لعصيان اهالي مرده الذي نشأ عن اغواء بعض المامورين وتحريك الاجانب حمل عليهم . وكذلك استولى عبد الرأوف من وزراء عبد الرحمن على بلد تولد و يقال لها (طليطلة) .

ولما كان رودمير الذي قام في مكان الفونس ملك استوريش قد بدأ بالفساد ارسل عليه الجند

واما الاسطول الذي انشيء بهمة عبد الرحمن اظهر قوته في مينا مرسيليا وفي كل من جزائر كريد وسيجيليا وساردينا

وفاته

وعند ما بلغ الملك عبد الرحمن الخامسة والستين من عمره توفي وذلك في سنة ٢٣٨ هجرية وكانت مدة سلطنته ٣١ سنة

وبماانه كان ركنًا حصينًا للمعارف وصلت في زمانه الى اعلى درجة من الترقي

ولما كانت مدينة قرطبة عاصمة دولة المسلمين في اسبانيا بعيدة عن الحدود انشئت البوسطات في ذلك الزمان

وقد عمرت كل تلك الاطراف ٠ وانشئت الاساطيل في معامل قرطجنة وقاديس وغيرهما وفتحت معامل الاسلحة وكانت المهمات الحربية على الدوام مهيأة

ومن جرى القحط العظيم الذي وقع في زمانه صرف معظم العدالة بافراغ خزينة الدولة على احتياج الاهالي ٠ وقد اكتسب وقعًا رفيعًا فيما بين سلاطين المسلمين

محمد بن عبد الرحمن

دخل محمد بن عبد الرحمن على تخت ابيه سنة ٢٣٨ ٠ وفي بدء جلوس هذا الملك عادت قطيعة استوريش الى الثورة فاشتغل باخمادها مدة سنين ٠ وهاجمه الفرنسويون ايضًا من الطرف الاخر فبددهم بالقوة التي ساقها عليهم ٠ غير ان بسبب انهزام عساكر المسلمين في اطراف استوريش ادركهم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن فقهقرهم جميعًا

ومن جرى الاختلال الذي ظهر مدة سنة ونصف في تلك الاطراف انطلق في هذه المرة محمد بالذات على الثائرين فبدد شملهم

ولما كان قد ابتدأ الشقي عمر بن حفص بالشقاوة في قلعة تدعى روطة اليهود سار اليه محمد بالذات الا ان عمرًا غش الملك بحيث قدم قدرًا من الجند ليحارب بهم الفرنج الذين في الاطراف ٠ فاضاف اليه محمد فرقة من الفرسان ٠ وفي ذات ليلة اوقع عمر بفرسان المسلمين وعاد

ثمة الى شقاوته ولذلك بعث عليه بابنه المنذر

ونظرًا لشجاعة المنذر واقدامه تشتت شمل عمر واصحابه وفرّ عمر وتمكن من الدخول الى اراضي فرنسا

وفي ذاك الوقت غرق الاسطول الذي ارسل الى جهات جليقية تحت رئاسة ابن عبد الحميد امير البحر. ومن اجل ذلك تقدمت جيوش الافرنج من احدى جهات المملكة وهاجمتها. فبعث على هولاء المنذر فالتقى بهم عند ضفة نهر دورو وهناك انتشبت حرب هائلة

وفي زمانه حدثت الزلازل العظيمة وهدمت المدن الكثيرة وظهرت علة الطاعون المخيفة المهلكة ومات فيها الخلق الكثير من الاهالي

واما ابن حفص الذي في فرنسا فقد هاجم اسبانيا مع جيوش النصارى فخرج عليهم محمد و معه المنذر ولده فدقهم وفي هذه الحرب قتل عمر بن حفص

وفاة محمد

وبلغ محمد بن عبد الرحمن الخامسة والستين وتوفي في سنة ٢٧٢ بعد ان استمرت سنو سلطنته ٣٤ سنة

وبما انه كان على الدوام مشغلاً بالحروب لم يظهر في زمانه الى الوجود آثار علمية تعود على المملكة بالترقي

المنذر بن محمد

لقد مرّ زمان هذا الملك الشجاع بقتال غالب الشقي احد اولاد حفص ولما كان غالب قد استولى على طليطلة سيقت عليه الجيوش وعليها هشام ابن عبد العزيز غير ان هشامًا اخذ من غالب بحيلة فدخل طليطلة. وكان غالب قد اخفى في المدينة المذكورة جماعته فنهضوا بعد دخوله بقليل على

عساكره واوقعوا بهم

ولما اتصل الخبر بالمنذر زحف على غالب وتحته القوات العسكرية فلم يقدر غالب ان يثبت امامه و يقاومه بنفسه فاشغل المسلمين بالمناوشات سائقاً الفرق الصغيرة الى الاطراف فقط

استشهاده

وقع الملك المنذر شهيداً اثناء هجومه على غالب في سنة ٢٧٥. فكانت مدة حكمه ثلاث سنين وهو مشهور بالشجاعة والهمة العالية

عبدالله بن محمد

دخل عبد الله على المملكة في سنة ٢٧٥ هجرية. وفي ايامه خرجت فتن غالب الى الوجود وكان مع المفتنين ايضاً قاسم احد اولاد عبد الله ولما انتشبت الحرب قتل فيها قاسم المذكور. واخيراً اجبرت العساكر التي سيقت وعليها عبيد الله العمري غالباً ان يقفل الى طليطلة

وكان عبد الرحمن بن عبد الله صاحب اخلاق رضية حسنة متضلعاً بالعلوم متفنناً

وفاته

وقد توفي عبد الله في سنة ٣٠٠. وهو مشهور بالسخاء والشجاعة. وقد اتخذ قبل وفاته عبد الرحمن ولياً للعهد

عبد الرحمن الثالث

جلس عبد الرحمن الثالث على عرش اسبانيا في سنة ٣٠٠

واما غالب فقد تحصن في طليطلة. ولما كان قد تعرض الى بعض من

في تلك الجهات سار اليه عبد الرحمن بالذات ومع ان جيش حفص قد تفرق بحالة تعيسة فقد تخلص هواي غالب. وفي سنة ٣٠٣ اخذ الى الطاعة في اطراف البيرا . وكذلك قد انقاد الى الطاعة اهالي سرقسطة الثائرون . ولما كان غالب بن حفص قد ارسل رسالة يشير فيها الى وجوب شطر اسبانيا الى قسمين اعطي الامان الى مدة شهر فاذا جاء يعفى عنه و بعد ايام غير قليلة مرت على ابن حفص وهو عائث بالفتن والثورات توفي تاركًا في مكانه اولاده . وفي النهاية اخذت طليطلة

وزحف جعفر بن غالب حفيد حفص على الملك عبد الرحمن وكان قد كاتب حاكم ليون. فادركه بالجند . وكان قد انتصر في جوار سمورة فاشتد باعه لكنه في سنة ٣١٨ سيقت عليه الجيوش بكثرة فتقهقر وتبدد الجيش الذي تحته

وفي تلك الاثناء سيقت العساكر الى اطراف فاس فلم تحرز التوفيق ومع ان رودمير الثاني ملك ليون قد تقهقر في الحرب لكن بعد مرور ثمانية اشهر تمكن من الدخول الى قلعة سموره . فهوجم هناك ايضًا ونزعت القلعة منه تكرارًا

واخيرًا لم يبقَ اثرٌ لاولاد حفص

وفاته

ومن بعد ان امتد حكم عبد الرحمن نحو خمسين سنة تقريبًا توفي وهو في الثالثة والسبعين

ودخلت الجيوش في زمن سلطنته جبال بيرانه وارجفت حكومات النصارى هناك

وفي اواخر سلطنته حارب الفاطميين . ومع انه كان قد استولى على مدينة تونس غير ان التوفيق لم يبقَ في جهته . وكان في اكثر حروبه

يتولى امر القيادة على الجند بنفسه

وبواسطة اهتمام هذا الملك صاحب الهمة العالية انتشرت مصنوعات ومحاصيل اسبانيا في كل من اسيا وافريقيا. ووجد في خزينة الدولة نحواً من مليار من الليرات

ومن الانشاءات التي لا نظير لها في الدنيا السراية (مدينة الزهراء) التي انشئت بجوار مدينة قرطبة

واذ كان حليماً عالي الجناب كان يعفو عن كل طالب عفو. وقد كتب المشار اليه رسالة يقول فيها ما مفاده. اذا كنت قد عشت في الدنيا فاربعة عشر يوماً (سبحانه وتعالى)

الحكم الثاني

وجلس الحكم على تخت اسبانيا في سنة ٣٥٠ وهو في السابعة والاربعين ومن بعد سنتين فتحت الحرب على ملك ليون واخذت المدن مثل سموره وشلمنكه ومن ثم عقد الصلح وعادت الراحة وعم السكون

وفاته

ودامت مدة الحكم الثاني على الدولة ١٥ سنة ارتحل في نهايتها الى الاخرة وهو في الثانية والستين

وكان محباً للعلوم فاضلاً راج في زمانه سوق العلماء والاطباء والادباء واصبحت قطيعة اسبانيا مركزاً لمدنية البشر وشكلت فيها جمعية العلماء

ومما هو مثبوت في التواريخ انه وجد في المكتبة التي ابتنيت في قصر مروان نحواً من ٦٠٠ الف مجلد من المؤلفات العظيمة وقد ندر وجود ملك متفنن محب للمعارف الى هذه الدرجة في تلك الازمان كالحكم الثاني

والخدمة التي قام بها تجاه الامة الاسلامية تجعل اسمه غير منسي من خاطر المسلمين الى يوم القيامة

لكن وا اسفاه ان هذه المكتبة قد اندثرت ومحي اثرها اثناء هجوم الافرنج وعلى هذا الوجه تكون قد ضاعت مساعي البشر التي صرفت في تاليفها وجمعها في مئات من السنين وهدمت اركان العلماء وفقدت نعمتهم وذخيرتهم من جرى ذلك

وبسبب فساد الاخلاق والمعاشرات والسفاهات التي نشأت مع ذلك في زمانه و بسبب ظهور الاوبئة المهلكة اعتبر زمان زوال دولة الاندلس منذ هذا التاريخ

وهكذا تكون المدنية التي ظهرت في اوربا من بعد ذلك محسوبة من بقايا المدنية العربية . وقد ترجمت الكتب التي وجدها الاوربيون الى اللاتينية وعلى هذا الوجه ادخلوا فيما بينهم العلوم والفنون

هشام

تولى هشام على عرش ابيه في سنة ٣٦٥ وبما انه كان في الحادية عشرة عهد بتدبير المملكة الى امه صبيحة

ونظرًا لذكاء وتعقل صبيحة أديرت مصالح الادارة بحكمة حقيقية وقد سلمت تلك المصالح الى ايدي رجال من ذوي الدراية

وقد اقام محمد المنصور وزير المملكة بتدبير كل نوع من امور الادارة بكياسة وحكمة ممتازتين

وقد بدد المنصور المذكور جيوش الفرنج وردجيوش الصليبيين الذين زحفوا على المسلمين بحالة سيئة . واظهر للعالم المسيحي شجاعته الفطرية

نازعاً منهم مدينة اميون. وكان ابن المنصور ايضاً شجاعاً وحكيماً فلم يرضَ ان يبقى دون ابيه همة. وقد قام المنصور باكثر من خمسين وقعة انتصر فيها جميعها ولكنه استشهد اخيرًا اثر جرح اصيب به سنة ٢٩٢. وكان عند وفاته في الخامسة والستين وهو من الرجال النادري المثال بين المسلمين

ومن بعد المنصور استوزر ابنهُ عبد الملك وهذا كان كابيه عاملاً على ترقي اسم الاسلامية وترفيع شأن حكومتها

ومن بعد وفاة عبد الملك هذا الغت صبيحة هذا النظام. وذلك لان محمد بن عبد الجبار الذي اتخذتهُ وزيرًا في مكان عبد الملك عمل على كل انواع الحيل ليجعل لنفسه ولاية العهد واخيرًا قبض على ازمة الحكومة وعليه ظهرت فتنة كبيرة تحت رئاسة رشيد بن سليمان حفيد عبد الرحمن الثالث. ومن بعد محاربات كثيرة قتل رشيد فسار الثائرون الى طليطلة. ونهض سليمان اخو رشيد فاخذ القيادة لنفسه وطلب الامداد من الافرنج. ومن ثم هجم على محمد ونزع السلطنة من يده

وحينئذٍ الجيء محمد ايضاً الى طلب الامداد من الافرنج وهجم على سليمان. وفي تلك الاثناء رجع هشام ثانية الى تخت ابيه

صورة وفاة هشام

ولم يلبث سليمان ان شعر بهجوم محمد حتى اخذ من خوفه اموال الخزينة وفرّ وفيما كان ذاهباً الى افريقيا ادركتهُ عساكر محمد فاشتبك بينهما القتال وغلب محمد غلبة غير مامولة

وعليه فالتجأ محمد الى مدينة قرطبة فقتله هشام وارسله الى سليمان وفي الحال اتحد سليمان وعبد الله بن محمد وهجما على هشام فقتل ايضاً ابن محمد اثناء الحرب

ووقع في قرطبة القحط الشديد فوقع من ذلك ومن الوباء الذي ظهر ايضاً باليأس والضيق جميع الاهالي

فاغتنم سليمان هذه الفرصة وهجم على قرطبة وامر بنهب المدينة وفي ذاك الوقت فقد هشام

وقد قتل اثناء هذه الحوادث كثير من العلماء والادباء ولحق بدولة بني امية من ذلك زيادة انحطاط وضعف

سليمان المتغلب

و بناء على ما تقدم قبض سليمان على ازمة الاحكام . ولكي يحفظ لنفسه دوام السلطة بعد ان خطب له قسم الاندلس الى عدة ايالات ونصب عليها الولاة من رجاله وكان كلٌّ من الولاة مستقلاً بذاته

ولما كان الاهالي يرغبون في العائلة الاموية سار حيران وزير هشام الى عليّ بن حمود حاكم افريقيا اوانئذٍ وشوقه للايقاع بسليمان فاجابه . واجتاز الى اسبانيا وقتل سليمان ونظراً لغياب هشام اخذ السلطنة لنفسه

والذي نراه منذ ذلك الحين ان هذه الاحوال قد حيرت المسلمين وكانت علائم اليأس والاسف تنظر في كل ناحية . وعلى هذا الوجه كان الفساد والفتن واقعاً فيما بينهم اي فيما بين المسلمين . و يعتبر من هذا التاريخ بدء زوال الدولة الاسلامية في اسبانيا

علي بن حمود

وحالما استقرّ علي بن حمود علي اسبانيا ابعد عنه حيران قاصداً ان يخرج نفوذه من بين الاهالي

وعند ما راى حيران ما عامله به ابن حمود فلكي يكيده غير الافكار في شانه

فنشر بين الناس ان ابن حمود جاء اسبانيا بقصد المحافظة على حقوق بني امية مع انه اغتصب تلك الحقوق لنفسه ونادى مشوقاً العالم الى الخروج عليه ولذلك بايع الاهالي الموجودون في اطراف الجنوب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار. ولما اتصل ذلك بابن حمود اخرج الجند من قرطبة قاسماً اياه الى قسمين فارسل بالقسم الواحد على عبد الرحمن وسار بالثاني على حيران. وان كان من نتيجة هذه الحرب ان قتل حيران وتقهقر جيش عبد الرحمن لكن ذلك زاد الخلق محبة في بني امية واخيراً في سنة ٣٩٦ خنق ابن حمود وهو في الحمام

حكومة عبد الرحمن وقاسم بن حمود

ومن بعد هذه الوقعة كثر اصحاب عبد الرحمن الا ان العساكر الموجودة في قرطبة بايعت قاسم بن حمود في مكان اخيه. وعليه سحب يحيى بن حمود الجيوش من افريقيا يطلب الاستفادة من حق الوراثة وهجم على قاسم فدق جيشه وفرّ ولما كان قاسم يعامل الاهالي بكل انواع الجفاء دعوا يحيى الى تخت ابيه

واما الجند الذي ارسل على عبد الرحمن فاستانف ملاحقته بالقتال وقد قام بعدة وقائع كان من نتيجتها انه وقع شهيداً ومن جرى استشهاده وقع الناس بالقنوط

وعليه بايع اهالي جنوب اسبانيا هشام الثالث من العائلة الاموية وكان هشام قد ارسل بالاوامر المشددة الى الولاة ففضلاً عن انه لم يصغ اليه ولا واحد منهم فقد قضى شهيداً

وكذلك المستكفي بالله الذي جلب الى التخت من بعده مات مسموماً من جراء سوء الادارة

ومن بعد المستكفي بالله بويع هشام بن محمد بن عبد الجبار ولم

يكن يقبل في بدء الامر الجلوس على التخت ولكنهم اصروا عليه كثيرًا فاجابهم. وحالاً ذهب الى الحدود ونزع من ايدي النصارى كثيرًا من المواقع

ومن ثم رجع الى قرطبة وارسل بالاوامر المشددة الى جميع الولاة ولما راى ان ولا واحد منهم اجابه استعفى. وتخلى عن السلطنة في سنة ٤١٠ هجرية

مطالعة

وكان الاضطراب والفساد والفتن التي دخلت بين المسلمين سببًا لزوال حكومتهم من اسبانيا نهائيًا كما ياتي

ومن بعد استعفاء هشام لم يقم احد قط من العائلة الاموية وانحلت عرى الاتحاد التي كانت قائمة بالقراءة . وانفصلت الى احدى عشرة حكومة. وقد اعلن اهالي قرطبة ملكية جوهر بن محمد من الامراء

ولما كان جوهر بن محمد كثير الغيرة والحمية ذا شجاعة واقدام بعث في الحال بالاعلانات المؤثرة الى الولاة فقوبل بعدم الاصغاء حتى ولا من واحد منهم

وحينئذٍ انتخب جوهر مجلسًا عموميًا وعهداليه بخدمة تسهيل المقاصد وترويج امور العباد .حتى ان المجلس المذكور كان ناظرًا وحاكمًا عليه

ومن الجهة الثانية اعلن محمد بن اسماعيل بن عباد والي اشبيلية استقلاله . وكذلك اسماعيل بن ذي النون الموجود على طليطلة كان في مقدمة المستقلين

وفي ذلك الوقت استقرّ على حكومته سانشو الثاني الذي كان على قسطيلة وذلك بهمة امير طليطلة واخيرًا خانه اي خان اسماعيل ذي النون خيانة عظيمة

فاصبحت اسبانيا من بعد هذا الانقسام محطاً للمنازعات الداخلية .
وعند ما طلب اسماعيل المساعدة من سانشو اجابه ودخل طليطلة بعسا كره كصديق لكنه استولى عليها .
ومن ثم عمل الفونس السادس الذي خلف سانشو على جفاء الاهالي واذيتهم و بسبب ذلك زاد الاختلاف بين النصارى
وفي الطرف الواحد كان المسلمون الذين انفصلوا عن الاتحاد قد خافوا من ان يهاجمهم النصارى بالاتفاق نعقدوا مجلساً عاماً في قرطبة وقرروا ان يستمدوا دولة المرابطين التي كانت على افريقيا

ظهور دولة المرابطين

ومن المعلوم انه كان يقطن في افريقيا كثير من القبائل مع السودان و بالطبع ان تلك القبائل في الاصل لم تكن تعرف المدنية والدين بل كانت المجوسية عامة اي عبادة النيران فيما بين تلك القبائل . ومن هذه القبائل كانت قبيلة يدعى اسمها العموني (الملثمون) وفي هذه القبيلة عشيرة تدعى (لمتونة) فاقتبلت العشيرة المذكورة النور الاسلامي وامتازت على غيرها من العشائر . وفي اثناء مرور يحيى بن ابرهيم رئيس هذه القبيلة بمدينة القيروان وهو سائر الى الحج الشريف طلب من إبي عمران الفارسي شيخ المذهب المالكي ان يبعث برجل لاجل نشر الدين الاسلامي بين القبائل المذكورة . فارسل المشار اليه رجلاً اسمه عبدالله بن ياسين . و بعد وفاة يحيى بن ابرهيم لم يراع احد عبد الله بن ياسين
وكان عبد الله المذكور في مدة اقامته هناك يدعو الناس الى الاسلامية ولم يلبث ان بلغ جماعته اي المهتدون الالف حتى هجم على العشيرة وتغلب عليها . ولما كان عبدالله شريف الذات لم يطمع في التولي على العشيرة بل ابقى عليها يحيى بن عمر

فهوذا قد اعطي اسم المرابطين الى اولئك المنتسبين الى تلك الذات الشريفة . ومن بعد هذا الظهور اتسعت دائرة الحكومة فكانت تترقى وتتقدم

ومن بعد وفاة يحيي قام عليها في مكانه اخوه بكر . وفي زمان بكر ايضاً ترقت هذه الحكومة واخيرًا في زمن يوسف بن تاشفين ادخل تحت استيلائه اطراف المغرب ومن ثم قطيعة فاس

وابتني يوسف وهو في فاس مدينة مراكش واتخذها مقرًا لحكومته وقد عمر يوسف كثيرًا . ولد في سنة ٤٠٠ هجرية وتوفي في سنة ٥٠٠

ولما استمد الاندلسيون دولة المرابطين كان عليها يوسف المومأ اليه وقد قبل بمساعدتهم بشرط ان يضم مال الجزيرة الخضراء الي دولته

وكان يوسف شجاعاً وذا تدبير حسن فبدد عساكر النصارى الذين هاجموه متجدين بقرب محل يدعي (زلاقة) ومن بعد هذه الوقعة وقعت ايضاً وقعة ثانية تدعي وقعة « اوقاس » وفي هذه ايضاً انتصر المسلمون

وبينما كانت دولة المرابطين تجتهد لتمنع استيلاء الافرنج نهضت الحكومات الصغيرة الموجودة في الاندلس اثناء ذلك وعملت على محو طوائف الملوك القائمين على اسبانيا . فوقعت بين نارين

وبسبب وقوع هذا الاختلال والاضطراب في المسلمين اغتنم الافرنج الفرصة فشددوا الهجوم والمضائقة

دولة الموحدين

وكان من رؤوس الموحدين محمد بن عبدالله حصل العلوم في قرطبة ومن ثم اخذ اجازة الفنون في بغداد من الامام الغزالي وكان ذاته على المرابطين واخيرًا وهو يطوف متخذًا صفات الدراويش جمع تحت رئاسته كثيرًا من الرجال والف حكومة في موضع يدعى « تينملل » داخل جبال اطلس ومن بعد ذلك زحف على المرابطين « سنة ٥٠١ »

ونمت دولة الموحدين حتى انها محت دولة المرابطين . وخلف محمداً عبد المؤمن وهذا بدد ما بقي من المرابطين وطمع بانظاره الى حد تونس ولكنه من قبل ان يتوفق الى غايته توفي سنة «٥٤٢»

ولما كان ولده ابو يعقوب شاخصاً الى اسبانيا انتصر بالهجوم على مملكة البورتغال التي تشكلت حينئذٍ من جديد انما في الاخير تشتت ايضاً جيش الموحدين

وهجم ملك قسطيلة على الاندلس بقوة عظيمة جداً بعد ان شوّق الافرنج الى قتال المسلمين فقابله ايضاً يعقوب بقوة جسيمة . فانتشب القتال في موقع يدعى اراكة غلب به الموحدون

ومن بعد ست عشرة سنة من هذه الوقعة شوّق البابا قبائل الافرنج وهيئهم للهجوم على المسلمين . ولما شعر بذلك محمد الناصر بن يعقوب هجم عليهم بار بعمائة الف مقاتل ولكن انهزم في محل يدعى (العقاب) بسبب عدم تدبيره . وقرب ذلك دولة الموحدين من الخاتمة

وعند انقراض دولة الموحدين ظهر وجه انقراض الدولة الاسبانية الاسلاميه . فبقي في الاندلس ثلاثة امراء فقط غير ان المحاربات كانت قائمة فيما بين بعضهم البعض

وفي هذا الاضطراب هجم فردينان الثالث ملك قسطيلة بجيش قليل على قرطبة فاستولى عليها

وكان اشد الحكومات الثلاث المذكورة حكومة بني الاحمر وقد قدرت ان تحافظ على نفسها مدة ٣٠٠ سنة

وقد تشكلت حكومة بني الاحمر في سنة ٦١٦ بهمة وعناية ابي عبدالله محمد بن احمد

ومن بعد تلك الوقائع الحربية بالتاسف التي كانت تجرى في محال الاندلس الاخرى اجتمع الحكماء والعلماء جميعاً في مدينة غرناطة . ولهذا

٣ اصبحت غرناطة ابهى مركز للمدنية

جنايات اسبانيا

وهكذا في ازمن التبدد الاسلامي ابتدأ الافرنج المتحدون بارتكاب الجنايات التي لم ينظر لها اسم في تواريخهم وربما ينكرون وقوعها منهم وتلك الجرائم القبيحة التي خرجت للوجود كثيرة تنفر من سماعها الطباع السليمة مثل قتل الاولاد وهدم الابنية التي كانت آثار ذوي الصنائع ونتيجة براعتهم

واضحت اسبانيا مجزرة وكانت الادمية تتدفق من ظلم الافرنج في كل طرف كالانهر

واحرق في هذا الدور الكتب التي اوجدها العدد الغفير من العلماء والادباء في سنين هكذا مقدارها

وفي تلك الاثناء وقع الاختلال ايضاً في حكومة غرناطة من اجل دعوى الحكومة . وفي النهاية استولى الافرنج على مدينة غرناطة في سنة ٨٧٠ هجرية وبذلك انقرضت دولة الاندلس عن اخرها

مدنية اسبانيا

نفهم من مدنية اسبانيا انها مدنية العرب الذين سكنوا في تلك الجهات ازماناً . وعندما دخل العرب اسبانيا كانت الوحشية سائدة هناك . ففاضوا بمعارفهم وسكبوا على تلك الاراضي ينابيع علومهم فانبتت صحاريها بافكارهم وبذروا في ثلومها الحبوب الفنية والعلمية . وبعد ان خرجوا من

اسبانيا اخذت بالرجوع الى حالتها القديمة يعني ان المدنية العربية خرجت مع اصحابها فلم يبقَ منها هناك الاَّ الكتب التي فرقتها ايدي سبا

وكان العرب قد تقدموا كثيرًا بفن الهندسة والجراحة والطب وعلم الهيئة ونحوها ومن مخترعاتهم البارود والورق

واما السراية التي ابتنيت في غرناطة باسم (الحمراء) فلا يزال السياح الذين يطوفون تلك الجهات ينظرون الى خرباتها بعين الحيرة والاندهاش

آل سبكتكين

آل سبكتكين ويسمون ايضاً بالغزنويين . وذلك نسبة لرئيسهم سبكتكين الذي كان مملوكاً

ظهور آل سبكتكين

وكان سيد سبكتكين ايضاً مملوكاً من مماليك احمد بن اسماعيل حاكم بخارى . لكن نظرًا لذكائه وتعقلهِ ارتقى الى ان صار قائدًا للجيوش واخيرًا عصي على سيدهِ واستقل في افغانستان يعني في « غزنة » واسمه البتكين

وعندما كان البتكين في ميدان العصيان قام امامه سبكتكين بخدمات كثيرة جدًا ولاجل ذلك عتقه واتخذه صهرًا اي زوجه من بنته

وحينما توفي البتكين خلفهُ ابنه اسحق وهذا ايضاً توفي بعد قليل فقبض سبكتكين في موضعه على ازمة الحكومة سنة ٣٥٥ هجرية

وبقي سبكتكين على الحكومة نحوًا من ٢١ سنة وتوفي فخلفه ابنهُ

السلطان محمود الغزنوي سنة ٣٧٦

ولم يبلغ قط سلطان من سلالة سبكتكين ما بلغه محمود من العدل والهمة. ولما كان عالمًا فاضلاً حكيماً مرَّ زمانه بالرفاه والانس ولهذا امتاز في سلاطين المسلمين

وقد نشر الاسلامية اثناء اسفاره الى بلاد الهند. وابتنى في غزنة من الحجارة النفيسة التي جلبها من هناك جامعًا مكملاً

واصبحت غزنة في ايامه محطًا للعلماء وقد وهب الاهالي من نعمة المعارف اوفر حظٍ

وقد توفي السلطان محمود سنة ٤٠٨ هجرية بعد ان استقرّ على العرش ٣٢ سنة . ومن بعده قام من آل سبكتكين اربعة عشر حاكمًا . ودام ملكهم نحوًا من ١٨٧ سنة واخر حاكم منهم كان خسروشاه

آل نوشتكين

ويعرفون بملوك خوارزم. فرأس هذه السلسلة رجل من الترك اسمه نوشتكين مملوك ملكشاه احد الملوك السلجوقيين. ونظرًا لدراية نوشتكين وانتباههِ استجلب حسن التفات ملكشاه ولهذا عند وفاته وهب قطيعة خوارزم الى ولده محمد وذلك في سنة ٤٧٦. وقام محمد ايضاً بحسن الخدمة حتى حصل على لقب خوارزم شاه ولقب قطب الدين

وبعد وفاة محمد خلفه آتسز وهذا اعلن الاستقلال عاصياً على سنجر احد ملوك سلجوقية وهكذا ابتدات دولة خوارزم

وقام من آل نوشتكين تسعة حكام وامتدت سلطنتهم مدة ١٣٠ سنة وقد محا هذه الدولة جنكيزخان

الدولة السلجوقية

كان يستوطن في اطراف بلاد الترك كثير من الطوائف الجوالة وكان يوجد بين هذه الطوائف احد الزعماء واسمهُ سلجوق بن بقاق . ففي اواخر العصر الرابع للهجرة جاء سلجوق هذا مستصحباً بعض افراد قومه الى الحدود الاسلامية فاستوطنها . وبعد مضي مدة قصيرة تشرف مهتدياً بنور الدين الاسلامي

وعند انتشاب القتال بين آل سامان والتاتار عضد آل سامان حباً بخدمة الدين الاسلامي . وكان آل سامان يحكمون حينئذٍ في بلاد الترك

وهكذا دخلت قبيلة سلجوق الى التاريخ منذ ذلك الحين . وقد استوطنوا مدة في اطراف نيسابور عاملين على حسن المناسبات مع الجميع وهذه الاحوال كانت تحمل على حسن الظن بهم كثيراً لكن فيما بعد اعلنوا الاستقلال واستنبطوا الحكومات الاكثر انتظاماً من حكومات الترك التي كانت قبلهم

طغرل بك

ارتقى على الحكومة في سنة ٤١٦ هجرية . وعندما اعلن الاستقلال ساق عليه السلطان محمود الغزنوي من آل سبكتكين العساكر القوية لكنه تقهقر في محل يدعى « دمغان »

واستولى طغرل ايضاً على قسم من الاناطول و قفقاسيا وبعد ذلك جاء بغداد ونزع اميرية الامراء من آل بويه . وكان الخليفة في ذلك

الوقت على بغداد القائم بامر الله العباسي فتزوج من بنته

وقد انتشر صيت طغرل بك اثناء مدة قليلة في الدنيا ومن ثم دق في اطراف طرابزون جيشاً عظيماً للامبراطورية الرومانية. ولما كان قد ارجع الاسراء الذين استاسرهم الى الامبراطور فالامبراطور ساعد في ان يقرأ الاذان المحمدي في الجامع (جامع العرب الذي ابتني ايام بني امية) وان يذكر في الخطب اسم طغرل بك

وحكم طغرل نصف اسيا الغربي وتوفي سنة ٤٤١

انقسام الدولة السلجوقية

ومن بعد وفاة طغرل بك انفصلت الدولة السلجوقية بالخطب الى عدة حكومات والاكثر شهرة من هولاء دولة ايران السلجوقية. ودولة الروم السلجوقية ودولة كرمان السلجوقية

دولة ايران السلجوقية

السلطان الب ارسلان

جلس السلطان الب ارسلان على التخت السلجوقي سنة ٤٤٢ هجرية وقد بدد بالقرب من مكان يدعى «ملاذ الكرد» جيش الامبراطورية الرومانية واخذ الامبراطور رومانوس اسيراً وبموجب المصالحة التي عقدت جعل القراءة له وان ياخذ غرامة

وتوفي السلطان الب ارسلان الى الاخرة في سنة ٤٥١ هجرية

وكانت حدود بلاده من الشرق الصين ومن الغرب بحر سفيد ومن الشمال قفقاسيا ومن الجنوب صحارى بلاد العرب وكانت تقرأ الخطب باسمه في داخل هذه البلاد. وكان الى حين ظهوره تقرأ الخطب في مكة

المكرمة باسم الفاطميين . لكن بسبب تاثير نفوذه صارت تقرأ باسم العباسيين و باسمه

السلطان ملكشاه

هو ولد الب ارسلان . قام في مكان ابيه سنة ٤٥١ وفي زمانه قطع نهر جيحون وتقدم الى حد بلاد الترك

وتوفي سنة ٤٧١ بعد ان ملك عشرين سنة . وكان سلطاناً حسن التدبير . ومن بعد وفاته اعترى دوله ايران السلجوقية الضعف . وذلك لان المحاربات وقعت فيما بين اولاد السلطان بركيارق ومحمد وسنجر واتسعت دائرة الحروب الداخلية . وان كان قد تغلب اخيراً السلطان سنجر لكن بعد ان كان قد فسد نظام الحكومة الذي كان قبلاً

وانقدت نيران الحرب ايضاً بعد وفاة سنجر فيما بين ولد محمد الاربعة و بينما كانت الحروب واقعة فيما بينهم ضبطت بلادهم من طرف السلطان تكش سلطان خوارزم و بذلك انقرضت دولة ايران السلجوقية

وهذه الحكومة التي تأسست اساساً متيناً جداً استقامت نحواً من ١٥٠ سنة قام في اثنائها اربعة عشر حاكماً

دولة كرمان السلجوقية

السلطان قاورد بن جغري بك

نصب السلطان قاورد في سنة ٤٢٠ هجرية والياً على ولاية كرمان الواقعة في جنوبي ايران الشرقي من طرف طغرل بك ولما لم يتغير ايضاً في زمان الب ارسلان بقي حاكماً بصفة نصف استقلال

ومن بعد وفاة الب ارسلان هجم على ملكشاه معلنًا استقلاله كاملاً فكان من نتيجة المحاربة انه قتل وتقهقر جيشه . وبناء على وفاة السلطان قاورد احال السلطان ملكشاه ادارة حكومته الى ولده سلطان شاه . وعلى هذا الوجه ظهر في كرمان ايضًا دولة اخرى

وهذه الدولة لم تكن مستقلة للدرجة الاخيرة . وقد خرج من ولد قاورد ١١ حاكمًا . ومدة سلطنتهم ١٤٦ سنة . وكان سبب انقراضهم المنازعات الداخلية . والذي نزع هذه الدولة السلطان دينار غزان قوي سنة ٥٦٦

دولة الروم السلجوقية

عين السلطان قطلمش بن اسرائيل من اولاد سلجوق رئيسًا على اطراف حكومة الغرب من قبل السلطان طغرل وذلك في سنة ٤٤٣

و بعد وفاة طغرل بك طاب قطلمش الاستقلال وزحف على السلطان الب ارسلان لكنه قهر وقتل اثناء المحاربة

ولما توفي قطلمش حزن عليه الب ارسلان جدًا ولهذا نصب في مكانه ولده السلطان سليمان

وهكذا تاسست دولة الروم السلجوقية في البلاد التي صار الاستيلاء عليها من قبل اولاد سليمان في الاناضول

وقد نزع السلطان سليمان مدينة انطاكية من الرومان واتخذها مقرًا لحكومته . وعند وفاته نقل السلطان داود الذي قام في موضعه مقر الحكومة الى مدينة قونية

واستولى قليج ارسلان اخو داود على القسم الاعظم من قطيعة الاناضول ولقب بلقب سلطان الروم . ودامت حكومة قليج ارسلان

من سنة ٤٧٠ الى سنة ٤٩٥ وقد بدد جماعة الصليبيين الذين هاجموه . وكذلك ولده مسعود وولد هذا قليج ارسلان الثاني دفعا مرات كثيرة هجمات الصليبيين

وقد خدشت الهجمات المذكورة المتواترة دولة الروم السلجوقية واخيراً من هجوم التاتار انهد بعض قواها . وتنزل السلطان علاء الدين السلجوقي اي السلطان الخامس عشر الذي قام على هذه الدولة بامر غازان من عيال المغول . وقسمت المملكة بالقراءة الى ١١ حكومة وفي داخل هذه الحكومات كانت الدولة العثمانية

مطالعة

ومن بعد دور الخلفاء الراشدين ظهرت عدة دول كبيرة مثل الدولة الاموية والعباسية والفاطمية والسلجوقية وعدة حكومات صغيرة مثل آل اغلب وآل سبكتكين و يبلغ عددها جميعها نحو الثلاثين . وقد بقيت هذه الدول مع ادوار الكمال والزوال الى سنة ٦٨٧ . وفي نهاية هذه السنة تعقبت الدولة العثمانية التي ظهرت في ناحية سكود رافعة شان العالم الاسلامي الدولة السلجوقية . وصادف ان اخر حكومة في الاندلس قد وصلت الى درجة الزوال . وفي الشرق اي في الاناطول قد انتهت السلطات القوية ولذلك وجدت الدولة العثمانية في مقدمة الدول الاسلامية

ومما ادهش العالم ظهور جنكيزخان المغولي الذي ظهر من اواسط اسيا واستولى في تلك الاثناء على اسيا . ومن ثم خرج هلاكو خان احد احفاده فمحا الدولة العباسية وكذلك قازان خان من افراد هذه العائلة من التاتار اباد الحكومة السلجوقية . وان كان قد بقي في تلك الجهات بعض حكومات اسلامية الا انها كانت واقعة في حجر الضعف والانحطاط

وعلى هذا الوجه اصبح حبل الاسلامية متصلاً وان كان باخر درجة من الحياة عندما بعث الله بالدولة العلية العثمانية التي رقت شان الاسلامية ورفعت مقاصد الدين وعليه فقد انتمت وانتعشت من جديد حياة الامة الاسلامية

ومن الان وما بعد سناتي باكثر تفصيل على ذكر مآثر السلاطين العثمانيين بالتدريج وكيفية ظهورهم ومخرجهم ووصول السلطان عثمان الى عرش التملك وهو جد هذه العائلة الشريفة التي منها حضرة سلطاننا الاعظم وولي نعمة العباد الجالس الان على تخت السلطنة السنية بالعز والاقبال . والمجد والاجلال السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان ايد الله سرير دولته الى آخر الازمان . وعظمته الرابع والثلاثون من سلاطين هذه السلالة المجيدة

انتهى الكتاب الاول

تاريخ
الدولة العلية
العثمانية

وهو الكتاب الثاني من تاريخ

ملوك المسلمين

منسوق بقلم الفقير اليه تعالى

نخلة قلفاط

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

في ٢٣ حزيران سنة ١٣٠٧ نومرو ٣٣

يباع في مكتبة المطبعة الادبية

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٩١م و١٣٠٨هـ

مدخل التاريخ العثماني

في

ظهور العثمانيين ونشأتهم

ان اجداد العثمانيين هم الترك ٠والترك هم من الاقوام القديمة المشهورة بكثرة النفوس والشجاعة والحروب مع الامم القديمة ٠وفي القرون الوسطى يعني في بدء امتداد الشوكة الاسلامية كانوا منفصلين عن عالم التمدن والترقي

وفي اوائل ظهور وتشكل هولاء الاقوام كانوا منقسمين الى قسمين وهم المغول والتاتار ومن المشهور في التاريخ ان من هذين القسمين تشعبت الشعوب الكثيرة واختلفت اسماؤها ومن هذه الشعوب الملل المحاربة الذين منهم اليونان القدماء المعرفون باسم (جات) والافرنج المسمون باسم (هوُن) واقوام المسلمين الذين يسكنون حول الفولغا وفي سيبيريا واسيا الوسطى

وكان الهونيون في العصر الخامس للميلاد تحت قيادة رئيسهم آتيلا قد سلبوا القسم الشرقي والمتوسط من اوربا والقوا الخوف والدهشة على الامبراطورية الرومانية التي كانت موجودة في ذلك الزمان

وكان ابتداء اصل شان وشهرة المغول بواسطة حكامهم الذين كانوا تحت اسم ا (اوغوزخان) والخان المذكور هو الذي كان في عصر ابراهيم الخليل ٠ ومن جملة روايات التاريخ القديم انهم سافروا من البلاد الواقعة في ساحل بحر الخزر الى حد الهند وتوران وسورية ومصر ٠وكان

لاغوزخان ستة اولاد ثلاثة كبار وثلاثة صغار ومن المروي ان جد العثمانيين هو « كوك » احد الثلاثة الصغار. وقد اشار السلطان احمد الغازي في أحد قصائده انه يتصل نسبا باوغوزخان

وكان التاتار المنتشرون في جهات سيبيريا وتيمور قازيق يقومون بالهجوم والغزوات المتواترة على الصينيين الذين كانوا اكثر القدماء مدنية واخيرا لدفع هذه المهاجمات الزموهم على ما ذكر في تواريخ الازمنة القديمة ان يبنوا حائطا عظيما يسمى « سد الصين » . وتاتار مانجو الذين استولوا على تخت الصين قبل الهجرة بعصرين ونصف هم كاحفاد جنكيز الذين حكموا في الصين في العصر السابع للهجرة واصبحوا اليوم ولاة الامر في القطعة المذكورة يعني خواقين الصين

ومن بعد ظهور الاسلامية وانتشارها تشرف قسم كبير من الاتراك بنورها المبين من تلقاء ذواتهم . وكانت الحكومة المعروفة باسم سلجوقية التي هي كغيرها من الحكومات الكثيرة الاسلامية الصغيرة والكبيرة قد جمعت الى يد استيلائها البلاد من اسيا الوسطى الى داخل بلاد الاناضول وكان سلجوقيو قونية المذكورون قد قاموا بعدة وقائع وحروب مع جيوش الامبراطورية الشرقية ومع العساكر الصليبية (١)

---

(١) من بعد انقراض الرومانيين كان الباقون الذين يسكنون مدينة بيزانس القديمة « القسطنطينية » يسمون الحكومة التي بقيت نحو عشرة اعصر عليها الى حد انتقالها ليد العثمانيين الامبراطورية الشرقية واما العرب فكانوا يذكرون حكامها باسم قياصرة الروم

ويقال ايضا اهل الصليب او الصليبيون لعساكر النصارى الذين قاموا اعصرا بالحروب الدينية مع المسلمين وهولاء اجتمعوا تحت السلاح بتشويق اعاظم النصرانية مثل ملوك و برنسات الافرنج و بمواعظ وتحريضات

وفي العصر السادس للهجرة جمع «جنكيزخان» الذي ظهر من صحارى قره قروم الواقعة في بلاد التاتار الكبيرة طوائف الاتراك والتاتار تحت حكومته . ومن ثم زحف راساً على سمرقند و بخارى وخرب جميع البلاد الاسلامية العامرة وكذلك هلاكو من احفاده اوقع بالدولة العباسية مسلماً بغداد لالسنة النيران . ولما كان استيلاء جنكيز خان قد اقلق جميع اقوام وقبائل الاتراك نهض كثير من العشائر وهاجروا من سواحل بحر الخزر الى اواسط اسيا . وكان فيما بين اوائل تلك العشائر عشيرة تعرف باسم « قبيلة قايي خان » رحلت بمعية رئيسها سليمان شاه من جوار ماهان الى جهات وان واختارت الاقامة لمدة من الزمان في ذيول جبل سجان الواقع عند ساحل كول اي بجوار الاخلاط . ومن هناك ايضاً نزلوا الى ازربجان ومن ثم الى جهات سورية . وفيما كانوا يقطعون نهر الفرات بالقرب من قلعة جعبر وقع رئيسهم سليمان بحكم القضاء في النهر فتوفي ومن بعده تفرقت القبيلة المذكورة

و بناء على هذا التفرق بقي ارطغرل بك من اولاد سليمان شاه رئيساً على قسم منهم فسار بهذا القسم الصغير الى جهات قرمان بقصد ايجاد محل جديد يستوطنونه . وفي هذا التاريخ كان السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان قونية واقعاً بالقتال مع التاتار . وعليه فقد صادف ارطغرل في طريقه جيشين متحاربين

الا كليروس وانصبوا على الطرقات لاجل افتتاح القدس . وكانوا يعلقون على صدورهم العلامات الفارقة التي تميزهم عن غيرهم وهي «الصليب» ومن اجل هذا كانوا يسمون بالصليبيين واعظم من اشتهر عند الافرنج بمحاربتهم اي اثناء الحروب الصليبية من حكام المسلمين صلاح الدين الايوبي

ونظرًا للفطرة التي وجد فيها وبسبب تاثيرات الغيظ والعداوة المكنوزة في صدره من اعمال جنكيز خان ارتمى الى ميدان المبارزة مع خمسمائة او ستمائة فارس كانوا بمعيته بقصد مساعدة السلجوقيين ولذلك مالت كفة رجحان الانتصار الى جهة علاء الدين

ولما كان السلطان المومإ اليه شاكرًا وممتنًا من هذه المساعدة التي كانت تكرمًا من اصحابها ومفيدة له وهب قبيلة ارطغرل التي هي عبارة عن اربعمائة مضرب جرودطومانج الواقعة بالقرب من بروسه داخل ممالكه وناحية سكود

وقد جاء الى هذه الدنيا في مدينة سكود جد عائلة سلاطيننا العظام وعنوان افتخار الامة التي تذكر منتسبة لاسمه عموم الممالك المحروسة « عثمان » وذلك في سنة ٦٥٦ هجرية

ولم يكن ارطغرل بك يفتر عن الغزو على الرومانيين المجاورين باسم السلجوقيين. ولما كان عثمان بك في سن الصبوة وقد قدر عليه ان يكون في مقدمة الامة التي ستحكم تحت اسمه اعصرًا واجيالاً غير متناهية ابتدأ ان يبين للعالم مناسبة اسمه اللائق بتاسيس الحكومة بواسطة اقدامه وسيادته. والى حد الوقت الذي استلم فيه الرئاسة كان من اهل الزهد قد اختار العزلة. وكان غالبًا اثناء رحلته من جهات ادنة يقيم في مسكن المرحوم الشيخ (اده بالي) وكان يستمد ادعية هذا الشيخ المحترم. وقد راى عثمان اثناء قيامه عنده تلك الرؤيا المشهورة التي بشرته معنويًا بان احفاده واضلاع سلالته سيكونون حكامًا لامة عظيمة وقد وجدت جدة العائلة العثمانية ايضًا في ذلك البيت وهي (مال خاتون) العفيفة كريمة الشيخ المشار اليه

وبناء على وفاة والد عثمان بك ومن بعد ارتقائه الى رئاسة القبيلة استولى على قره جه حصار. وكان ذلك نتيجة القتال الذي قام به مع

الرومانيين اعداء السلجوقيين . و بما ان سلطان قونية قد قدر هذا التوفيق حقه ارسل الى المشار اليه الطبل والعلم مكافاة له وتبريكاً بانتصاره ووجه اليه بالفرمان السلطاني يخوله خطة الامارة (سنة ٦٨٨)

وكان التقدم السريع والنجاح الذي بدأت باكتسابه هكذا عشيرة صغيرة في ظرف مده قليلة وصيرورة عثمان بك اميرًا واتساع بلاده يقلق الشعب الروماني الموجود في الحدود . و بناء عليه قد استئصل المشار اليه خبر حيلة قد نصبوها في اثناء زفاف ما . و بما انه كان قد اخبر بهذه الدسيسة بواسطة كوسه ميخائيل الذي كان منذ ذلك الزمان اسير التفاته ومفتونًا بشجاعته لم يتاخر العثمانيون عن اجراء المقابلة اللازمة . ولما كانوا اجابة للدعوة سينسحبون الى الجرود نقلوا خمسة عشر شابًا وادخلوهم بقيافة نساء عجائز وترجوا حفظهم و بقاءهم في القلعة . و بالحقيقة كان كل واحد من اولئك السعاة الموجودين من شجعان القتال . وكما استولى هولاء من الطرف الواحد على محل الحصار الخالي من المحافظة كذلك توفق عثمان الغازي فى مكان العرس الى تفريق اعدائه . ومن اعظم غنائم هذه الواقعة كان العروس الشابة الجميلة فاهديت وزوجت من الفتى اورخان ابن الامير مكافاة له على ما ابداه من الشجاعة اثناء هذا القتال

وكانت المضايقات . والتعرضات التي قام بها التاتار على السلجوقيين وجلبهم اولاد السلطان الى بلادهم في مقابل الجزية وسجنهم وحبسهم وغير ذلك من الامور التي جاروا بها عليهم سببًا لاضمحلال الدولة السلجوقية وذلك سنة ٦٩٩ . و بناء على هذا الانقراض انقسمت الدولة المذكورة الى عدة حكومات وهي حكومة صاروخان وآيدين وقره سى وتكه وحميد و كرميان وقرمان وقسطمون . ولما كان كلٌّ من الحكومات المنفصلة اعلنت الاستقلال اعلن كذلك عثمان بك الغازي استقلاله على امارته . وعلى هذا اعتبر تشكل الدولة العثمانية منذ ذاك التاريخ اي منذ سنة « ٦٩٩ »

الفصل الاول

في تاسيس الدولة العثمانية وانتشارها

القسم الاول

من حين ظهور الدولة العثمانية الى حد استيلاء تيمور

دور حكومة السلطان الغازي

(من سنة ٦٩٩ الى سنة ٧٢٦)

انه بعد انقراض الدولة السلجوقية من صدمات التاتار واستقلال كل ولاية من الولايات التي كانت تابعة للدولة المذكورة وانتظام كل من ولاتها في سلك طوائف الملوك اعلن ايضاً عثمان بك بدوره استقلاله وكان قد حاز رتبة الامارة من طرف السلجوقيين وجعل ادارة حكومته ادارة ممتازة «سنة ٦٩٩»

واول عمل قام به عثمان الغازي بعد تقرير وثبوت استقلاله وضع اصول العدلية والملكية وقد سلم حقوق العباد والمصالح التي انتقلت الى ادارة روساء حكومات الى عهدة حكام الشرع الشريف وقسم البلاد الى سناجق اي الوية ونقل مركز الحكومة الى مدينة يني شهر التي ابتنيت مؤخراً

ولما كان تاسس الحكومة على هذا النمط اخذت في ان تقلق له الامبراطورية الرومانية. فارسلت قوة عسكرية من القسطنطينية نجدة لروماني تكفور المجاورين للبلاد العثمانية في الاناطول على ان هذه الجمعية المتفقة تقهقرت عند قيون حصار بين يدي الغازي ومن بعد ذلك ابتدا

العثمانيون بالانتشار الى عنق ماسقار يا

وكان من نتيجة الوقائع المتعددة المقرونة بالفوز على روماني تكفور سواء كانت التي قام بها بالذات او بواسطة القواد المشهورين في عهد حكومة المشار اليه الممتدة نحوًا من ٢٧ سنة ان في بداية هذا الانتصار الذي احرزهُ على القيصر انتقل الى يد استيلائه جميع اطراف بروسه وايزنيق

وكان من امنع المدن واكبرها الباقية في يد الرومانيين المجاورين ايزنيق و بروسه و بالطبع كان نظر المشار اليه يطمح اليهما

ولما كان قد تعسر فتح ايزنيق بسبب مناعة حصونها اقيم الجند من كل طرف و بهذه الواسطة تطوقت الحصون وصار التضييق على المحصورين ومنعوا من الاختلاط مع الخارج واجري هذا التضييق بعد ذلك في بروسه

ولاجل تاخير نجاح العثمانيين الذي كان يزيد تقدمًا تصدى رومانو تكفور بالاتفاق لاجراء عدة هجمات على عثمان الغازي وفي هذه المرة تبددوا ايضًا امام قيون حصار ٠ وكذلك من الطرف الاخر كان جواب التهديد الذي ارسل من قبل التاتار بناء على ايعازات الامبراطور سوق العساكر الى سواحل البوغاز الداخلية

فاخيرًا بواسطة دلالة الغازي كوسه ميخائيل الذي كان تشرف بالدين الاسلامي اجبرت مدينة بروسه على التسليم ايضًا ٠ ووهب الامان للمحصورين مفتدين انفسهم بثلاثين الف ذهب . « سنة ٧٢٦ »

الا ان وفاة هذا المجاهد العالي الشان الذي تبع هذا النجاح بدل السرور والفرح الذي لحق بقلوب العثمانيين من جرى افتتاح بروسه بماتم عظيم وحمل هذا الضياع الابدي نفوس اخوته بالسلاح منذ اربعين او خمسين سنة القنوط والحزن ووضع نعشه المنقوش بالغفران في بروسه

في تربة كنيسة القناطر

وكان هذا المجاهد المغفور له رحمه الله من الذين امتازوا بفضيلة الاخلاق وكان ما فطر عليه من الاستعداد والزكاء والفطنة جعله ان يميل الى اقتحام كل درجات الموانع

وشان وشوكة هذه الحكومة الذي اسسها وابتناها ودوامها اعصرا عديدة وصونها من كل انواع التزلزل مفدوداً من دلائل العدل والاستعداد الفطري

وكان مع عظم وترقي شان وشهرة هذه الذات المقدسة مستغنياً عن الملذات الخارجية والتنعمات البدنية . ومن متروكاته التي وجدت عند ارتحاله ثوب او ثوبان وحيوان للركوب وعدد من الغنم . وهذا الاستغناء المتصف به بانحصار معيشته على بعض جزئيات بالنسبة الى مقامه السامي برهان عظيم على قناعته الواجب الاقتداء بها

على ان الغربيين الذين يبحثون دايماً على نقائص اجراءات العثمانيين كافة لا يقدرون ان يمسكوا نفوسهم عن مدح اوصاف ومزايا الغازي المغفور له التي جعلته فاروق زمانه

خلاصة

ولد عثمان الغازي في سكودسنة ٦٥٦ . وبسبب وفاة والده ارطغرل صار رئيساً على القبيلة . وعند فتحه قرهجه حصار وجهت اليه في سنة ٦٨٨ من قبل علاء الدين السلجوقي سلطان قونية رتبة الامارة وارسل اليه الطبل والعلم

وبناء على انقراض الدولة السلجوقية سنة ٦٩٩ قبض الامير عثمان المشار اليه على ازمة الاستقلال بحكومته . وحسب هذا التاريخ بدء

تشكيل دولتنا وسميت الدولة العثمانية نسبة الى موءسسها هذا العالي الشان . وقد امتدت سلطنته الى مدة ٢٧ سنة فتح في اثنائها مدناً كثيرة وفي آخر عمره فتحت بروسه تحت قيادة ولده اورخان بك . ولدى انتقاله الى يد البقاء دفن في بروسه في التربة الشريفة بجوار كنيسة القنطرة « مناستر كنبدي »

دور حكومة السلطان اورخان الغازي

« من سنة ٧٢٦ الى ٧٦١ »

اعلن اورخان بك جلوسه على التخت بناء على وصية ابيه في سنة ٧٢٦ وقد عين على مسند الصدارة اخاه الكبير علاء الدين الذي امتاز في زمانه بالعلوم والمعارف

ومن بعد ان اتخذ المشار اليه مدينة بروسه المفتوحة جديداً مقراً لحكومته ارسل جماعة من مشاهير الشجعان براً وامرهم بالاستيلاء على ازميد . وقد توسعت الحدود العثمانية بواسطة استيلاء المجاهدين الغيورين مثل آقجه قوجه وعبد الرحمن على عدة مدن بلغت مختنق داخلية بر الاناضول واطرافه . ومن المناقب التي تزدان بها منطوقات قسم من ظهور وتشكل دولتنا نجاح المجاهد عبد الرحمن واستيلائه على كستل حصار فيما بين ذلك بواسطة تعشقه من فتاة رومانية

ومما هو جدير بالذكر في اوائل حكومة اورخان الغازي وضع القوانين واحداث العساكر المنظمة تحت اسم انكشارية

واجتماع الغازي المشار اليه واخيه علاء الدين باشا في راس الحكومة في زمان واحد يعد من التوفيق الرباني النافع للدولة الموجودة اوانئذ في بدء نموها

ومن كرامة هذين الاخين ان احدهما كان يفتح المدن بشجاعته والاخر يربط بساعد الحكمة والادارة تلك البلاد المفتوحة

وكان السلطان عند توسع الحدود العثمانية شعر بالاحتياج الى وضع القوانين لها واخذها تحت نظام عسكري . وقد الغى السكة التي كانوا يتداولونها الى ذلك الحين من مسكوكات الدولة السلجوقية . وضربت السكة باسم السلطان . ولاجل التمييز بين الجندي وغير الجندى عين لكل من الفيئتين علامة فارقة . وترتبت عساكر المشاة المنتظمة مجتمعة على الدوام تحت اسم « انكشارية » واضيف اليهم ايضاً صنف باسم « عزب » بناء ان يستعملوا في الخدمات الجندية نظير بناء الجسورة وحفر اللغومة ونحوها . وكان الصبيان من المسيحيين الذين يجمعون تحت اسم دوشرمه (لقط) يتربون في تكنة الانكشارية . وما عدا المشاة نظمت فرق الفرسان تحت اسم (سباهي) . واستخدم ايضاً جماعة بصفة فرسان غير منظمة سميوا بفرسان المسلمين واخيراً اتخذوا لقب الغزاة تحت قيادة كوسه ميخائيل وغيره وقد ارعبوا كلاً من المجر والمانيا والبندقية سنين عديدة . وقاموا على هذه الصورة بخدمات كثيرة لدولتنا . (سنة ٧٢٩)

والمعروف بين الاقوام الحاضرة ان عساكر الانكشارية المنتظمة التي تشكلت للمرة الاولى دخلت في حكم السلاح المخيف في يد العثمانيين وضربة هذا السلاح بقيت في حالة غير قابلة المقاومة عدة اعصر

ومن جرى الانكسار الذي لقيه الرومان في المحاربة المهمة التي وقعت بين قيصر الرومان وبين العثمانيين في جهات « ماليته » بالقرب من اسكودار شعر بآثار هذه التشكيلات المخربة وكان من نتيجة الانكسار المذكور ان استولي على مدينة ايزنيق التي بقيت محصورة عدة اشهر . وقد اهتم السلطان اورخان الغازي بالمدينة المذكورة المعروفة بالوقائع الكثيرة

التاريخية (١) فابتني فيها جامعاً ومدرسة حتى انه نقل اليها في تلك الاثناء كرسي السلطنة

وعند فتح ايزنيق توفي علاء الدين باشا الرجل الاول الذي وضع أسس النظام والقوانين و بناء على وفاته احيل مسند الصدارة الى سليمان باشا ابن السلطان الاكبر

وصادف في زمان وزارة سليمان باشا ان انتقل الى يد تصرف العثمانيين حكومة قره سي حصار ٠ وهي احدى الحكومات التي استقلت عند انقراض السلجوقيين وذلك بسبب المنازعات فيها على التولي ومن ثم تولاها سليمان باشا المشار اليه « سنة ٧٣٤ »

ومن بعد فتح ايزنيق وترجيح وقوع الصلح بين العثمانيين وقيصر الرومان صرفت الهمة الى عمار البلاد التي استولت عليها في الاناطول الى حد سواحل بحر مرمرا في ظرف عشرين سنة وفي الطرف الاخر بلغت المخاصمات والمنازعات التي وقعت بين العائلة القيصرية حد الشدة حتى وصلت الى درجة لزم فيها مراجعة السلطان اورخان الغازي و بمناسبة ذلك صارت الموافقة بتزويج الاميرة تيودورة بنت الامبراطور من السلطان اورخان ٠ وكان من غاية السلطان في هذه الفترة ان يمد مظفرية التخت الى الروم ايلي ولم تكن في عينه هذه القرابة الصهرية ذات اهمية بل كان يترقب الفرصة المناسبة لوضع رغائبه في موقع الاجراء وعهد الى سليمان باشا والي قره سي حصار ان يسير لانفاذ تلك المقاصد

١ ايزنيق مدينة قديمة اسست منذ زمن اسكندر الكبير وعقد فيها مجمع رهباني لاجل فصل المنازعات المذهبية المشهورة التي ظهرت عند اوائل انتشار الدين المسيحي . وفي عصر الحروب الصليبية بمناسبة انتقال القسطنطينية اثناء ذلك الى يد الفرنسيس واللاتين اتخذ قيصر الرومان مدينة ايزنيق اكثر من نصف جيل مركزاً لحكومته

والى حد هذا الوقت لم يكن العثمانيون بعد قد حصلوا على الوسائط البحرية فكان المرور الى الروم ايلي لاجل فتح المدن والاقاليم من المشكلات الصعبة . ومما يندر تصادفه في التواريخ ما اجراه هذا المجاهد المحترم اذ القى بنفسه الى البحر على كلكين راكبًا المخاطر وبمعيته شجعانه وقطعوا البحر على الكلكين المذكورين مارين من بوغاز جناق قلعة وعند وصولهم من قلعة جمني وطئوا بارجلهم ارض الروم ايلي ومن ثم تقدموا شيئًا فشيئًا حتى استولوا على جبال تكفور وما حول كليبولي. وبينما كان سليمان باشا المشهور ابن السلطان الاكبر الذي احرز الفخر العظيم بان جعل العلم العثماني يلوح للمرة الاولى فوق الارض الاوربية بسبب هذه الفتوحات عاملاً على الصيد وقع عن الجواد ففاجئه القضاء المعجل وهذا القضاء الغير منتظر اوقع ليس فقط السلطان وحده بل الامة العثمانية بالتاثير والالام الحقيقية ولم يمر على هذه النازله الهائلة الا شهران حتى توفي حضرة السلطان الشيخ المتصف بالحنو والحلم متاثرًا من حزنه

وقد اتخذ ساكن الجنان السلطان اورخان موقعًا عاليًا بين سلاطيننا نظرًا لرقة طبعه واغاثته الضعفاء. وكان اثناء حفلة عمومية اقيمت عند تاسس جوق الانكشارية يوزع الطعام على الفقراء من يده التي كانت تفيض بسخاء

خلاصة

جلس السلطان اورخان على التخت في الثامنة والاربعين. اتخذ بروسه مقرًا لحكومته وافتتح مدن ازميد وايزنيق وكمليك. وفي زمانه الحقت بالممالك العثمانية ولاية قره سي حصار احدى الحكومات الصغيرة التي تشكلت عند انقراض السلجوقية وبالاتحاد مع اخيه الاكبر علاء الدين باشا سنت

القوانين وضربت السكة واحدث العسكر المنتظم الذي وجد في كل طرف تحت اسم انكشارية. وقد ارتمى ابنه الاكبر سليمان باشا الى الروم ايلي بغتة قاطعاً بوغاز بحر الروم وافتتح كليبولي و بولاير. وهذا المجاهد العالي الشان قبض فجئة وهو يتصيد ووفاته كانت السبب بوفاة ابيه السلطان اورخان الغازي

دور حكومة السلطان مراد خداوندكار

«من سنة ٧٦١ الى سنة ٧٩١»

وبناء على وفاة سليمان باشا المجاهد بغتة اصابت نوبة الحكم مراد الاول اصغر اولاد المرحوم السلطان اورخان الغازي. واقتدى المشار اليه عند اعلان حكومته خطة اجداده من جهة الفتوحات والظفر بالسيف فاستولى اولاً على ولاية انقره في الاناضول. ومن ثم ظفر بافتتاح ادرنه اهم مدن الامبراطورية الرومانيه في الروم ايلي

ومن بعد ان تأيدت مباني الحكومة بالاستيلاء على هذين البلدين في الروم ايلي والاناضول امتدت شجاعة وغيرة المجاهدين مثل لا لا شاهين ونحوه من امراء السلطان الغازي الى الفتوحات ففي مدة اربع او خمس سنوات توسعت حدود الممالك العثمانية فبلغت من الطرف الواحد ضواحي القسطنطينية ومن الطرف الاخر البلقان

وقد حملت هذه الانتصارات العديدة التي احرزها العثمانيون في مدة قليلة امراء البلقان وملك السرب الناظرين في ذلك بعين الرغبة والحيرة الى تاليف هيئة متفقة تحت قيادتهم وان كانوا قد تصدوا لاخراج العثمانيين في الروم ايلي الا انهم تبددوا منهزمين بصدمة غير منتظرة امام القوة القليلة التي خرجت لملاقاتهم بغتة. واسم الموضع التي وقعت فيه هذه الوقعة

« صندوق السرب » بجوار ادرنه

ونظراً لهذا النجاح اصبح حاكم البلغار مجبوراً الى عرض الطاعة للسلطان وكذلك جمهورية البندقية المشهورة بالتجارة البحرية في تلك الاعصر عقدت شرطاً مع السلطان الغازي بدفع معين سنوي. وتعد هذه المعاهدة اول معاهدة عقدت بين الاجانب والعثمانيين

ومن المروي ان السلطان وضع التصديق على هذه المعاهدة بغط اظافره بالحبر وطبعها على الورق رعاية للتعامل القديم الذي كان جارياً عند اجداد العثمانيين وهذا هو السبب الذي اوجب احداث الطغراء على الاصول الجاري الان

وبهمة ونشاط البواسل العثمانيين مثل خير الدين باشا النائل منصب الوزارة وقاضي العساكر جاندرلي قره خليل وقره رستم نسقت ووسعت القوانين والنظامات ومن حيث قد تضاعفت القوة العسكرية ايضاً لحق نفوذ الشان العثماني من هذه العناية بجهات سلانيك وصوفيه ومناستر وكوستنديل

وعلى هذه الصورة توسعت حدود المملكة من يوم الى اخر في الروم ايلي .وكذلك بواسطة تزويج السيدة دولتشاه كريمة ولد كرميان من بايزيد بك اكبر اولاد السلطان الحق بالممالك العثمانية على سبيل الجهاز كل من كوتاهية واسبرطة ولهذا صار العرس عظيماً ومطنطناً وقد دعي اليه جميع حكام المسلمين المجاورين حتى سلطان مصر وشاه العجم

وكان تقدم وتوسع العثمانية التي اجتازت جبال البلقان وانتشرت على سواحل الطونه قد القى الرعب والدهشة على حكومات الروم ايلي الصغيرة واستجلب انتباههم

واخيراً ان حكاية الواقعة الحربية التي انتجت اثارة ملك البلغار في نيكبولي واحدثت حرب قوصوه الاولى المشهورة تناقلتها الالسن وتحدث

بها الناس

وكان قد تشكل بشكل جمعية صليبية كل من لازاري ملك الصرب وارناؤوط البشناق والفلاخيين والمجريين فجيشوا الجيوش العظيمة متفقين على العثمانيين فالتقى عسكر السلطان والجيوش المتفقة بعضهم ببعض عند صحراء قوصوه

وكانت قوة العثمانيين اقل بكثير بالنسبة الى قوات الاعداء الا ان السلطان نظراً لحميته و بسالته لم يهتم بذلك ولا فكر به لانه اثناء ثلاثين سنة دخل فيها الحروب والمعامع العديدة لم يلفت وجهه الى الوراء ولا في واحدة منها قط . وارتمى على ساحة القتال متكلاً على المساعدة الالهية ومن بعد مصادمة وملاحمة قوية توفق الى ان نال الظفر العظيم في تلك الحرب الهائلة·

لكن واوسفاه فقد تبع هذه الوقعة ان السلطان الظافر وقع شهيداً اذ ذاك لانه بينما كان يجول في الساحة التي كان قد وقع فيها القتال انتصب بغتة نفر من السربيين كان مختفياً بين القتلى وطعنه غدراً بخنجر ترك في قلوب المجاهدين العثمانيين جرحاً يصعب شفاؤه

ومشهده في قوصوه يزار من الانام حتى الان وقد نقل الى بروسه ودفن في مدفن مخصوص

وكان الشهيد المشار اليه قد تعقب طريق الفتوحات التي فتحها المرحوم اخوه الاكرم في القارة الاوربية ووسع جداً الممالك الموروثة فزادت في الاناضول الولاية التي سميت باسمه اي ولاية خداوندكار وولاية قره سي وفي الروم ايلي توسعت حتى داخل الارناوط وسواحل الطونه وضواحي يانيه . وعلى هذا الوجه يكون بناء الحكومة التي توفق الى تاسيسها عثمان الغازي والسلطان اورخان قد تهيأ ادواراً ذات شان الى احفاده الكرام الذين حكموا ووسعوا دوائره

خلاصة

صار مراد خداوندكار سلطاناً في سنة ٧٦١ وافتتح اولاً انقره في الاناضول ومن ثم ادرنه في الروم ايلي

وبمرور الاوقات ادخل العثمانيون الى ايديهم جميع حياض مريج وانتشروا في ذيل البلقان وفي ضواحي القسطنطينية · والصليبيون الذين تشكلوا من المجر والفلاخ والسرب وغيرها تبددوا في ليلة ما كبسوا فيها عند ساحل مريج وامتد نفوذ حكومة السلطان الغازي الى حد الطونه ودخل البلغار والسرب

وانتقل الى الدولة العثمانية ايضاً قسم من بلاد ولد كرميان وحميد ايلي من الحكومات الصغيرة التي ظهرت عند انقراض الدولة السلجوقية

وفي سنة ٧٩١ بايعازات البابا تشكل جيش الصليبيين دفعة ثانية بقوة اعظم من القوة الاولى ومشوا الى قوصوه وقد دخل معهم عسكر السلطان الى ساحة القتال فكانت الحرب عجيبة هائلة وان كانت النصرة قد التصقت بالعثمانيين الا ان احد السربيين خاطر بنفسه وطعن غدراً بخنجر السلطان خدواند الغازي فاستشهد مدمياً قلوب الرعية

ولا تزال التربة التي اقيمت في مكان استشهاده تزار حتى الآن ونقل على النعش الى بروسه ودفن في التربة الشريفة

دور حكومة السلطان يلدرم بايزيد

(من سنة ٧٩١ الى ٨٠٤)

و بناء على وقوع استشهاد خداوندكار الغازي في ميدان المعركة بعد انتصار قوصوه نشر بايزيد الاول اكبر اولاده اعلان سلطنته

وكان المشار اليه منذ نعومة اظفاره متوغلاً في الحروب والوقائع ولذلك كان مفطوراً على الشجاعة . وما لبث ان صار سلطاناً حتى اجبر ملك السرب الجديد من لطمة واحدة ان يسأله الصلح وهذا الملك الشاب الذي قبل بان يزوجه من اخته وان يدفع له الغرامة اخذ تحت حمايته

وعند عودته من القتال ظهر امام اسوار القسطنطينية واخذ في ان يظهر للعالم عظم وقوة النفوذ العثماني بواسطة افعاله المترفعة فساعد بان نصب امبراطوراً جديداً ولكن عاد فعفى عن القديم تاركاً له الرجوع الى كرسي حكومته ثانياً

واما طوائف ملوك الاناضول فقد ارتعبوا من شجاعة وشهامة يلدرم فتركوا بلادهم والتجئوا الى ولد اسفندار الحاكم في سينوب . ولذلك ادخلت في ظرف خمس او ست سنين على هذه الصورة ما عدا القليل منها الحكومات التي تشكلت عند انقراض السلجوقيين في عداد الممالك العثمانية

وكان اشد هذه الحكومات قوة حكومة قرمان غير انها من بعد محاربتين انتقلت الى يد الاستيلاء العثماني . والحق ايضاً بممالك السلطان كل من قيسرية وسيواس واماسيه

ولما كان قد وطد سيف الانتصار في جهات الروم ايلي اصبحت سلانيك ومناستير وضواحي الطونه تابعة قطعياً للممالك العثمانية واخذ الغزاة العثمانيون يجولون بالظفر والغنيمة في الفلاخ والبغدان والمجر

وكان هذا التوفيق والنجاح الذي ظهر بتوسيع دائرة الحدود العثمانية قد القى الرعب الزائد والخوف على اوربا. وعليه تشكلت جمعية صليبية واتفقوا بعد مراجعة امبراطور القسطنطينية والانضمام اليه على الهجوم علينا سنة ١٣٩٦ ميلادية

واما شبان فرنسا والمانيا وحكام رودس المتاثرون من بقايا ادوار الحروب الصليبية فلاجل اخذ الثار من هزيمة قوصوه جاءوا مع هذه الحملة الدينية

وقد ظهرت تلك الجيوش المتفقة التي كان يبلغ عددها نحوًا من ١٠٠ الف نفس بالهجوم على نيكبولي الواقعة في ساحل الطونه. الا ان عساكر العثمانيين كانوا قد اشتدوا وتقووا وتمرنوا جيدًا على الحروب التى وقعت بغير انقطاع مدة عصر. فانهزمت تلك القوة الكثيرة وتفرقت امام سطوة وسلاح السلطان على صورة مدهشة فعلاً زرعت في دواخلهم وانتجت ايصال القوة والشهامة العثمانية الى كل اقطار اوربا. ولم يتخلص الا القليل من الامراء

ولما كانت قد ارسلت البشائر والاعلانات الى كل طرف باسم هذا الظفر والفوز العظيم توقر السلطان بعنوان افتخار (سلطان اقليم الروم) من قبل الخليفة العباسي الذي كان موجودًا اوانئذٍ في مصر "سنة ٧٩٧"

وعليه فسلطان اقليم الروم من بعد انتصاره في نيكبولي وجه بقوة سلاحه على القسطنطينية مرة ثانية جزاءً للامبراطور على دخوله في هذه المسالة الا ان القيصر قدر في هذه المرة ان يرضي السلطان بترك السلاح متفقًا معه بان يؤسس في عاصمته معبدًا للاسلام وان يقيم قاضيًا وان يدفع ضريبة سنوية مقدارها ٣٠ الف ذهب

ومن الانتصارات التي احرزها السلطان بعد ذلك فتح اثينا وترحالة وبني شهر والدخول الى الموره. وكذلك كان الاستيلاء في الاناضول على

ديوريك وارزنجان وملاطية

ومن بعد هذه الوقائع ظهر راس تيمور لنك الداهية الدهماء ولما كان تيمور هذا جنكيز الثاني ظهر في جهات سمرقند واخذ في ان يخرب في اسيا مدة ثلاثين سنة وبدأ باظهار قوته وقدرته في العراق. ومن اجل طرد وحماية بعض الحكام الصغار وقع بينه وبين السلطان المخابرات التحقيرية على حسب عوائد ذاك الزمان. ومن النتائج الوخيمة مصيبة استشهاد ارطغرل چلبي ابن السلطان اثناء استيلاء التاتار على سيواس وملاطية وفي النهاية خرج السلطان وتيمور والتقيا ببعضهما في سهول انقره

وقد بلغ عدد المتحاربين مئات الالوف ومصادمة هذين الجيشين العظيمين اللذين كانت شجاعة احدهما تضاهي شجاعة الاخر معدودة من اشهر وقائع التاريخ الانساني المرعبة وقد اتصلت الحرب ثلاثة ايام ليلاً ونهارًا بدون انقطاع. وقد انفرشت على البسيطة اجساد الالوف الكثيرة من الشجعان. وكان من العاقبة ان انهزمت جيوشنا. ولما لم يبقَ بمعية السلطان الا النزر القليل من الانكشارية والسرييين وقع اسيرًا في يد تيمور. وقد اجبر الى ان يترك من يده سيف شهامته الذي جرده من غمده للانتصار في ميدان قوصوه. (سنة ٨٠٤)

وكان ذلك على السلطان عظيماً جدا وصعباً فانه قد تعود على الظفر والانتقال من انتصار الى اخر مدة ١٤ سنة. واخيرًا اعترته حمى محرقة في مدينة اقشهر كانت سبباً لوفاته «سنة ٨٠٥»

وارسل نعشه بمساعدة تيمور الى ابنه موسى چلبي الذي كان اسيرًا معه ودفن في تربة مخصوصة في بروسه

وكان السلطان المغفور له يفوق اسلافه بسالة واقداما ولو كان خدمه الطالع في هذه الحرب الاخيرة ولم يوخذ اسيرًا ليد تيمور لكانت ربما انتقلت مدينة القسطنطينية ليد العثمانيين قبل الزمان الذي فتحت فيه

بنصف قرن . ومن الممكن ان لا يكون هذا الفاتح تد تالم من الاوجاع التي وقع فيها باكثر مما كان يتألم لكونه ماقدر ان يتوّج العلم العثماني فوق اسوار عاصمة القيصر الروماني . ومع ذلك فان شجاعة هذا السلطان وبسالته لم تمكن أخاه عيسى المملوء من الحنق ان يلطخ شهرته بالاسنادات التي كان يسندها اليه ولا قدر ان يدير لسان المجتهدين عن ان يعترفوا بمديحه

خلاصة

اعلن السلطان يلدرم بايزيد سلطنته وهو في الثلاثين في ميدان حرب قوصوه . وجاء امام اسوار القسطنطينية بعد ان أدخل السربيين الى حوض الطاعة وظهر نفوذه وسطوته بعزل ونصب الامبراطور

وادخل في عداد الممالك العثمانية اكثر الامارات الصغيرة التي تشكلت في الاناضول عند انقراض الدولة السلجوقية وكذلك ادخل سيواس وملاطية وسلانيك ومناستر

وفي سنة ١٣٩٦ ميلادية تجمع الصليبيون مرة ثالثة على الدولة وبعد ان بددهم اخذ بمضايقة القسطنطينية من جديد . وزحف على ترحالة واجتاز الى داخل الموره

ومن ثم ظهر تيمور من جهة سمرقند فاستولى على سوريا والعراق وهندستان واسيا الوسطى واحرق سيواس ومن بعد ان حرقها زحف على العثمانيين بستمائة او سبعمائة الف مقاتل وفي الملحمة العظيمة التى وقعت في صحراء انقره قاتل السلطان الشجاع قتال الاسود حتى ترك عدوه في حجر الحيرة والارتباك واخيرًا لكونه وقع اسيرًا في يد تيمور توفي متاثرًا من الكدر

ومن ثم نقل نعشه الى بروسه ودفن في التربة المباركة

القسم الثاني

من زمن الداهية تيمور الى حد فتح القسطنطينية

انفصال السلطنة ودور الفترة

«من سنة ٨٠٥ الى سنة ٨١٦»

وبسبب فوز تيمور اعيدت جميع الحكومات القديمة الى امراء الاناضول و بداعي استيلائه على منتهى الشرق انسحب الى الصين ولذلك وقع في البلاد التي اعيدت ثمة الى العثمانيين المنازعات بين اولاد السلطان المرحوم كل واحد منهم ضد الاخر فكان الظهور العثماني الجديد متهددًا بالخطر والتهلكة

واما سليمان چلبي ولد السلطان الاكبر الذي تخلص من ميدان الحرب فقد اتحد مع علي باشا الصدر الاعظم وجاء العاصمة مارًّا بادرنه ولم يكن مامولاً قط ان محمد چلبي اصغر اولاد السلطان يقدر ان يكسر شوكة الاعداء نظرًا لصغر سنهِ ويخترق صفوف التاتار الخارجين الى قتاله و يجتاز الى اماسيا

وكان من المحتمل على ما يظهر ان يغلب توفيق سليمان چلبي لكون اكثر الامراء تميل اليه ولكون حصوله على الاتفاق مع بعض المدن التركية ومع امبراطور القسطنطينية كان وسيلة كبرى الا ان بسبب انهماكه بالمعاشرات وميله الى الملاهي والرخاء ونظرًا لمكارم الاخلاق المتصف بها محمد چلبي اصبح ذلك الاحتمال بغير حكم

ولما كان ايضاً عيسى چلبي احد اولاد السلطان الذي نهض يدعي

الارث فرّ مغلوباً في بروسه ولم يعد يرى له اثر . وكذلك موسى چلبي فقد قتل اخاه سليمان بالهجوم قريباً من القسطنطينية . وعليه اصبح محمد چلبي مالكاً على تخت اجداده العظام ولم يبقَ له فيه مزاحم الا موسى چلبي

وكان الامراء قد ملوا من خشونة طبع موسى المذكور فسهلوا احياء الدولة العثمانية من جديد وعززوا آمال ابن اولياء نعمهم الاخير الذي افتنهم بفضائله

دور حكومة السلطان محمد جلبي

«من سنة ٨١٦ الى سنة ٨٢٤»

و بعد ان اطفأ السلطان محمد چلبي نيران المنازعات الداخلية جلس على تخت اجداده فكان ذلك من اكبر الاعياد السعيدة على الخلق قاطبة ولا سيما على الذين اخذوا بمكارمه . وقد ابدت ايضاً الحكومات المجاورة صداقتها باسراعها الى التبريك بجلوسه . ومن بعد ان جدد السلطان الجديد موالاته مع امبراطور القسطنطينية صرف همته لازالة الامور الناتجة عن عدم النظام العارض للمملكة اثناء الفترة التي دامت نحواً من عشر سنين

واما القرمانيون الذين ما برحوا يراقبون اقبال الدولة العثمانية منذ ظهورها فمن حيث انهم لم يقدروا ان ينتزعوا بنوع ما موفيقية السلطان محمد بارجاع الحكومة اطالوا يدهم الى المخاصمة بالسلاح من قبيل تجربة الطالع . وكان من نتيجة هذه التجربة ان انهزموا فالتجأوا الى مراحم السلطان وعقدوا العهد والميثاق معه . غير ان ما تظاهر به امراؤهم من خفة الافعال ورداءة المشارب الغير اللائقة بالعفو كانوا كانهم قد اسقطوا نفوسهم من ذلك العهد

وكانت حكومة البندقية قد جددت العهد مع السلطان عند جلوسه الا ان بعض القرصان من رعايا الجمهورية المذكورة قد نكثوا العهد وتطاولوا باجراء بعض اعمال قرصانية في البحر المتوسط فاوجب ذلك وقوع محاربة بحرية لم تات قط بنتيجة . ومن ثم اعيد السلام مع الجمهورية وبعد ذلك قام الفلاخيون ببعض فتن في الروم ايلي فادبوا . وفي الاناضول ايضاً أُلحق بالممالك العثمانية من جديد ضواحي جاني وجهات طوسيه وكنغري

ولم تكن الموانع التي تعوق من همة السلطان وغيرته وتتغلب على اميالة وتشبثاته المنصرفة بما في الامكان الى اعادة الممالك الموروثة واعالتها قليلة

ومن الامور التي تذكر باسف تغلب رداءة الاخلاق على الكمال العلمي . فان احد علماء المسلمين واسمه بدر الدين اشترك بخيانة اثنين من اليهود فارتموا الى تلك الجهات وتجاسروا بتهديد الحكومة مع الوف من الحشرات الصغيرة اي من السفهاء المغفلين . الا ان مراد بك ابن السلطان الشاب الذي كان واليًا على اماسيا في ذلك التاريخ انحدر لازالة هذه المشكلات وتوفق الى القبض على بدر الدين في سيروز وعلى رفاقه الخبثاء في مغنيسيا . وبذلك تخلصت المملكة من المضار

وقد تبع هذه الواقعة انه ظهر انسان ادعي انه مصطفى چلبي اخو السلطان الذي فقد في محاربة انقره . ومع ان هذا المدعي وقع في يد السلطان بالقرب من سلانيك اكتفى بان ادبه بالنفي الى جزيرة لمنى وحبس عليه فيها لدى مراجعته امبراطور القسطنطينية

ومن بعد انصراف كل هذه الوقوعات الهائلة اصيب السلطان العالي الشان بنزلة عند عودته الى ادرنه من ضيافة قام له بها القيصر في القسطنطينية فتوفي وهو لا يزال في سن الشبوبية . وقد استجلب ماتمه المخصوص بالاحترام انسكاب الدموع الغزيرة من عيون جميع للرعايا

والمغفور له المشار اليه بسبب توفيقه لاحياء الدولة مخلصاً اياها من مخالب الانقراض والخطر الذي الحقه بها الداهية تيمور احرز الشرف بان عد الباني الثاني للامة والدولة . وقد كان من اعظم اصحاب البخت جمع بذاته كل الفضائل كالمحبة والاداب والعلم وخلوص النية واللياقة في امور الادارة والهمة والتشفق في اعماله على اعدائه

ومن بعد وصول السلطان الجديد الى ادرنه نقل نعشه المبارك الى التربة القريبة من الجامع الشريف الذي ابتني في بروسه ودفن هناك

خلاصة

ان المنازعات والمحاربات التي دخلت فيما بين اولاد السلطان من جرى سطوة تيمور القت الممالك العثمانية في حجر التهلكة اكثر من عشرين سنة

ومن بعد جلوس السلطان محمد تشرف وتزين اسمه بان عد باني الدولة الثاني . صرف همته الى اصلاح المملكة

وقد توفق الى محو المشاكل التي كانت مزمعة ان تنتج من فساد العالم بدر الدين ذي الطينة الرديئة ومن قيام دوزمه مصطفى وادعائه بانه ابن السلطان المفقود

وكان حين وفاته قد ارجع الممالك الموروثة الى حالة مصانة من كل انواع التعدي . وهو مدفون في بروسه

دور حكومة السلطان مراد الثاني

« من سنة ٨٢٤ الى سنة ٨٥٥ »

ومن جراء وفاة السلطان محمد چلبي جلس على التخت العثماني

وتمنطق في بروسه بالسيف ولده السلطان مراد وهو اذ ذاك في الثامنة عشرة

وعلى قصدان يستفيد امبراطور القسطنطينية من حداثة سن السلطان الجديد فتح باب غائلة كبيرة على الدولة باخلاء سبيل مصطفى الموجود في لمنى الذي كان ادعى بانه ابن السلطان. غير ان السلطان الجديد بعد ان اقتحم في هذا السبيل المشكلات الكثيرة وتوفق سياسة الى صلب العاصي وجه بكتيبته الظافرة على اسوار القسطنطينية ولذلك حرك الامبراطور اخا مصطفى چلبي الصغير الى العصيان على السلطان وبسبب نجاحه في عمله هذا خلص هذه المرة ايضاً عاصمته من استيلاء العثمانيين

وفي مدة الثلاث او الاربع سنين التي تبعت اندفاع وقعة ابن السلطان ألحق بالممالك العثمانية قسطموني وضواحي قره حصار الموجودة تحت ادارة ولد قرمان

ومن الوقائع المهمة التي صادف حدوثها في زمن سلطنة السلطان مراد الثاني ما كان جارياً في الروم ايلي نظير تاديب السربيين الذين عصوا بسبب تظاهر المجريين. وقام ايضاً الى استرداد قلعة سلانيك التي وقعت في يد البندقيين عند مسئلة تيمور. ونظراً لمتانة القلعة احتيج الى فتحها عدة حملات متوالية شديدة. ومقابلة لذلك هاجم البندقيون بحراً السلطان وقد احرقوا وخربوا اجناق قلعة

وفي هذا الدور ظهر ضربات كثيرة نظير وقوع الزلازل الكبيرة والقحط والوباء فضاع كثير من اعاظم رجال الامة ووقع الناس بالحيرة والوهم من جراء الحوادث العلوية. وفي زمان هكذا ياس ولد السلطان محمد الثاني فلحق قلوب الامة من ولادته الانشراح والفرح (في ٨ رجب سنة ٨٣٣)

و بينما كانت الفتوحات متواصلة كانت من الطرف الواحد الجيوش العثمانية قد استولت على الارناؤوط ومن الطرف الاخر كانت تغزو بوسنه . واما من ظرف الطونة الاخر فكان هونياد المحارب المشهور يستعد لاظهار شجاعته تجاه انتصارات السلطان العالي الشان

وعند عودة السلطان الغيور من محاصرة بلغراد لدى تاديبه السربيين الذين رفعوا علم العصيان مجدداً بتحريضات المجريين انهزم غزاتنا في بلاد المجر (وهذه هي المرة الاولى في التاريخ العثماني) فانقبضت من جراء ذلك القلوب

الا ان هونياد زاد جراءة بسبب هذا النجاح وقد فاز بعد ذلك بعدة انتصارات على العثمانيين سنين متوالية . واخيراً فرّ الى بلده اسكندر بك ابن جان كاستريو الذي تربى في مكتب السلطان وتشرف بالاعتماد السلطاني وقد توفق الى اجتياز البلقان وتجاسر بتحريك الاهالي الى حمل السلاح ضد الحكومة العثمانية . وهذا الذي حمل السلطان العالي الجناب على الفتور وقد وجد نفسه مضطراً لعقد المصالحة مع اعدائه الفائزين

و بناء على هذا القنوط سحب السلطان يده من اشغال الدولة غير ملتفت الى السن واعتزل الى مغنيسيا وحينئذٍ استخلف ابنه السلطان محمداً اعلى الدولة وهو في الرابعة عشرة

واما هونياد فقد نقض المعاهدة واسرع الى الاستفادة من حداثة سن السلطان ومن عزلة ابيه فجمع وجند ومن ثم اجتازت جيوش المتفقين الكثيرة تحت قيادة لاوسلاس ملك المجر الطونه والبلقان وظهرت بغتةً امام وارنه

وحالما بلغ هذا الخبر المدهش السلطان العالي الهمة خرج خروج الاسد من مربضه اي من زاوية وحدته وانزوائه وارتمى على الاعداء فتوفق الى تفريق شملهم بصورة تستدعي العجب . وقد رفع على مزراق راس الملك

المقطوع الذي نقض المعاهدة واشهره للعالم كيف يعتبر كل من لا يقف عند عهده . وفي هذه المغلوبية فرّ هونياد وفاز بخلاص نفسه

ومن بعد هذا الظفر العظيم نهضت الهيئة العسكرية ووكلاء الدولة وسالوا السلطان بالحاح ان يرجع الى السلطنة فرضي بالرغم على ارادته

وفي مدة حكومته الثانية سيقت العساكر من الطرف الواحد على الموره ومن الطرف الاخر اهتمت بتاديب اسكندر العقوق الذي هرب اثناء هزيمة وارنه وقد التجأ الى اوربا يستنهضها لاخذ الثار . وكذلك هونياد توفق الى جمع الجيوش وسوقها من جديد على الدولة العثمانية . ومن ثم بالقرب من قوصوه تبدد اولئك المتفقون بما زاد في شان العثمانيين وبينما كان السلطان مهتماً بتاديب اسكندر العاصي جاحد النعمة توفاه الله فترك ذلك الى ولده السلطان محمد الثاني

وقد كان المغفور له فاضلاً عارفاً بالفنون الحربية . ومما يشهد على شجاعته ومعرفته التعليمات العسكرية انتصاراته العظيمة بوقعتي وارنه وقوصوه . وقد استحق لفضيلته وذكائه ان يوصف بما تفسيره « حكمة السلطنة » فضلاً عن ان السنة الاعداء لم تخلُ من ان تتزين بمدحه . وتربته كائنة في بروسه كاسلافه العظام

خلاصة

استرجع السلطان مراد سلانيك التي كانت وقعت في يد البندقيين اثناء واقعة تيمور واستولى على بلاد الارناوءوط وغزا بوسنه . وقد زاد رجوع الغزاة العثمانيين عن بلاد المجر من جسارة هونياد المشهور فانتصر عدة مرات واجبر الدولة الى عقد مصالحة

واوقع هذا الفشل السلطان في الفتور فتخلى عن العمل لابنه محمد الثاني ولهذا نقض الاعداء عهودهم فجاء وارنه وبدد شمل تلك الجيوش المتفقة

وجلس ثانية على العرش العثماني.

وفي المدة الثانية من سلطنته عاد المتحدون ايضاً الى القتال جديداً منتقمين عن فشلهم في ادرنه فبددهم ايضاً عند قوصوه . و بعد موته دفن في بروسه

دور حكومة السلطان محمد الفاتح

«من سنة ٨٥٥ الى زمن فتح القسطنطينية»

ولا ريب ان لسان حال السلطان لدى انتقاله الى دار الاخرة كان ينادي ولده محمداً قائلاً «هلمّ خلفي يامن احبني» فركب من مغنيسيا بشهامة الاسد و بلغ ادرنه عن طريق كليبولي وجلس باستحقاق على عرش اجداده العظام

وحال جلوسه نهض القرامانيون الى تجربة طالعهم كعوائدهم باستخدام السلاح عند التغيير في السلطنة لكنهم أُدبوا واجبروا الى الطاعة حالاً . وفي وقت رجوعه من الحرب تجاسر جماعة الانكشارية الى الخروج ضده طالبين منه عطية الجلوس . ومن الامور المكدرة ان تكون العساكر المعدة لفتح الاقاليم والبلدان غير طائعة . فتظاهرت بالانضمام الى بعضها البعض وهذا الذي كان يجرح تلك التصورات الفتحية العارضة لذاك السلطان الفتى . وعليه فقد اتخذ ما اتصف به من البسالة والاقدام فادب وارهب اولئك الجماعة . واذ كان يتردد في فكره القدوم على فتح القسطنطينية لم يقف عن ان يضع هذا التردد في موقع الاجراء

وكانت مدينة القسطنطينية التي هي عاصمة سلطنتنا الان من المدن القديمة المشهورة بلطافة الهواء واهمية المركز . وقد كانت تسمى في القديم بيزانس . و بحسب الروايات التاريخية تكون هذه المدينة قد ابتنيت

من قبل الهجرة النبوية بنحو ١٤ عصرًا على القمم الواقعة خارج السراية الان . ومن المروي ايضًا على ما في تاريخ الاولياء الكرام انها اسست في زمن سليمان باسم الجارية بيزانس (راجع تاريخ الرومان)

وقد استولى عليها سرخش ملك الفرس من مشاهير رجال حروب الازمنة القديمة اثناء حملاته المشهورة على بلاد اليونان . وبعد ذلك انتقلت الى اليونانيين ومن ثم صارت موضوع افكار استيلاء فيليب المكدوني ابي اسكندر الكبير . وعند ما بحث الملك قسطنطين الكبير على مدينة عظيمة تعادل مدينة رومية جدد بناء بيزانس وزينها وزخرفها وذلك قبل الهجرة النبوية بنحو عصرين ونصف عصر وقد اتخذها عاصمة له . وسميت منذ ذلك الحين باسمه

ولدى وفاة جوستين الكبير احد احفاد قسطنطين المذكور تقسمت ممالك الرومان الى قسمين بين ولديه الاثنين فدعي اهالي القسم الواحد رومانو الغرب واهالي القسم الثاني رومانو الشرق . ومنذ ذاك التقسيم الذي صادف وقوعه في سنة ٣٩٥ ميلادية اعتبرت القسطنطينية باسم «كرسي الامبراطورية الشرقية»

ومن بعد سقوط الرومانيين وان كانت الامبراطورية الشرقية بقيت في عهدة حكومات عيال متعددة لكن لم يطل ذلك لزمن طويل فمن الجهة الواحدة كانت عرضة لبعض الاقوام الهمج كالسربين والبلغاريين ومن الطرف الاخر كانت عرضة ايضًا لتعديات الفرس . ومن بعد ظهور الاسلامية صارت عرضة لحملات العرب سواء كان في زمن الامويين او العباسيين الذين جاهدوا كثيرًا لفتحها . ومن مشاهير هولاء الغزاة ابو ايوب الانصاري صاحب العلم و بطال الغازي الذي اشتهر بحروبه في الاناضول وهارون الرشيد من اعاظم الخلفاء العباسيين . وقد اسس جامع العرب الموجود اليوم هناك اثناء مهاجمات العرب

وفي زمن الحروب الصليبية لم تقدر القسطنطينية ان تتخلص من هجماتهم وفي سنة ١٢٠٤ ميلادية استولوا عليها فالتزم امبراطور الرومان ان يلتجيء الى ايزنيق وقد تشكلت فيها الامبراطورية اللاتينية التي بقيت عليها نحوًا من ستين سنة فقط ثم اعيدت للرومان . ومن بعد ظهور العثمانيين ايضاً مالوا بمطمح انظارهم اليها وعلى الخصوص السلطان بايزيد والسلطان مراد الثاني . وكان قد عرض لكل منهما عند قيامه على محاصرتها عوارض حالت دون مقصده كانت السبب في تاخير فتحها

وهكذا كانت القسطنطينية المالئة الافاق بشهرتها نظرًا لوقائعها العظيمة هي نفس المدينة التي كان السلطان محمد الثاني قد اتخذ امر فتحها موضوعاً لافكاره حتى انها ولو لم تكن مشهورة بالتاريخ مثل هكذا شهرة لكن لاجل رسوخ وتأسيس الدولة العلية في قطيعتي الروم ايلي والاناضول لانها واقعة عند ملتقاها كان امر الاستيلاء عليها ضروريًا لابد منه ولاسيما كونها واقعة في قلب المملكة . وفي مقدمات الانشاءات اللازمة للتضييق على هذه المدينة ابتنى الاخدود الذي يقطع البوغاز المسمى اليوم باسم « روم ايلي حصاري » تجاه الاخدود . الذي اسسه السلطان بايزيد في داخل البوغاز

واثناء تشبثات السلطان المشار اليه بالفتح كان حكم ونفوذ القيصرية محدودًا بسور المدينة فقط وكان الاهالي متوغلين بالمنازعات الدينية . وكان مما يظهر انه لمن المستحيل ان تقدر القسطنطينية على المقاومة تجاه العثمانيين الذين اعادوا مكنتهم متخلصين من صدمات تيمور في اسيا وقد اوقفوا بسلاح الفوز عدة حملات صليبية في اوربا منذ نحو عصر ونصف . ومع ذلك فقد ذهبت مراجعات الامبراطور قسطنطين آخر عائلة بالئولوغ بلا نتيجة عند السلطان . واخيرًا عمد الى سلاح المدافعة

وفي ربيع سنة ٨٥٧ هجرية قام الجيش العثماني وعدده ٣٠٠ الف

نفس تقريباً بهاجمة المدينة بعد ان مرّ من ادرنه وقاتل قتالاً لم ينظر مثله الى حد ذاك التاريخ وكانت المدافع التي اوجدها السلطان محمد الثاني كبيرة ضخمة جداً ثقل الواحد منها اكثر من قنطارين . وكان دويها مخيفاً مرهباً للمحصورين . ولما كانت اسوار المدينة منيعة جداً على مثل اسلحة ذاك الزمان وهي محاطة من جهة البر بخندقين كان امر الاستيلاء عليها يحتاج الى قوة وعناية عظيمتين . وكان الاسطول العثماني تحت قيادة (بالطه اوغلي)قد امر بمنع المعاونة والامداد وكل ما ياتي القسطنطينية من الخارج بطريق البحر

وكانت المدافعة ضعيفة اي ان عدد المدافعين القائمين داخل السور ٣٥ الف مقاتل وقد بذلوا غاية ما في وسعهم للمدافعة عن القلعة تحت عناية واهتمام جوستين من روساء الجنويين وتشديدات الامبراطور

وكانت المحاصرة في البر تطول وتمتد . وقد تضايق السلطان وتكدر من جراء دخول بعض سفن يونانية جاءت لمساعدة المحصورين . ولما كان ملاحونا غير حاصلين اوانئذٍ على المهارة البحرية اخترقت المراكب المذكورة اسطولنا ودخلت الخليج . وكان الرومانيون يربطون زنجيراً كبيراً فيما بين خارج السرايا وغلطه ولهذا السبب كان بالنسبة لذاك الزمان غير ممكن قطعه ودخول الخليج بالمراكب . واما السلطان المقتدر فانه كان يريد ان يقتحم بالاختراعات والاستنباطات الخارقة عدم الامكانية المذكورة . فامر ان يضرب الخليج بالمدافع المستنبطة المسماة بالهاون من الطرف الواحد ومن الطرف الاخر اتخذت الوسائط العجيبة التي لو لم تكن مثبوتة بالتاريخ لظهر للانسان انها من نوع الخرافات وذلك انهم انزلوا المراكب بواسطة القزافات« نوع من الخشب يربط قطعاً صغيرة تحت المراكب لتنزيلها الى البحر»من طولمه باغجه الى قاسم باشا ومن هناك الى الخليج يعني الى داخل الزنجير وهذا الامر اوقع الاعداء بالحيرة والاضطراب

والحاصل انه مع اتخاذ هكذا تدابير امتدت المحاصرة الى ٥٣ يوماً في نهايتها توفق السلطان بهجوم عمومي الى فتح سور القسطنطينية فتكلل باكاليل المدح الجليل ونال بهذا الاستظهار الفخر الابدي بحيث توج اسمه الشريف (بالفاتح)

وهذه المهاجمة العثمانية التي كانت تحت قيادة ذاك الفاتح العظيم هي المهاجمة التاسعة والعشرون التي هوجمت بها بيزانس المدينة القديمة منذ تاسيسها سواء كان من جهة اسيا او من جهة اوربا

ولما كانت القسطنطينية مركز كرسي الكنيسة الشرقية ومقرها الروحاني وكانت ايضاً حائزة على اهمية عظمى بين العالم المسيحي كان انتقالها هذا القطعي الى يد المسلمين معدوداً في اوربا من الوقائع التاريخية الخارقة العادة . وبواسطة انقراض الرومانيين ختمت وقائع القرون الوسطى (سنة ١٤٥٣) ميلادية

الفصل الثاني

في رسوخ الدولة العثمانية ودور استيلائها

القسم الاول

من فتح القسطنطينية الى زمن انتقال الخلافة الى آل عثمان

بقية من دور حكومة السلطان محمد الفاتح

(من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٨٦)

ومن جرى هذا الانقلاب العظيم الذي حدث من فتح القسطنطينية خلفت الدولة العثمانية امبراطورية الرومان الشرقية . ومع نجاح السلطان المشار اليه فقد ابقى كنيسة الفنار التي هي الكرسي الروحاني للمذهب الارثوذكسي مع البطريرك الذي عينه ونصبه عليها ولم يحرمه من المساعدات التي ترفع شان فوزه مع انه عصي احسانه

واضحت القسطنطينية من جرى فتحها مركزًا لائقًا بالتخت العثماني . ومن بعد ان وطدت حكومتها على هذه الصوره القطعية في اوربا وجه السلطان بقوة سلاحه على السرب التي لم تستكن عن الفتن بتشويق هونياد وقد استطالت مسالة السرب وسببت عدة وقائع من جملتها رجوع السلطان محمد الفاتح مجروحًا من امام بلغراد . واخيرًا بواسطه هلاك هونياد انصرفت من الجهة الواحدة اسباب القلاقل ومن الجهة الثانية بسبب وفاة ملك السرب انتقل حق وراثة الحكومة الى عهدة البرنسس التي كان قد تزوج منها فيما مضى السلطان مراد . فكان من نتيجة ما تقدم

ان ألحقت جميع البلاد المذكورة بحكومة السلطان في سنه (١٤٥٩) ميلادية

ومن بعد هذه الوقائع وقع ايضاً في يد الغالب فاتح القسطنطينية جميع قطيعة الموره ما عدا بعض مواقع وقلاع

وما امكن للسلطان ان يتخلص من المشاكل التي شغلته كمشاغل صاحب الموره ووقايع بلاد السرب التابعة لفتح القسطنطينية حتى انهمك بالدخول مع اربعة اعداء كبار نهضوا للمراقبة بقوة السلاح في قطيعتي الاناضول والروم ايلي

واعظم هولاء اهمية كان اوزن حسن من مشاهير حكومة عائلة (اق قيونلي) المتملكة في ايران وقد شوق الى العصيان حاكم طرابزون بمناسبة صهرية . واما السلطان فانه بعد ان استولى على قسطموني وقلعة سينوب زحف علي ارضروم . وعند محاربة الجرخه جي انصرف اوزن حسن غير متجاسر ان يقوم بالحرب قطعياً ومن بعد انصرافه ضمت مدينة طرابزون الى الممالك العثمانية

وكان برنس الفلاخ المشهور المعروف بالتواريخ (الشيطان الاسود) رجلاً محباً لاهراق الادمية . ونظراً لظلمه اغتنم فرصة انهماك السلطان محمد بالاناضول فنهض الى اجراء مظالمه الفاحشة مثل اتلاف واذية السفراء المرسلين اليه وتخوزق الاسراء الذين دخلوا في يده . ولما قصد الفاتح الذهاب اليه فر الى بلاد المجر وتخلص من مخالب المجازاة . وفي تلك الاثناء استولى الاسطول على جزيرة مدلي و بعض جزائر البحر المتوسط . وزحف جيش عظيم على بوسنه فقتل ملكها واستولى على القطيعة المذكورة من جرى انهزام المجريين الذين جاءوا امداداً لها

وكان اسكندر بك العاصي الذي فرّ من القصر الهمايوني في زمن المغفور له السلطان مراد الثاني قد عمل على المقاومة ومهاجمة العثمانيين

وتمنطق في بروسه بالسيف ولده السلطان مراد وهو اذ ذاك في الثامنة عشرة

وعلى قصدان يستفيد امبراطور القسطنطينية من حداثة سن السلطان الجديد فتح باب غائلة كبيرة على الدولة باخلاء سبيل مصطفى الموجود في لمنى الذي كان ادعى بانه ابن السلطان. غير ان السلطان الجديد بعد ان اقتحم في هذا السبيل المشكلات الكثيرة وتوفق سياسة الى صلب العاصي وجه بكتيبته الظافرة على اسوار القسطنطينية ولذلك حرك الامبراطور اخا مصطفى چلبي الصغير الى العصيان على السلطان وبسبب نجاحه في عمله هذا خلص هذه المرة ايضاً عاصمته من استيلاء العثمانيين

وفي مدة الثلاث او الاربع سنين التي تبعت اندفاع وقعة ابن السلطان ألحق بالممالك العثمانية قسطموني وضواحي قره حصار الموجودة تحت ادارة ولد قرمان

ومن الوقائع المهمة التي صادف حدوثها في زمن سلطنة السلطان مراد الثاني ما كان جارياً في الروم ايلي نظير تاديب السربيين الذين عصوا بسبب تظاهر المجريين. وقام ايضاً الى استرداد قلعة سلانيك التي وقعت في يد البندقيين عند مسئلة تيمور. ونظراً لمتانة القلعة احتيج الى فتحها عدة حملات متوالية شديدة. ومقابلة لذلك هاجم البندقيون بحراً السلطان وقد احرقوا وخربوا اجناق قلعة

وفي هذا الدور ظهر ضربات كثيرة نظير وقوع الزلازل الكبيرة والقحط والوباء فضاع كثير من اعاظم رجال الامة ووقع الناس بالحيرة والوهم من جراء الحوادث العلوية. وفي زمان هكذا ياس ولد السلطان محمد الثاني فلحق قلوب الامة من ولادته الانشراح والفرح (في ٨ رجب سنة ٨٣٣)

و بينما كانت الفتوحات متواصلة كانت من الطرف الواحد الجيوش العثمانية قد استولت على الارناؤوط ومن الطرف الاخر كانت تغزو بوسنه . واما من طرف الطونة الاخر فكان هونياد المحارب المشهور يستعد لاظهار شجاعته تجاه انتصارات السلطان العالي الشان

وعند عودة السلطان الغيور من محاصرة بلغراد لدى تاديبه السربيين الذين رفعوا علم العصيان مجددًا بتحريضات المجريين انهزم غزاتنا في بلاد المجر (وهذه هي المرة الاولى في التاريخ العثماني) فانقبضت من جراء ذلك القلوب

الّا ان هونياد زاد جراءة بسبب هذا النجاح وقد فاز بعد ذلك بعدة انتصارات على العثمانيين سنين متوالية . واخيرًا فرّ الى بلده اسكندر بك ابن جان كاستريو الذي تربى في مكتب السلطان وتشرف بالاعتماد السلطاني وقد توفق الى اجتياز البلقان وتجاسر بتحريك الاهالي الى حمل السلاح ضد الحكومة العثمانية . وهذا الذي حمل السلطان العالي الجناب على الفتور وقد وجد نفسه مضطرًا لعقد المصالحة مع اعدائه الفائزين

و بناء على هذا القنوط سحب السلطان يده من اشغال الدولة غير ملتفت الى السن واعتزل الى مغنيسيا وحينئذٍ استخلف ابنه السلطان محمدًا على الدولة وهو في الرابعة عشرة

واما هونياد فقد نقض المعاهدة واسرع الى الاستفادة من حداثة سن السلطان ومن عزلة ابيه فجمع وجند ومن ثم اجتازت جيوش المتفقين الكثيرة تحت قيادة لاوسلاس ملك المجر الطونه والبلقان وظهرت بغتةً امام وارنه

وحالما بلغ هذا الخبر المدهش السلطان العالي الهمة خرج خروج الاسد من مربضه اي من زاوية وحدته وانزوائه وارتمى على الاعداء فتوفق الى تفريق شملهم بصورة تستدعي العجب . وقد رفع على مزراق راس الملك

المقطوع الذي نقض المعاهدة واشهره للعالم كيف يعتبر كل من لا يقف عند عهده . وفي هذه المغلوبية فرّ هونياد وفاز بخلاص نفسه

ومن بعد هذا الظفر العظيم نهضت الهيئة العسكرية ووكلاء الدولة وسالوا السلطان بالحاح ان يرجع الى السلطنة فرضي بالرغم على ارادته

وفي مدة حكومته الثانية سيقت العساكر من الطرف الواحد على الموره ومن الطرف الاخر اهتمت بتاديب اسكندر العقوق الذي هرب اثناء هزيمة وارنه وقد التجأ الى اوربا يستنهضها لاخذ الثار . وكذلك هونياد توفق الى جمع الجيوش وسوقها من جديد على الدولة العثمانية . ومن ثم بالقرب من قوصوه تبدد اولئك المتفقون بما زاد في شان العثمانيين وبينما كان السلطان مهتماً بتاديب اسكندر العاصي جاحد النعمة توفاه الله فترك ذلك الى ولده السلطان محمد الثاني

وقد كان المغفور له فاضلاً عارفاً بالفنون الحربية . ومما يشهد على شجاعته ومعرفته التعليمات العسكرية انتصاراته العظيمة بوقعتي وارنه وقوصوه . وقد استحق لفضيلته وذكائه ان يوصف بما تفسيره « حكمة السلطنة » فضلاً عن ان السنة الاعداء لم تخلُ من ان تتزين بمدحه . وتربته كائنة في بروسه كاسلافه العظام

خلاصة

استرجع السلطان مراد سلانيك التي كانت وقعت في يد البندقيين اثناء واقعة تيمور واستولى على بلاد الارناووط وغزا بوسنه . وقد زاد رجوع الغزاة العثمانيين عن بلاد المجر من جسارة هونياد المشهور فانتصر عدة مرات واجبر الدولة الى عقد مصالحة

واوقع هذا الفشل السلطان في الفتور فتخلى عن العمل لابنه محمد الثاني ولهذا نقض الاعداء عهودهم فجاء وارنه وبدد شمل تلك الجيوش المتفقة

وجلس ثانية على العرش العثماني

وفي المدة الثانية من سلطنته عاد المتحدون ايضاً الى القتال جديداً منتقمين عن فشلهم في ادرنه فبددهم ايضاً عند قوصوه · و بعد موته دفن في بروسه

دور حكومة السلطان محمد الفاتح

«من سنة ٨٥٥ الى زمن فتح القسطنطينية»

ولا ريب ان لسان حال السلطان لدى انتقاله الى دار الاخرة كان ينادي ولده محمداً قائلاً «هلمّ خلفي يامن احبني» فركب من مغنيسيا بشهامة الاسد و بلغ ادرنه عن طريق كليبولي وجلس باستحقاق على عرش اجداده العظام

وحال جلوسه نهض القرامانيون الى تجربة طالعهم كعوائدهم باستخدام السلاح عند التغيير في السلطنة لكنهم أُدبوا واجبروا الى الطاعة حالاً · وفي وقت رجوعه من الحرب تجاسر جماعة الانكشارية الى الخروج ضده طالبين منه عطية الجلوس · ومن الامور المكدرة ان تكون العساكر المعدة لفتح الاقاليم والبلدان غير طائعة · فتظاهرت بالانضمام الى بعضها البعض وهذا الذي كان يجرح تلك التصورات الفتحية العارضة لذاك السلطان الفتى · وعليه فقد اتخذ ما اتصف به من البسالة والاقدام فادب وارهب اولئك الجماعة · واذ كان يتردد في فكره القدوم على فتح القسطنطينية لم يقف عن ان يضع هذا التردد في موقع الاجراء

وكانت مدينة القسطنطينية التي هي عاصمة سلطنتنا الان من المدن القديمة المشهورة بلطافة الهواء واهمية المركز · وقد كانت تسمى في القديم بيزانس · و بحسب الروايات التاريخية تكون هذه المدينة قد ابتنيت

من قبل الهجرة النبوية بنحو ١٤ عصرًا على القمم الواقعة خارج السراية الان . ومن المروي ايضًا على ما في تاريخ الاولياء الكرام انها اسست في زمن سليمان باسم الجارية بيزانس (راجع تاريخ الرومان)

وقد استولى عليها سرخش ملك الفرس من مشاهير رجال حروب الازمنة القديمة اثناء حملاته المشهورة على بلاد اليونان . وبعد ذلك انتقلت الى اليونانيين ومن ثم صارت موضوع افكار استيلاء فيليب المكدوني ابي اسكندر الكبير . وعند ما بحث الملك قسطنطين الكبير على مدينة عظيمة تعادل مدينة رومية جدد بناء بيزانس وزينها وزخرفها وذلك قبل الهجرة النبوية بنحو عصرين ونصف عصر وقد اتخذها عاصمة له . وسميت منذ ذلك الحين باسمه

ولدى وفاة جوستين الكبير احد احفاد قسطنطين المذكور تقسمت ممالك الرومان الى قسمين بين ولديه الاثنين فدعي اهالي القسم الواحد رومانو الغرب واهالي القسم الثاني رومانو الشرق . ومنذ ذاك التقسيم الذي صادف وقوعه في سنة ٣٩٥ ميلادية اعتبرت القسطنطينية باسم «كرسي الامبراطورية الشرقية»

ومن بعد سقوط الرومانيين وان كانت الامبراطورية الشرقية بقيت في عهدة حكومات عيال متعددة لكن لم يطل ذلك لزمن طويل فمن الجهة الواحدة كانت عرضة لبعض الاقوام الهمج كالسربين والبلغاريين ومن الطرف الاخر كانت عرضة ايضًا لتعديات الفرس . ومن بعد ظهور الاسلامية صارت عرضة لحملات العرب سواء كان في زمن الامويين او العباسيين الذين جاهدوا كثيرًا لفتحها . ومن مشاهير هولاء الغزاة ابو ايوب الانصاري صاحب العلم و بطال الغازي الذي اشتهر بحرو به في الاناضول وهارون الرشيد من اعاظم الخلفاء العباسيين . وقد اسس جامع العرب الموجود اليوم هناك اثناء مهاجمات العرب

وفي زمن الحروب الصليبية لم تقدر القسطنطينية ان تتخلص من هجماتهم وفي سنة ١٢٠٤ ميلادية استولوا عليها فالتزم امبراطور الرومان ان يلتجيء الى ايزنيق وقد تشكلت فيها الامبراطورية اللاتينية التي بقيت عليها نحوًا من ستين سنة فقط ثم اعيدت للرومان . ومن بعدظهور العثمانيين ايضًا مالوا بمطمح انظارهم اليها وعلى الخصوص السلطان بايزيد والسلطان مراد الثاني . وكان قد عرض لكل منهما عند قيامه على محاصرتها عوارض حالت دون مقصده كانت السبب في تاخير فتحها

وهكذا كانت القسطنطينية المالئة الافاق بشهرتها نظرًا لوقائعها العظيمة هي نفس المدينة التي كان السلطان محمد الثاني قد اتخذ امر فتحها موضوعًا لافكاره حتى انها ولو لم تكن مشهورة بالتاريخ مثل هكذا شهرة لكن لاجل رسوخ وتأسيس الدولة العلية في قطيعتي الروم ايلي والاناضول لانها واقعة عند ملتقاها كان امر الاستيلاء عليها ضروريًا لابد منه ولاسيما كونها واقعة في قلب المملكة . وفي مقدمات الانشاءات اللازمة للتضييق على هذه المدينة ابتني الاخدود الذي يقطع البوغاز المسمى اليوم باسم « روم ايلي حصاري » تجاه الاخدود . الذي اسسه السلطان بايزيد في داخل البوغاز

واثناء تشبثات السلطان المشار اليه بالفتح كان حكم ونفوذ القيصرية محدودًا بسور المدينة فقط وكان الاهالي متوغلين بالمنازعات الدينية . وكان مما يظهر انه لمن المستحيل ان تقدر القسطنطينية على المقاومة تجاه العثمانيين الذين اعادوا مكنتهم متخلصين من صدمات تيمور في اسيا وقد اوقفوا بسلاح الفوز عدة حملات صليبية في اوربا منذ نحو عصر ونصف . ومع ذلك فقد ذهبت مراجعات الامبراطور قسطنطين آخر عائلة بالئولوغ بلا نتيجة عند السلطان . واخيرًا عمد الى سلاح المدافعة

وفي ربيع سنة ٨٥٧ هجرية قام الجيش العثماني وعدده ٣٠٠ الف

نفس تقريباً بمهاجمة المدينة بعد ان مرَّ من ادرنه وقاتل قتالاً لم ينظر مثله الى حد ذاك التاريخ وكانت المدافع التي اوجدها السلطان محمد الثاني كبيرة ضخمة جدًّا ثقل الواحد منها اكثر من قنطارين . وكان دويها مخيفاً مرهباً للمحصورين . ولما كانت اسوار المدينة منيعة جدًّا على مثل اسلحة ذاك الزمان وهي محاطة من جهة البر بخندقين كان امر الاستيلاء عليها يحتاج الى قوة وعناية عظيمتين . وكان الاسطول العثماني تحت قيادة (بالطه اوغلي) قد امر بمنع المعاونة والامداد وكل ما ياتي القسطنطينية من الخارج بطريق البحر

وكانت المدافعة ضعيفة اي ان عدد المدافعين القائمين داخل السور ٣٥ الف مقاتل وقد بذلوا غاية ما في وسعهم للمدافعة عن القلعة تحت عناية واهتمام جوستين من روساء الجنويين وتشديدات الامبراطور

وكانت المحاصرة في البر تطول وتمتد . وقد تضايق السلطان وتكدر من جراء دخول بعض سفن يونانية جاءت لمساعدة المحصورين . ولما كان ملاحونا غير حاصلين اوانئذٍ على المهارة البحرية اخترقت المراكب المذكورة اسطولنا ودخلت الخليج . وكان الرومانيون يربطون زنجيراً كبيرًا فيمابين خارج السرايا وغلطه ولهذا السبب كان بالنسبة لذاك الزمان غير ممكن قطعه ودخول الخليج بالمراكب . واما السلطان المقتدر فانه كان يريد ان يقتحم بالاختراعات والاستنباطات الخارقة عدم الامكانية المذكورة . فامر ان يضرب الخليج بالمدافع المستنبطة المسماة بالهاون من الطرف الواحد ومن الطرف الاخر اتخذت الوسائط العجيبة التي لو لم تكن مثبوتة بالتاريخ لظهر للانسان انها من نوع الخرافات وذلك انهم انزلوا المراكب بواسطة القزاقات « نوع من الخشب يربط قطعاً صغيرة تحت المراكب لتنزيلها الى البحر » من طوله باغجه الى قاسم باشا ومن هناك الى الخليج يعني الى داخل الزنجير وهذا الامر اوقع الاعداء بالحيرة والاضطراب

والحاصل انه مع اتخاذ هكذا تدابير امتدت المحاصرة الى ٥٣ يوماً في نهايتها توفق السلطان بهجوم عمومي الى فتح سور القسطنطينية فتكلل باكاليل المدح الجليل ونال بهذا الاستظهار الفخر الابدي بحيث توج اسمه الشريف (بالفاتح)

وهذه المهاجمة العثمانية التي كانت تحت قيادة ذاك الفاتح العظيم هي المهاجمة التاسعة والعشرون التي هوجمت بها بيزانس المدينة القديمة منذ تاسيسها سواء كان من جهة اسيا او من جهة اوربا

ولما كانت القسطنطينية مركز كرسي الكنيسة الشرقية ومقرها الروحاني وكانت ايضاً حائزة على اهمية عظمى بين العالم المسيحي كان انتقالها هذا القطعي الى يد المسلمين معدوداً في اوربا من الوقائع التاريخية الخارقة العادة . وبواسطة انقراض الرومانيين ختمت وقائع القرون الوسطى (سنة ١٤٥٣) ميلادية

الفصل الثاني

في رسوخ الدولة العثمانية ودور استيلائها

القسم الاول

من فتح القسطنطينية الى زمن انتقال الخلافة الى آل عثمان

بقية من دور حكومة السلطان محمد الفاتح

(من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٨٦)

ومن جرى هذا الانقلاب العظيم الذي حدث من فتح القسطنطينية خلفت الدولة العثمانية امبراطورية الرومان الشرقية . ومع نجاح السلطان المشار اليه فقد ابقى كنيسة الفنار التي هي الكرسي الروحاني للمذهب الارثوذكسي مع البطريرك الذي عينه ونصبه عليها ولم يحرمه من المساعدات التي ترفع شان فوزه مع انه عصي احسانه

واضحت القسطنطينية من جرى فتحها مركزًا لائقًا بالتخت العثماني . ومن بعد ان وطدت حكومتها على هذه الصوره القطعية في اوربا وجه السلطان بقوة سلاحه على السرب التي لم تستكن عن الفتن بتشويق هونياد وقد استطالت مسالة السرب وسببت عدة وقائع من جملتها رجوع السلطان محمد الفاتح مجروحًا من امام بلغراد . واخيرًا بواسطه هلاك هونياد انصرفت من الجهة الواحدة اسباب القلاقل ومن الجهة الثانية بسبب وفاة ملك السرب انتقل حق وراثة الحكومة الى عهدة البرنسس التي كان قد تزوج منها فيما مضي السلطان مراد . فكان من نتيجة ما تقدم

ان أُلحقت جميع البلاد المذكورة بحكومة السلطان في سنه (١٤٥٩) ميلادية

ومن بعد هذه الوقائع وقع ايضاً في يد الغالب فاتح القسطنطينية جميع قطيعة الموره ما عدا بعض مواقع وقلاع

وما امكن للسلطان ان يتخلص من المشاكل التي شغلته كمشاغل صاحب الموره ووقايع بلاد السرب التابعة لفتح القسطنطينية حتى انهمك بالدخول مع اربعة اعداء كبار نهضوا للمراقبة بقوة السلاح في قطيعتي الاناضول والروم ايلي

واعظم هولاء اهمية كان اوزن حسن من مشاهير حكومة عائلة (اق قيونلي) المتملكة في ايران وقد شوق الى العصيان حاكم طرابزون بمناسبة صهرية. واما السلطان فانه بعد ان استولى على قسطموني وقلعة سينوب زحف على ارضروم. وعند محاربة الجرخه جي انصرف اوزن حسن غير متجاسر ان يقوم بالحرب قطعياً ومن بعد انصرافه ضمت مدينة طرابزون الى الممالك العثمانية

وكان برنس الفلاخ المشهور المعروف بالتواريخ (الشيطان الاسود) رجلاً محباً لاهراق الادمية. ونظراً لظلمه اغتنم فرصة انهماك السلطان محمد بالاناضول فنهض الى اجراء مظالمه الفاحشة مثل اتلاف واذية السفراء المرسلين اليه وتخوزق الاسراء الذين دخلوا في يده. ولما قصد الفاتح الذهاب اليه فر الى بلاد المجر وتخلص من مخالب المجازاة. وفي تلك الاثناء استولى الاسطول على جزيرة مدلي و بعض جزائر البحر المتوسط. وزحف جيش عظيم على بوسنه فقتل ملكها واستولى على القطيعة المذكورة من جرى انهزام المجريين الذين جاؤوا امداداً لها

وكان اسكندر بك العاصي الذي فرّ من القصر الهمايوني في زمن المغفور له السلطان مراد الثاني قد عمل على المقاومة ومهاجمة العثمانيين

متقويًا بمناعة بلاده الطبيعية وشجاعته الفطرية . ولكن بعد ان اصبح مجبورًا الى التسليم ليد فاتح الاقليم خارج القلعة توفي و بوفاته صارت قواته الى الانحلال

واما القرمانيون الذين اعتادوا كثيرًا منذ ابتداء ظهور الدولة العلية على اغتنام الفرص والخروج والمناضلة وفي كل مرة يغلبون فيلتجئون الى مراحم السلاطين فقد نهضوا في هذه المرة دائسين القرابة الصهرية التي تربطهم بالدولة العثمانية ،منسندين الى حماية وتشويق اوزن حسن . فكان من نتيجة هذا العصيان بواسطة افتتاح قونية ان الحقت جميع بلاد قرمان قطعيًا بالحكومة العثمانية . (٨٧١)

وقد توفقت الدولة ايضًا الى الاستيلاء على جزيرة اغريبوز بعد ان توصل الاسطول العثماني الى طرد البندقيين واهزامهم . ونظرًا للاتفاق الذي عقد بين القرمانيين والبندقيين تصدى اوزن حسن الى سلب ضواحي توقات فزحف عليه السلطان العالي الشان . و بسبب فوزه الحقت شابين ببلاد قره حصار العثمانية . وذلك من جملة انتصارات الوقائع التي تبعت حملة قرمان

و بناء على تلك الانتصارات السامية التي احرزها السلطان المقتدر على جميع اعدائه في الروم ايلي والاناضول خرج الاسطول الهمايوني الموجود تحت رئاسة كديك احمد باشا الى البحر الاسود فاستولى على القريم وكفه الموجودتين في يد الجنويزيين و بسبب نصب منكلي خان الموجود في كفه من اولاد جنكيز خان على القريم اصبحت تلك النواحي تحت سلطة الدولة . وكذلك زحف السلطان بالذات على قلعة اشقودره وكانت نيران المدافع المعروفة بالهاون التي استعملت في فتح القسطنطينية تخرّب باندهاش عجيب اسوار المدينة وتحرق ابراجها . « من سنة ٨٨٠ الى سنة ٨٨٢ »

ولاجل ان يتوفق الفاتح الي اجراء تصميماته التي ينويها على ايطاليا كان يشغل فكره باقلاع حكام رودس الذين اصبحوا منذ الحروب الصليبية اسياد البحر الابيض . و بناء على فشل العساكر التي ارسلها سار بنفسه الى افتتاح الجزيرة المذكورة. الا انه عند وصوله من ككبوزه مرض فتوفي و بذلك انحلت عرى آماله «سنة ٨٨٥»

وكان المشار اليه نظرًا لعلمه ومعرفته من عظماء سلاطيننا وكان فضلاً عن الفضائل الممتاز بها يتكلم بست او سبع لغات وعلاوة على فضائله وآدابه كان له المام بالصنائع حتى ان اعداءه عندما يزينون كلامهم بذكر اوصافه لا يقدرون ان ينسبوا له الا نقيصة واحدة وهي انه كان محبًا لاهراق الدماء .

وقد خدم الامة بفتحه القسطنطينية خدمة لا تقدر تكفل برسوخها وثبوتها ابديًا في اسيا واوربا واصبح لسان الاعتراف بالجميل سواء كان من جهة السياسة او من جهة القوات مزينًا بترديد هذه البشرى الابدية

وقد دفن في نقطة مرتفعة في العاصمة. واضحى في كل زمان وآن عندما يقف احد افراد الامة بجانبه يشعر في داخله بحاسة الاحترام والتوقير المفروض على العموم تجاهه

خلاصة

افتتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية سنة ٨٥٧ و بذلك انهى وجود الامبراطورية الشرقية التي قدرت ان تثبت نحوًا من عشرة اعصر وهيأ للدولة العثمانية عاصمة تليق بشرفها و يفتخر بها . واعتبر هذا الفتح المصادف لسنة ١٤٥٣ ميلادية في العالم المسيحي من الوقائع العظيمة الاهمية وكان بدءًا لتاريخ وقائع القرون المتاخرة

ودامت سلطنة السلطان محمد الفاتح ٣١ سنة انهمك فيها مع

اعدائه الاقوياء مثل البندقيين والقرمانيين واسكندر بك ابن جان كاستريونا المشهور وحاكم الفلاخ المعروف بالشيطان الاسود . واوزن حسن من مشاهير حكومة عائلة (آق قيونلى) وهونيا د وقد تغلب عليهم جميعاً

وصار صاحب بوسنه وهرسك والموره واشقودره وادخل قرمان في مصاف ممالكه . وقد دفن في تربة مخصوصة في الاستانة

دور حكومة السلطان بايزيد الثاني

«من سنة ٨٨٦ الى سنة ٩١٨»

ومن بعد ان توفي الفاتح في ككبوزه بينما كان حاملاً على رودس دعي بايزيد الثاني اكبر اولاده من اماسيا للجلوس على التخت العثماني

وقد ارعب الانكشارية العاصمة بحركاتهم الكثيرة وبغيهم فقاموا بايصال المخابرات للسلطان جم ابن السلطان الاصغر مع البعض من اعاظم الدولة لدى وفاة السلطان . وعند وصول السلطان الجديد نظراً لحلمه ورقة طبعه قلد اعناق الجندية بقلائد المسرة فابتسم وجهها بشرف جلوسه وان كان البعض قد تجاسروا باجراء بعض مغايرات مذمومة

ومن جملة وقائع زمن سلطنة السلطان المشار اليه المشهورة مقاومة السلطان جم الحالية . ولما راي المومأ اليه ان والي قرمان يساعده انحدر الى ميدان الخصومة بعدوفاة والده مدعياً السلطنة . وبما انه قد فشل في المصادمة الاولى تجاه عساكر السلطان فر الى مصر وانسحب من هناك الى الحجاز لاجل اداء فريضة الحج الشريف ومن ثم جاء قرمان ثانية لاجل تجربة طالعه بالسلاح مرة اخرى . ولما كان قد غلب في هذه المرة ايضاً التجأ الى حكام رودس

وعندما راه الحكام المذكورون تحركت فيهم الضغائن العدوانية

المستكنة في قلوبهم تجاه العثمانيين فاخذوه تحت المضايقة ومن ثم ارسلوه الى فرنسا ومن بعد ان بقي هذا المسكين مدة اسيرًا هناك وقع في يد البابا . ومن المروي انه بعد ان اقام مدة ١٤ سنة في الاسر توفي مسموماً في نابولي . (سنة ٩٠٠)

وقد نقل نعشه الى بروسه اجابة لطلب السلطان . وفضلاً عن انه كان شجاعاً باسلاً كان فيه ايضاً صفة علمية وادبية

وكانت المنازعات الداخلية قدانتهت بالتجاء السلطان جم الى رودس واسرعت الدول الى التبريك بالجلوس الهمايوني

وان كان في دور سلطنة السلطان بايزيد الثاني الذي امتد نحوًا من ٣٢سنة لم يؤتَ بفتوحات كبيرة لكن في الروم ايلي وفي الاناضول كانت الفتن والوقائع دائمة . فكان تارة يغلب وتارة يغلب . وقد سيق الغزاة مرات كثيرة الى داخل بلاد المجر . وفي اثناء منازعات البرنسات الداخلية انتقم بواسطة عدة انتصارات . وفي الحروب التي فتحت على البندقيين تايد حكم النفوذ العثماني في الموره و بلاد الارناوط بحيث صار الاستيلاء على بعض المواقع من الجمهورية المذكورة مثل مودون وناوارين

وعند مجيئه الى الاناضول اخمد العصيان الذي ظهر في ايج ايلي وقرمان وتلك الجهات . وقام بحملات متعددة ايضاً مع حكومة مصر التي كانت تحرك اولئك . واصبح المماليك الذين اسسوا في مصر منذ عصرين ونصف حكومة عسكرية في ذاك التاريخ نافذي الحكم الى حد سوريا وحلب . وان كانوا قد وجدوا بازاء السلطان عاملين على امتداد حكومتهم فقد زحفوا على قرمان وتداخلوا بالحروب والمخاصمات التي امتدت وجرى النصر والكسر فيها بالتناوب بين الطرفين

وكانت دولة بني امية التي تاسست في الاندلس في العصر الثاني للهجرة قد ارعبت بشجاعة جندها ونفوذها اقطار اوربا الغربية عدة اعصر

وامتازت في القطيعة المذكورة بالاثار المدنية والعلمية ففي هذا التاريخ لحق بها الضعف بواسطة الانقلابات والفتن الداخلية وانحصرت دولة الاندلس المذكورة بحكومة غرناطة

وقد صادف انقراض حكومة غرناطة هذه في زمن بايزيد الثاني من ايدي متعصبي اسبانيا داخل نيران الظلم. وان كان حال اولئك العرب المساكين قد حملت الحكومة العثمانية ان تبعث باسطولها الى مياه اسبانيا الا ان الاسطول المذكور لم يتمكن من مساعدتهم على التخلص « سنة ٨٩٢ »

وحينئذٍ كانت الحروب متواصلة مع المصريين. وانتهت في الاناضول حركات المعتوهين الذين نهضوا لاضلال الخلق باسم الدرويشية. وكان اسماعيل صفوي المشهور من اكبر مروجي مذهب هذه الشيعة. ولكي يقوم بعمل عظيم ارتقى في اواخر حكومة السلطان بايزيد الثاني الى ميدان الاجراء متكلاً على الاستعداد والبسالة الموجودين فيه فاوصل البلاد العثمانية الى محطة الضعف. وحينئذٍ نهض اولاد السلطان الى الاستفادة من ضعف قلب ابيهم فزادت من جرى ذلك المخاطر الحالية

وكان سليم اصغر اولاد السلطان سناً لكنه اكبر افراد العائلة بسالة وكياسة وقد راى بسوق حميته ان يقف خارجاً عن هذه الاحوال الخطرة التي لا يمكن ان تهضم بنوع ما فسار الى الاستانة العلية من الايالة التي كان ماموراً بها مستمسكاً بالعتبة الشاهانية

وعليه فان اعاظم الدولة الذين سعوا باعلان ولاية احمد ابن السلطان الاكبر حملوا السلاح على الابن الاصغر. ومع انه ترك ميدان القتال مغلوباً فقد اظهر الجلد مع الخواص الذين بمعيته في هذه المعركة المفجعة (مع قطع النظر عن اطوار البغي). ولما كان جماعة الانكشارية قد ارتبطوا بابن السلطان هذا مفتونين بشجاعته عضدوه فنهض بهمة اجبرت

الابي والقابل ان يرضي بايداع تخت السلطنة في عهدته

واما السلطان بايزيد فانه كان قد اجلس ابنه على التخت برضاه وموافقته و بعد ذلك بينما كان منسحباً الى العزلة توفاه الله فدفن بجوار الجامع الشريف الذي ابتناه باسمه

ومع انه كان محباً للعلم والاداب لكن لضعف قلبه لحق بالمملكة العثمانية في زمن سلطنته خسائر جمة معنوية . وكان يسمى لفرط الحلم الذي كان يظهر في اطباعه باسم (بايزيد الولي)

خلاصة

انهمك السلطان بايزيد الثاني عند جلوسه بفتنة اخيه السلطان جم . وقد دفعت غائلته بالتجائه الى امراء رودس وحبسه في اوربا

وفي زمانه لم تنقطع الحرب مع البندقيين والمجريين . و بعد وفاة السلطان جم مسموماً في نابولي ابتدأت المحاربات مع المصريين في الاناضول اي في جهات اطنه . وكانت الدولة في هذه الحرب تغلب وتغلب ومن جهة اخرى كان ايضاً الشاه اسماعيل صفوي يروج في الاناضول شيعة الدرو يشية وعليه فكانت الفتن قائمة في كل نافي المملكة

وقد اصبح في اخر حكومته حزيناً و بحيث دعا اصغر اولاده السلطان سليم للجلوس في مقامه انسحب الى العزلة فتوفي في الطريق ودفن في تربة مخصوصة بجوار الجامع المنسوب الى اسمه في الاستانة

دور حكومة ياوز السلطان سليم

(من سنة ٩١٨ الى سنة ٩٢٦)

جلس السلطان سليم الاول على السرير العثماني بناء على دعوة ابيه وموافقته . ولما كان جماعة الانكشارية ميالين اليه مفتونين بشجاعته الفطرية اصروا على طلب عطية الجلوس مقابلة لحق الحماية

وكانت مطالب الانكشارية هذه الصادرة عن قلة الادب والتي فتحت طريقاً لقبائح كثيرة بمرور الزمان اخذت منذ زمن الفاتح تتزايد عند وقوع وتجديد كل جلوس

واما السلطان الجديد فقد كان من موضوع افكاره ان يربط في اول الامر ادارة الحكومة بحالة سلام ويجعل ذلك مقدمة لاجراءاته ومقاصده الفعلية لأن في الزمن الذي ارتقى فيه التخت كانت امور الدولة ضحية لامال الاعاظم واولاد السلطان ومشوشة منذ دور حكومة المرحوم ابيه

ولما كان اخوة واولاد اخوته قد اظهروا العصيان بالسلاح منعاً لمقاصده وضدّاً لغاياته التزم باسم سلامة الدولة والمملكة ان يقدم على اراقة الادمية

وكان يتالم من ذلك عند ازالة كل واحدة من هذه الموانع . ومن بعد ان طهر لاناضول بقتل نحو اربعين الفاً من جماهير المعتزلة الذين نبذوا وكان من مضار تاثيرات مذهبهم استعداده لاختراق العالم الاسلامي وجه بقوة سلاحه على الشاه اسماعيل المسبب الحقيقي لهذه الامور .

وبناء على عوائد تلك الاعصر أُرسلت رسالة من طرف السلطان الى الشاه جامعة من الجهة الواحدة التعظيم والافتخار ومن الجهة الثانية

التحقير والاهانة يدعوه بها الى الطاعة فاجيب برسالة نظيرها ومن ثم فتحت الحرب على ايران وهي من اكبر واهم حروب دور الاستيلاء العثماني ومن بعد ان مرّ الموكب العثماني من ازرنجان واستولى على بايبورت اخذ في ان يتعقب الاعداء . ولما كان عصيان جماعة الانكشارية الذين تجاسروا بالرجوع على الاعقاب من جرى القحط الذي لحق بالجيش لم تات الحرب باثر منتظر تجاه شهامة السلطان لكن بواسطة الاستيلاء على قلعة بايزيد التقى بالشاه اسماعيل عند صحراء چالديران

وكانت العساكر العثمانية التي عرّفت العالم ببسالتها واقدامها في الحروب المتواصلة منذ عصر ونصف تتزايد قواها وتتضاعف هجماتها وسطواتها المخيفة ولا سيما عند وجودها تحت مقدام عالي الشان كالسلطان سليم . وقد انتج تاثير واندفاع الكرات من الجيوش العثمانية انهزام الايرانيين ودخل السلطان الغازي الذي احرز علو الشان والظفر في ميدان القتال الى تبريز قاعدة التخت الايراني . (سنة ٩٢٠)

وكان من نتائج انتصار چالديران هذا المكتسب على الايرانيين ان أُلحق بالعثمانيين عدة بلاد متسعة وقد اصبح قسم من بلاد الكرج و بلاد الاكراد المشتملة على جهات ارضروم و بتليس وديار بكر تابعاً للسلطان

ولما عاد السلطان الحائز على كمال وشرف الانتصار الى الاستانة قاص بالقصاصات العسكرية جماعة الانكشارية الذين تظاهروا ببعض انواع التمرد في الطريق . ومن ثم سارع الى تاييد الشوكة العثمانية بحيث امر بانشاء اسطول كبير ينتهي باول الربيع ولهذا تسارعت دول اوربا المجاورة الى المصالحة بتاكيد المصافاة وتقديم الهدايا

وكان حاكم مصر يعمل على نكاية السلطان سليم ومراقبة حركاته فقام باجراء المخابرة مع الشاه اسماعيل واخذ تحت حمايته علاء الدين حاكم ألبستان التي لحقت بالممالك العثمانية من بعد انتصار ايران . وهذه

المعاملات الاستخفافية كانت وسيلة كافية لاشهار السيف على المماليك المؤسسة حكوماتهم في اخصب واجود واكثر بلاد العالم عمارًا نظير مصر وسوريا وحلب

وكان الحاكم على مصر في ذلك التاريخ قانصو غوري فتى في الرابعة او الخامسة والعشرين ولما كان في سن الفتوة وكان معروفاً بالبسالة والشهامة قادت به جسارته الى الوقوف تجاه السلطان سليم في راس فرسان المماليك المعروفين من العالم

وقد التقى الجيش العثماني الزاحف على حلب بالمماليك في صحراء دابق واجتهد كلٌ من المتحاربين باظهار البسالة الجندية بصورة جدية . ولم تكن مصادمات فوارس المماليك البازية ونيران مدافعهم المورثة الفناء قادرة ان تخلخل من صفوف الجيوش العثمانية الحائزة على القوة والانتظام. ومن ثم توفي السلطان غوري وعليه سلمت ازمة الانتصار ليد السلطان ياوز

وعند وصول السلطان الفائز من حلب قرئت الخطبة باسمه في اول صلاة الجمعة ووقر اسمه بعنوان الافتخار الجليل اي (خادم الحرمين الشريفين) ومن هذا التاريخ اعتبر انتقال الخلافة الاسلامية الى العائلة العثمانية

و بناء على هذا التوفيق والنجاح دخل الى يد السلطان سليم ايضاً جهات دمشق وفلسطين. وقد انهزم ايضاً مرة ثانية المماليك الذين خرجوا لمقاتلة السلطان تحت قيادة طومانباي وكان قد اقيم من جديد سلطاناً على مصر. ومن ثم وطئت اقدام سطوتنا بعد هذا القتال الشديد ارض مصر القاهرة

وفي هذا الوقت الذي كان فيه السلطان في مصر انقطعت التعديات القرصانية في جزيرة مدلي وذلك لدى الانتصارت المتتابعة لان خير

الدين بار باروس المشهور قاطع البحر المحيط قد عرض طاعته وخدمته على السلطان وكان اوانئذٍ في مصر المتوكل على الله من نسل الخلفاء العباسيين فاختار العزلة لنفسه وسلم ليد خادم المقامات النبوية المقدسة جميع الامانات الجليلة

ولما عاد ملجا الخلافة من مصر الى دار السلطنة اهتم بفتح جزيرة رودس التي لم يتسنَّ لجده محمد الفاتح ان يفتحها الا ان المنون نشبت مخالبها فيه فاختطفت زمان شجاعته الذي كان لا يزال يؤمل منه خدمة عظيمة لامتداد شان الدولة

ومن حيث ان المغفور له قد ترك للعائلة العثمانية الذكر الجميل بعنوان الخلافة العظمى اصبح في كل وقت يذكر فيه اسمه الجليل محطًا تحله احساسات الوقار والامتنان من قلوب العثمانيين. ولم يكن فقط ممتازًا بين سلاطيننا العظام بالشجاعة والبسالة على ما قام به من الاعمال المترفعة بل الذي جعله ايضًا ان يمتاز باعلاء شان الامة لياقته العلمية والادبية التي تربى عليها في مكتب تربية جده الفاتح

ومدفنه الكريم بجوار الجامع الذي انشأه على اسمه مؤخرًا ابنه السلطان سليمان القانوني

خلاصة

بعد ان محا السلطان سليم بلية الشيعة التي وقعت على الاناضول بايعازات الشاه اسماعيل زحف على بلاد العجم ودخل تبريز ظافرًا بعد ان دق الاعداء في صحراء چالديران

وبعد ان ارهب وادب الانكشارية على عصيانهم وعدم طاعتهم في الطريق اشهر الحرب ايضًا على ملوك الشراكسة وبواسطة انتصار مرج دابق دخل مدينة حلب وفي اول صلاة الجمعة قرىء له بعنوان (خادم

الحرمين الشريفين) وحصل آل عثمان اعتبارًا من ذلك التاريخ على مسند الخلافة الاسلامية سنة «٩٢٢»

ونزل من هناك الى مصر واستولى على القاهرة بقتال عنيف وعند رجوعه الى العاصمة قبض بمرض السرطان وانتقل الى دار البقاء

وقد افتتح في زمانه مصر وفلسطين وحلب وسوريا وقسماً كبيرًا من بلاد الاكراد وضواحي ديار بكر و بتليس وارضروم

القسم الثاني

من انتقال مسند الخلافة لآل عثمان الى حد وفاة صوقوللي محمد باشا

دور حكومة السلطان سليمان القانوني

« من سنة ٩٢٦ الى سنة ٩٧٤»

وبعد ان توفي السلطان سليم بداء السرطان الخبيث اصابت نوبة الجلوس على الخلافة العظمى السلطان سليمان وهو الذي اوصل السلطنة الى اسمى مراتب الاقتدار والاقبال . وقد ابتدأ المشار اليه باظهار العدالة اذ قبل فساعد البعض عند استدعائهم وتقديم شكاويهم على الحكومة

وبعد ان اخمد السلطان العالي الشان فتنة مصر التي ظهرت اوانئذٍ بقصد الاستفادة من تبدل السلطنة اعلن الحرب على ملك المجر الذي قام بمعاملات التعدي على الحقوق والتحقير وحبس السفراء . ومن بعد مهاجمات عديدة ظفر بفتح بلغراد وهي احصن وامنع قلاع الطونه

ولدى رجوعه من هذا الفتح وجه بقوة السلاح على جزيرة رودس لان قرصانها كانت تعارض مراكبنا وتضر ببعض سواحلنا . وقد اتخذت المداركات الجسيمة القوية على تلك الجزيرة التي لم يتوفق لفتحها لا الفاتح ولا سليم الاول . ولم تقدر مقاومات حكامها وعنادهم ان يثبت تجاه هجوم الانكشارية الشديد الناتج عن تشجيع السلطان وارهابه . واخيراً وقعت الجزيرة بيد فاتح بلغراد الغالب . (سنة ٩٢٩)

ومن بعد ان ترك اولئك الحكام الجزيرة انسحبوا مساعدين بعناية

السلطان الغازي الى سالنطة

وتبع الوقائع المذكورة ان طلب فرنسوا الاول ملك فرنسا حماية السلطان سليمان والاتفاق معه وكان من نتائج هذه المناسبة السياسية التي وقعت فيما بين فرنسا والدولة العثمانية وقوع الحمل على بلاد المجر

وكان شارلكان المشهور القابض على تخت اسبانيا في اوائل العصر الثاني عشر للميلاد و بواسطة تتوجه ايضاً بتاج المانيا سحب نفوذه في قسم اوربا الغربي قد قهر فرنسوا واسره في محاربة (باوي) فالتجأ فرنسوا الى مساعدة السلطان ولهذا زحف الجيش الهمايوني على بلاد المجر. ولما كان في الملحمة العظيمة التي وقعت في صحراء مهاج خدم التوفيق كاملاً السلطان وقعت في يده بودين و بشته وغيرها. ومن جراء نصب جان زابوليان ملكاً من قبل السلطان ادخلت املاك المجر فى عداد الممالك العثمانية (سنة ٩٣٢)

وكان حاكم اوستريا قد نهض بدعوى حق التملك على بلاد المجر نظراً للمناسبة الصهرية بين العائلة الاوستريه و ملك المجر فسواء كان لهذه الغاية او لامل المبارزة مع شارلكان قام السلطان سليمان الغازي باجراء سبع او ثماني محاربات على المانيا وكان من نتائج المحاربات المذكورة ان زادت خسائر بلاد اوستريا بالرغم على شارلكان (١) لان الجيش العظيم وعدده ٣٠٠ الف وضع مدينة فينا تحت الحصار

وهكذا كان السلطان الغازي بواسطة حركاته الانتصارية قد رقى شان وشرف الدولة في اوربا كما في اسيا ايضاً. ومن ثم فتح الحرب على طهماسب شاه ايران الذي لم يفتر عن التظاهر بالعدوان منذ جلوسه .

---

١ لما كانت الامبراطورية الالمانية من بعد شارلكان بقيت نحواً من عصر ونصف على حكومة اوستريا يذكر في التاريخ العثماني المانيا واوستريا مشتركاً باسم واحد

فمرّ من وان ودخل كابيه المرحوم تبريز باعلام الظفر

وبناء على فتوحات ايران هذه انتقل الى يد السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد العظيمة الشهيرة في التاريخ التي تأسست في زمن الخلفاء العباسيين واصبحت في زمن هارون الرشيد مركز المدنية الاسلامية ومكتب تربية الامة ومجمع العلماء والادباء ومن ثم حرقت بنيران ظلم الجبابرة نظير هلاكو وتيمور

ولكي تكون مظفرية السلطان الغالب في الشرق والغرب ارسل بالقطع البحرية المنتشرة في البحر الابيض وعليها خير الدين بارباروس المشهور المتعين برتبة قائد البحر الى السير والاسفار وكانت تونس وتلمسان قد وقعتا في يد شارلكان بعد ان كانتا غنيمة خير الدين الا ان المشار اليه استرد تونس بعد خمس سنين بسبب هزيمة شارلكان القطعية وتبع ذلك انه تقدم لامداد الاسطول الفرنسوي بامر السلطان واسرع الى الاستيلاء على نيس

ومثل ذلك الاسطول الذي سيق من مصر الى البحر كان قد جاء الى الوجود بمقدمات فتح اليمن

والحاصل ان في زمن السلطان سليمان القانوني الذي امتد نحواً من نصف عصر وصلت الشوكة العثمانية الى اسمى مرتبة . وكان هذا المقتنص اثناء الحمل على ايران والبندقيين والالمان والمجر قد قام على خطة القيادة في ١٣ موقعة

وكانت قطيعة الروم ايلي التي تحددت بمياه نهر الطونه والقسم العظيم الجنوبي من بلاد المجر دخلت الى الممالك العثمانية بادارة مختارة . وفي اسيا صار الاستيلاء على بلاد الكرج والاكراد والعجم والعرب والعراق حتى ايران وضواحي اليمن الى بحر عمان . وفي افريقيا استولي ايضاً على تونس والجزائر الغربية . وكذلك الاسطول العثماني اخفق رايات الظفر بايات

السلطان الغازي الى ملطة

وتبع الوقائع المذكورة ان طلب فرنسوا الاول ملك فرنسا حماية السلطان سليمان والاتفاق معه وكان من نتائج هذه المناسبة السياسية التي وقعت فيما بين فرنسا والدولة العثمانية وقوع الحمل على بلاد المجر

وكان شارلكان المشهور القابض على تخت اسبانيا في اوائل العصر الثاني عشر للميلاد وبواسطة تتوجه ايضاً بتاج المانيا سحب نفوذه في قسم اوربا الغربي قد قهر فرنسوا واسره في محاربة (باوي) فالتجأ فرنسوا الى مساعدة السلطان ولهذا زحف الجيش الهمايوني على بلاد المجر. ولما كان في الملحمة العظيمة التي وقعت في صحراء مهاج خدم التوفيق كاملاً السلطان وقعت في يده بودين وبشته وغيرهما. ومن جراء نصب جان زابوليان ملكاً من قبل السلطان ادخلت املاك المجر في عداد الممالك العثمانية (سنة ٩٣٢)

وكان حاكم اوستريا قد نهض بدعوى حق التملك على بلاد المجر نظراً للمناسبة الصهرية بين العائلة الاوسترية وملك المجر فسواء كان لهذه الغاية او لامل المبارزة مع شارلكان قام السلطان سليمان الغازي باجراء سبع او ثماني محاربات على المانيا وكان من نتائج المحاربات المذكورة ان زادت خسائر بلاد اوستريا بالرغم على شارلكان (١) لان الجيش العظيم وعدده ٣٠٠ الف وضع مدينة فينا تحت الحصار

وهكذا كان السلطان الغازي بواسطة حركاته الانتصارية قد رقى شان وشرف الدولة في اوربا كما في اسيا ايضاً. ومن ثم فتح الحرب على طهماسب شاه ايران الذي لم يفتر عن التظاهر بالعدوان منذ جلوسه.

١ لما كانت الامبراطورية الالمانية من بعد شارلكان بقيت نحواً من عصر ونصف على حكومة اوستريا يذكر في التاريخ العثماني المانيا واوستريا مشتركاً باسم واحد

ثم من وان ودخل كابيه المرحوم تبريز باعلام الظفر

وبناء على فتوحات ايران هذه انتقل الى يد السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد العظيمة الشهيرة في التاريخ التي تأسست في زمن الخلفاء العباسيين واصبحت في زمن هارون الرشيد مركز المدنية الاسلامية ومكتب تربية الامة ومجمع العلماء والادباء ومن ثم حرقت بنيران ظلم الجبابرة نظير هلاكو وتيمور

ولكي تكون مظفرية السلطان الغالب في الشرق والغرب ارسل بالقطع البحرية المنتشرة في البحر الابيض وعليها خير الدين بار باروس المشهور المتعين برتبة قائد البحر الى السير والاسفار وكانت تونس وتلمسان قد وقعتا في يد شارلكان بعد ان كانتا غنيمة خير الدين الا ان المشار اليه استرد تونس بعد خمس سنين بسبب هزيمة شارلكان القطعية وتبع ذلك انه تقدم لامداد الاسطول الفرنسوي بامر السلطان واسرع الى الاستيلاء على نيس

ومثل ذلك الاسطول الذي سيق من مصر الى البحر كان قد جاء الى الوجود بمقدمات فتح اليمن

والحاصل ان في زمن السلطان سليمان القانوني الذي امتد نحواً من نصف عصر وصلت الشوكة العثمانية الى اسمى مرتبة . وكان هذا المقتنص اثناء الحمل على ايران والبندقيين والالمان والمجر قد قام على خطة القيادة في ١٣ موقعة

وكانت قطيعة الروم ايلي التي تحددت بمياه نهر الطونه والقسم العظيم الجنوبي من بلاد المجر دخلت الى الممالك العثمانية بادارة مختارة . وفي اسيا صار الاستيلاء على بلاد الكرج والاكراد والعجم والعرب والعراق حتى ايران وضواحي اليمن الى بحر عمان . وفي افريقيا استولي ايضاً على تونس والجزائر الغربية . وكذلك الاسطول العثماني اخفق رايات الظفر بايات

السلطان في بحر قلزم و بحر عمان وسواحل الهند

وكان مع هذا التوفيق والنجاح العظيم في الخارج قد صرف الهمة ايضاً الى عمار داخلية المملكة ووضع اصول وقوانين العسكرية

ومع كل هذه الفتوحات العظيمة المقدار وهذا التوسع الجسيم كان مشغلاً بما وقع في جهات الاناضول مثل مقدمات شقاوة جماعة الجلالي الذي خرب بالدولة كثيراً واتخاذ بعض الافعال المسيئة من الصدر الاعظم ابراهيم باشا المشهور الذي كان مكتسباً الركون السلطاني بصورة لم يصادف حينئذ نظيرها في الامة ومثل حرص ولدي السلطان مصطفى و بايزيد واعاظم الدولة وطهماسب على النيات العدوانية كل هذه السيئات هيأت انشقاقاً كبيرًا جسيماً في دولة حصلت على القوة والجسامة في جميع الاحوال

وفي نهاية حكومة السلطان بناء على نهوض المجر الى المخاصمات ناكثة بالعهد عزم على فتح قلعة سكتوار الموجودة عند حدود بلاد المجر غير ناظر الى حالة شيخوخته (سنة ٩٧٤) وهي اخر اسفاره . ولما كانت القلعة قاومت بشدة اضحت الهجمات العثمانية بلا نتيجة ولهذا السبب كان قد تكدر السلطان الشيخ

وعليه فقد انضم هذا الاضطراب المعنوي الى اتعابه الكثيرة التي لاقاها في مدة ٤٨ سنة فمرض شديداً . ولما لم يكن له من نصيب بان يرى فتح القلعة المذكورة طلبت نفسه الراحة ففارقته وسارت الى الخلد

وآخر صدر اعظم اتخذه السلطان المغفور له صوقوللي محمد باشا وكان قائماً بين الجنود فمن جملة خدماته العظيمة اللائقة التي امتدت الى ١٦ سنة ومرَّ عليها ثلاث سلاطين انه اخفى موت السلطان عن الجيش وعن الخلق الى ان تيسر له فتح قلعة سكتوار الذي صار قريباً . وارسلت الاخبار منه الى السلطان سليم الثاني وريث السلطان سليمان يدعوه الى

السلطنة

ونظرًا لامتداد مدة سلطنة المرحوم وارتفاع شانه وشوكته عدّ من السعداء بين اجداده واحفاده الكرام

و بسبب وضعه القوانين الاساسية والنظام اللائق بالشرف و باقبال المرتبة التي اوصل اليها الدولة العثمانية العظيمة الشوكة في ايامه اضيف الى اسمه الجليل لقب (القانوني)

واعمال هذا المقتدر الذي وضع القانون وقام بالذات في ثلاث عشرة محاربة ساحبًا خلفه العساكر شرقًا وغربًا حملت العالم قاطبة على الاعتراف بلياقته واقدامه

وكان الوارث الحقيقي لمزايا سلاطيننا العظام الادبية والعلمية والشاهد على ذلك ان المعارف التي تأسست في زمن الفاتح نمت في زمانه وانتشرت

وقد دفن في تربة مخصوصة بجوار الجامع الشريف الذي انشيء باسمه العالي

خلاصة

بعد ان فتح السلطان سليمان بلغراد وورودس دخل الطونة وصار صاحب بلاد المجر بواسطة الانتصار الذي فاز به في صحراء مهاج

وقد حمى ملك فرنسا من شارلكان المشهور امبراطور المانيا وانسحب الى بلاد النمسا وحاصر فينا في سنة ١٥٢٩ ميلادية

وحمل في الشرق ايضًا على الشاه عباس شاه العجم ودخل تبريز واثناء رجوعه فتح بغداد

واصبح صاحب الحكم في البحر المتوسط بسبب استيلاء خير الدين باربا روس قبطان البحر على تونس والجزائر ٠ واخذ الاسطول العثماني بالسير والسفر في بحر قلزم و بحر عمان ٠ والحاصل ان في زمن سلطنته

بلغت الدولة العثمانية المرتبة القصوى من الاقبال وعلو الشان

وفي عهد حكومته التي استمرت ٤٨ سنة قام بالذات بثلاث عشرة موقعة واخيرًا سار الى دار البقاء وهو قائم على فتح قلعة سكتوار

ولاجل وضعه القوانين الكثيرة سمي بالقانوني

دور حكومة السلطان سليم الثاني

(من سنة ٩٧٤ الى سنة ٩٨٢)

وبناء على وفاة السلطان العالي عند محاصرة سكتوار دعي السلطان سليم من صاروخان الى تخت السلطنة وبوصوله الى الاستانة وعقب جلوسه سار الى بلغراد لاستقبال الجيش الهمايوني

وبواسطة تدابير صوقوللي وحكمته اخفى ثلاثة اسابيع امر التبدل هذا ولما وصل السلطان الجديد الى الجند انتشر الخبر وحينئذٍ نهض جماعة الانكشارية الى اجراء الشقاوة بمظاهر الحزن والمأتم . واثناء دخول الموكب الهمايوني الى العاصمة كان من نتيجة تلك الامور ان دعي السلطان سليم بدرجة الاجبار الى بذل عطية الجلوس

ومن وقائع زمن السلطان المشار اليه الذي امتد الى ثماني سنين محاربة بحرية قام بها بفتح قبرس

وفي التمنيات الخصوصية في اوائل الجلوس اجري رسم قبول السفراء الذين جاؤوا للتبريك من ايران ومن بولونيا لتوطيد دعائم المودة سالكين سبل الاحتشام على صورة تليق بشان الدولة العظيمة . وقد ثبتت وتمكنت الروابط التي تربط مركز الخلافة الاسلامية بجزيرة العرب وبعض ولايات الممالك العثمانية البعيدة وذلك بواسطة الاستيلاء على عدن واخماد

نار الاختلال الذي ظهر في اليمن

وكانت آمال صوقوللي محمد باشا الصدر الاعظم القديمة معطوفة الى وصل وربط البحر الابيض ببحر قلزم بواسطة جدول يفتح من برزخ السويس وكذلك وصل البحر الاسود ببحر الخزر بجدول يفتح فيما بين نهري فلغا والدون

ولو وضعت هذه التشبثات المفيدة في موقع الاجراء لما وجد شبهة قط من انها كانت ترتبط استانبول التي اصبحت محط المراجعات الاسلامية منذ غلبة مرج دابق بطريق امين باسيا الوسطى وتنقل وسائط المراسلات والاتصاليات الجارية بين اوربا وهندستان الان الى البحر المتوسط منذ قبل عصرنا بثلاثة اعصر. لكن وا اسفاه ان مخادعات خان القريم وظهور الحمل على قبرس في ذاك الحين اوجب ان تبقى هذه المقاصد العالية التي كان مامولاً منها ان تاتي العالم الاسلامي بالفوائد الغزيرة ونتائج التقدم العظيم في المخيلة

وبظل التداركات الجسيمة التي وقعت من البر ومن البحر افتتحت جزيرة قبرس بعد ان انهمك بها قائد الجيوش العام لالامصطفى باشا مدة طويلة وقد ابدى القائد المذكور بعض الشدائد على القبرسيين التاركين السلاح لاجل التامين فحرك ذلك في اوربا غيرة العالم المسيحي الى التعصب والانضمام . وفضلاً عن الجمعية الصليبية التي شكلها البابا من متفقي اسبانيا والبندقيين انتظم اسطول جسيم موءلف من مائتي قطعة تحت قيادة الدون جان ولدشارلكان الطبيعي وظهر مخيفاً امام اينه بختي (لبانة) سنة ٩٧٩

وكان اسطول العثمانيين الذي خرج الى قتال تلك المتجمعة اقل قوة الا انه وان كان كثيراً على الاسطول العثماني التي تموجت رايات انتصاراته في كل جهات المحيط تحت امرة خير الدين واتباعه ان يقاتل

قوة فوق قوته لكن لم ينظر الى عدم النسبة هذه بل تداخل بالقتال ومع ذلك فقد كان الفوز حينئذٍ للاعداء نظراً لزيادة القوة والعدد

واذ كان ينظر في تلك الازمان في اوربا ان التغلب على العثمانيين يعد من الامور الخارقة المستحيلة فقد اوجب هذا الفوز لاولئك الاقوام ابتهاجاً وسروراً واتخذوا له طقوساً شهيرة زيادة عن اللازم . (سنة ١٥٧١) ميلادية

وهذا الفشل البحري الذي لحق باساطيلنا اثر بغيرة السلطان وعليه اهتم صوقوللي باشا الصدر الاعظم بان اخرج الى الوجود في مدة ستة اشهر ١٥٠ قطعة بحرية للحرب بما جعل نفس الاعداء يعترفون بوحدانية اعماله . ونظراً لهذه العناية اخذت الاساطيل العثمانية العظيمة ان تجول في السنة التالية سائدة في البحر المتوسط . واخيراً اجبر الغالبون الى ان يدفعوا للمغلوبين ٣٠٠ الف دوقه من الذهب

ولما كانت دولة اسبانيا قد تاثرت اكثر من الجميع من هذه الضربة ساقت الجند الى افريقيا وتقدمت لاسترداد تونس . فكان من نتائج هذه الوقعة ان تأيد ارتباط المدينة المذكورة تماماً بممالك السلطان

ومن جملة الوقائع الحربية المصادفة لاواخر حكومة السلطان سليم الثاني حمل فرسان التاتار من القريم على روسيا لكي يجبروا الروسيين على الخروج من قزان حيث استولوا عليها . وفي ذاك الحين صار التشبث ايضاً بمداركة الحمل على اوستريا الا انه اثناء تفرج السلطان على الحمام الجديد الذي انشئ في السرايه الهمايوني وقع بالقضاء والقدر فتوفي متاثراً من ذلك

وكان المرحوم المشار اليه يعرف بالسلطان سليم الاشقر (صاري سلطان سليم) ومن الروات التاريخية انه كان منهمكاً بالملاهي والملذات ومع ذلك لم يكن ميله اليها مانعاً يمنعه من ان يعتني بكل امور الحكومة .

ومعاملاته الحكمية التي اجراها في زمن حكومته مثل بقاء صوقوللي محمد باشا على مسند الصدارة وغيره أعتبر خدمة ببقاء شان وشوكة الدولة العثمانية ودفن بجوار جامع ايا صوفيه الشريف في تربة مخصوصة

خلاصة

ضبطت عدن في زمن السلطان سليم الثاني وارتبطت قطيعة اليمن بمركز الخلافة . وفتحت قبرس في البحر المتوسط .و بناء على فتح قبرس تشكلت جمعية الصليبيين من البندقيين والاسبان وغيرهما واوقعوا بالاسطول العثماني .وفي السنة التالية اعاد الاسطول الهمايوني ناموسه واجبر الظافرين بدفع ٣٠٠ الف دوقة من الذهب

وصادف وقوع وفاته في استانبول بينما كان فرسان القريم يساقون الى روسيا

دور حكومة السلطان مراد الثالث

(من سنة ٩٨٢ الى سنة ١٠٠٣)

وصل دور الجلوس بعد وفاة السلطان سليم الى السلطان مراد الثالث و بينما كان المشار اليه منهمكاً بشديد ميل في الملذات والمسرات توفق صوقوللي محمد باشا اثناء اجراء وظيفته الى ازالة المشكلات اللاحقة بداخلية السلطنة بناء على تبدلها وتيسر له دفع الخصام الذي كان قريباً من درجة الوقوع مع المانيا

وفي السنة التالية للجلوس استنجد المغاربة الدولة بسبب تسلط البورتغال عليهم .وفي هذه الواقعة المشهورة المعروفة في التواريخ بواقعة « وادي السيل » لمعت كواكب النصر اللائق بشرف الظفر العثماني

الذي قامت بخدمته عساكرنا

ومن ثم بقصد الاستفادة من داخل الفتنة التي ظهرت في ايران لجهة جعل الشاه سني المذهب اخذ بالحمل على ايران وقد امتدت الحرب الى ١٢ سنة كانت الدولة في اثنائها تنتصر تارة وتتقهقر اخرى. وهذه المخاصمات كانت تتجدد وقتاً بعد وقت الى سنة ١١٦٠ هجرية. وقد سببت تلك الحروب الواقعة بين دولتين اسلاميتين اهراق ادمية كثيرة

وكان من نتيجة الانتصار المكتسب في بداية الحرب عند اطراف چالديران ان ضم الى الممالك العثمانية تفليس وشيراز يعني القطعيات الممتدة الى حد سلسلة جبال قفقاسيا

ولكن اخيراً ظهرت الفجعات المكدرة المحزنة والانكسارات المسببة عنها نظير اتلاف ركن الدولة العظيم القديم وهو صوقللي محمد باشا متهماً بسوء القصد ووقوع عادل كراي المعروف بالشهامة والظرافة احد اولاد خان القريم اسيراً في اطراف العراق

وكان الصدر الاعظم وزيراً عاقلاً من ذوي اللياقة عين على مسند الصدارة في زمن المغفور له السلطان سليمان القانوني وقد قام بادارة امور الصدارة بحكمة ودراية مدة ١٦ سنة بدون انفصال اي في دور حكومات ثلاثة سلاطين يعني في اواخر مدة السلطان سليمان وفي كل مدة السلطان سليم وفي قسم من حكومة السلطان مراد الثالث وكانت الدولة في كل هذه المدة مشعشعة بشموس النجاح ساطعة باهلة الفلاح

ومن جرى حدوث هذه الاضطرابات العظيمة داخلاً وخارجاً و بناءً على طباع المشار اليه اخذت وطئة القدم العثماني ان تسير في دور الانحطاط

الفصل الثالث

دور التوقيف والانحطاط

"من سنة ٩٨٦ الى سنة ١٢٠٣"

القسم الاول

من وفاة صوقوللي محمد باشا الى حد وفاة السلطان احمد الاول

بقية من دور حكومة السلطان مراد الثالث

وتبع وفاة صوقوللي محمد باشا تقهقر سنان باشا فاتح اليمن الذي كان قائداً على الجيش في الشرق امام الايرانيين من وجه الاحوال السيئة التي كانت تجرى في العاصمة

وتعين عثمان باشا بن اوزومير بدلاً من سنان باشا. فهذا استولى على روان وكذلك فاز بالغلبة على العجم عند نهر سمور. ومن بعد ذلك توفق بناء على الامر الذي تناوله من الاستانة الى تاديب خان القريم لانه لم يصغ للاوامر التي ترد اليه من مركز الخلافة داخلاً بالمشكلات العديدة التي اوقعها الروسيون بجبال قفقاسيا

ولما عاد الى الاستانة قوبل بمظاهر الاحترام على صورة احتفال لم يسبق ان اجري في حق قائد عثماني ابدًا . واكرم ايضاً بايداع مسند الصدارة الى عهدته

و بايصال خطته الى حسن الختام سار الى الشرق اي على ايران مرة ثانية . الا ان بسبب وفاته هناك تيسر لفرهاد باشا الذي خلفه الاستحصال على نتيجة قطعية في هذه الحرب . و بمقتضى المعاهدة المعقودة أُلحق كل من تبريز وروان وشيروان بالممالك العثمانية وارسل ايضاً ابن شاه ايران الى الاستانة بصورة الرهن .

ولدى ختام حملة ايران فتحت ميادين الفتن وعادت الى التجديد على ان يرجع الجيش الهمايوني الى الاستانة . وابتدأ الفساد الذي كان ينتشر في الخارج على هذه العساكر ايضاً ومن ثم بالسرايه .

و بناء على الوقائع المؤلمة الناتجة من وجه الفتن المذكورة والوباء الذي فشأ شديداً في سنة ١٠٠٠ فتسبب عنه الوفيات الكثيرة رات الحكومة لزوماً لان تشغل العساكر بالخارج ارتياحاً لها واخماداً للفتن المذكورة ففتحت الحرب على اوستريا .

وهجم الاعداء على بلاد المجر وجاهوا حتي بشته ومع ان العثمانيين فازوا بالنصر عند اول الحرب لكن الرخاوة التي اظهرها الجند سهلت للخصم التقدم ظافراً الى سواحل الطونه .

فبناء على هذه الوقائع ولاجل انهاض همة الجند اخرج العلم الشريف الا ان اثناء التشبث باجراء الهجوم من عساكر القريم على الاعداء اصيب السلطان بالسويداء ومن ثم توفي متاثراً من ذلك في مدة ثلاثة ايام

وكان المشار اليه مشهوراً بالميل الى الصفاء والملذات ولهذا السبب وقعت امور الحكومة في زمانه بالتشويش والقلق والاختلالات الداخلية التي اخترقت الدولة العثمانية اعصراً وقد صدر عن عهد حكومته الاكدار العسكرية التي توسع ظهورها اوانئذ

ودفن في تربة والده المغفور له السلطان سليم الثاني بجوار ايا صوفيا

خلاصة

فتحت الحرب على ايران في زمن السلطان مراد الثالث ودامت ١٢ سنة مابين انتصار وانكسار وكانت جميع وقائع ايران التي قام بها الصدر الاعظم فرهاد باشاوسنان باشا فاتح اليمن محفوفة بالتوفيق واخيرًا ختمت الحرب بالحاق كل من تبريز وروان وشيروان بالدولة العثمانية

ومن ثم ابتدأت ثورة الانكشارية . ودخل الالمان بلاد المجر وتقدموا الى حد بشته ولاجل طردهم اخرج العلم الشريف وحينئذٍ توفي السلطان

دور حكومة فاتح اكري السلطان محمد الثالث

(من سنة ١٠٠٣ الى سنة ١٠١٢)

وحالما بلغ الخبر السلطان محمد الثالث الشاب الموجود اوانئذٍ في مغنيسيا بوفاة ابيه جاء العاصمة واعلن جلوسه .وكان اخوته في زمن جلوسه احياء وعددهم ١٩ ذكرًا . ولما كان يفتكر بالهموم التي كانت حدثت من احوال فتن الدور السابق تقدم بلا تجربة لاراقة ادمية اولئك المنكودي الحظ واعتبارًا من ذلك التاريخ الغي اصول ارسال اولاد السلاطين الى الولايات الخارجة عن العاصمة

وفي اوائل الجلوس نهض البرنس ميخائيل حاكم الفلاخ بتشويق اوستريا متشحًا بسلاح العصيان . ومن جراء تقهقر خان القريم ورجوعه عن القتال من الجهة الواحدة ومن الجهة الثانية بسبب انهزام سنان باشا الصدر الاعظم الذي تعين لتاديبه متضائقًا في ارض غرقة ادخل الى يد

استيلائه كثيرًا من القلاع القائمة على ضفاف الطونة . وكذلك تقهقرت عساكرنا ايضًا امام الاعداء عند تخوم بوسنه

ولما كان هذا الفشل والتقهقر اللذان لحقا بالجند في كل جهة قد اوقعا الخلق باليأس فهاجوا وماجوا نهض السلطان الجديد بتشويق وترغيب سعد الدين استاذ خنكار الى اقتفاء اثار اجداده العظام وزحف على بلاد المجر مستصحبًا جيشًا قويًا تجاه الالمان . وعليه فقد دعت حركة الجيوش هذه الفلاخيين الى الطاعة واوقعت الى يد المظفرية العثمانية قلع بلاد المجر مثل قلعة اردل وقلعة اكري . ومن ثم التقى الجيش العثماني بالجيوش المتفقة عند صحراء كرسجه . وكانت الحرب غائلة مرعبة اتصلت الى ثلاثة ايام وقد سميت تلك الملحمة (ملحمة مهاج الثانية) وكان الاعداء في اول ايام الحرب قد احرزوا التوفيق وكذلك في اليوم الثالث هجموا على المضرب السلطاني وقد تاخرت عساكرنا تمامًا لكن لما كان لا يزال فيها بعض الرمق انضم شرذمة من الفرسان القائمين بمعية چغاله زاده الى خواص المعية الهمايونية بغيرة تستحق المدح وجددوا الهجوم ولذلك مالت كفة النصر الى جهة عساكرنا ففازوا فوزًا عظيمًا جعل السلطان محمد الثالث ان يشتهر في تاريخنا باسم « فاتح اكري» سنة ١٠٠٥

وهذا الانتصار حمل كثيرًا من المسلمين ومن دول اوربا عند عودة السلطان الى العاصمة على تقديم الهدايا اليه وكانت التبريكات والتهنئات في درجة تستلزم المسارعة الى مناسبة التأييد لكن وا اسفاه فان المنازعات والمكدرات التي وقعت بين چغاله زاده المرتقي الى منصب الصدارة وبين الاستاذ سعد الدين القت سوء الانتظام في داخلية الدولة وارجعت الحكومة الى التشويش والقلق . ومن المقرر ان الغوائل والمشاكل الواقعة داخل البلاد وخارجها تركت هذا الانتصار المذكور بلا نتيجة

واخذت في ان تتسع في داخلية الاناضول الشقاوة المشهورة في

التاريخ العثماني بواقعة الجلالي (جلالي واقعه سي) . وقد نهض خان القريم ايضاً الى العصيان ضد الحكومة ولما راى الفلاخيون هذه الاحوال تجاسروا بتكرار العصيان واجتازوا الطونة ودخل جيش اوستريا بلاد المجر

وفي مدة السنين السبع التي صرفها فاتح اكري السلطان محمد على عرش السلطنة لم يقدر بالرغم على ارهاباته واجتهاداته ان يستاصل الاختلال من الاناضول وان يقلع الشغب من بين وزرائه . وكان النمسويون الذين اغتنموا الفرصة عند وقوع هذه المشاغل الداخلية التي وصلت الى حد القصر الهمايوني ينازعون الدولة و يقاتلونها المرة بعد الاخرى . ومن الوقائع التي تخللت الحروب المذكورة وقعة (قنيژه) التي اشتهرت بخدعة ترياكي حسن باشا الحربية

واثناء وقوع هذه الفتن والارتباك وسيئات الاحوال في العاصمة وانشغال الدولة ببلاد المجر ارتمى الى ميدان الخصام الشاه عباس المشهور وساعده حكام الفرس لاخذ الثار فاستولى على روان وتبريز

وفيما كان السلطان عاملاً على اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع توفي

وكان المرحوم المشار اليه قد حصل حين صبوته من الاستاذ سعد الدين الادبيات والعلوم وفن الشعر ولذلك عد في مصاف الشعراء كاكابر اسلافه

وان كان قد اظهر بعض تشبثات واقدام لتنظيم واصلاح امور الدولة التي كانت مختلة في دور حكومة ابيه اثناء جلوسه جديداً وكان اجراه مظفرية وتامين هذه التشبثات يتم بواسطة انتصار اكري الذي وقع في بلاد المجر بصورة لائقة لكن ما الفائدة فانه فيما بعد انهمك بالملذات والصفا وترك مهام الحكومة وتدبير امورها في يد اناس من غير اهلها

ودفن في تربة ابيه بجوار جامع ايا صوفيه الشريف

استيلائه كثيرًا من القلاع القائمة على ضفاف الطونة ٠ وكذلك تقهقرت عساكرنا ايضاً امام الاعداء عند تخوم بوسنه

ولما كان هذا الفشل والتقهقر اللذان لحقا بالجند في كل جهة قد اوقعا الخلق باليأس فهاجوا وماجوا نهض السلطان الجديد بتشويق وترغيب سعد الدين استاذ خنكار الى اقتفاء اثار اجداده العظام وزحف على بلاد المجر مستصحباً جيشاً قويًا تجاه الالمان ٠ وعليه فقد دعت حركة الجيوش هذه الفلاخيين الى الطاعة واوقعت الى يد المظفرية العثمانية قلع بلاد المجر مثل قلعة اردل وقلعة اكري ٠ ومن ثم التقى الجيش العثماني بالجيوش المتفقة عند صحراء كرسجه ٠ وكانت الحرب غائلة مرعبة اتصلت الى ثلاثة ايام وقد سميت تلك الملحمة (ملحمة مهاج الثانية) وكان الاعداء في اول ايام الحرب قد احرزوا التوفيق وكذلك في اليوم الثالث هجموا على المضرب السلطاني وقد تاخرت عساكرنا تماماً لكن لما كان لايزال فيها بعض الرمق انضم شرذمة من الفرسان القائمين بمعية چغاله زاده الى خواص المعية الهمايونية بغيرة تستحق المدح وجددوا الهجوم ولذلك مالت كفة النصر الى جهة عساكرنا ففازوا فوزًا عظيماً جعل السلطان محمد الثالث ان يشتهر في تاريخنا باسم « فاتح اكري » سنة ١٠٠٥

وهذا الانتصار حمل كثيرًا من المسلمين ومن دول اوربا عند عودة السلطان الى العاصمة على تقديم الهدايا اليه وكانت التبريكات والتهنئات في درجة تستلزم المسارعة الى مناسبة التأييد لكن وا اسفاه فان المنازعات والمكدرات التي وقعت بين چغاله زاده المرتقي الى منصب الصدارة وبين الاستاذ سعد الدين القت سوء الانتظام في داخلية الدولة وارجعت الحكومة الى التشويش والقلق ٠ ومن المقرر ان الغوائل والمشاكل الواقعة داخل البلاد وخارجها تركت هذا الانتصار المذكور بلا نتيجة

واخذت في ان تتسع في داخلية الاناضول الشقاوة المشهورة في

التاريخ العثماني بواقعة الجلالي (جلالي واقعه سي) .وقد نهض خان القريم ايضاً الى العصيان ضد الحكومة ولما راي الفلاخيون هذه الاحوال تجاسروا بتكرار العصيان واجتازوا الطونة ودخل جيش اوستريا بلاد المجر

وفي مدة السنين السبع التي صرفها فاتح اكري السلطان محمد على عرش السلطنة لم يقدر بالرغم على ارهاباته واجتهاداته ان يستاصل الاختلال من الاناضول وان يقلع الشغب من بين وزرائه. وكان النمسويون الذين اغتنموا الفرصة عند وقوع هذه المشاغل الداخلية التي وصلت الى حد القصر الهمايوني ينازعون الدولة ويقاتلونها المرة بعد الاخرى. ومن الوقائع التي تخللت الحروب المذكورة وقعة (قنيژه) التي اشتهرت بخدعة ترياكي حسن باشا الحربية

واثناء وقوع هذه الفتن والارتباك وسيئات الاحوال في العاصمة وانشغال الدولة ببلاد المجر ارتمى الى ميدان الخصام الشاه عباس المشهور وساعده حكام الفرس لاخذ الثار فاستولى على روان وتبريز

وفيما كان السلطان عاملاً على اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع توفي

وكان المرحوم المشار اليه قد حصل حين صبوته من الاستاذ سعد الدين الادبيات والعلوم وفن الشعر ولذلك عد في مصاف الشعراء كاكابر اسلافه

وان كان قد اظهر بعض تشبثات واقدام لتنظيم واصلاح امور الدولة التي كانت مختلة في دور حكومة ابيه اثناء جلوسه جديداً وكان اجراءه مظفرية وتامين هذه التشبثات يتم بواسطة انتصار اكري الذي وقع في بلاد المجر بصورة لائقة لكن ما الفائدة فانه فيما بعد انهمك بالملذات والصفا وترك مهام الحكومة وتدبير امورها في يد اناس من غير اهلها

ودفن في تربة ابيه بجوار جامع ايا صوفيه الشريف

خلاصة

في بدء سلطنة السلطان محمد الثالث قهقر البرنس ميخائيل المشهور امير الفلاخ سنان باشا وكذلك انتصر النمسويون علينا في تخوم بوسنه وبناءً على ذلك سار السلطان بالذات الى بلاد المجر وضرب اعداءهُ ونظرًا لفتحه قلعة اكري اشتهر باسم فاتح اكري . وفي زمانه اتسعت في الاناضول دوائر الشقاوات التي اشتهرت باسم وقعة الجلالي . واشتغل كثيرًا باخماد تلك الفتن قو يوجي مراد باشا و ياوز علي باشا

واغتنم الالمانيون الفرصة عند وقوع هذه الاحوال فدخلوا بلاد المجر وتسلط الايرانيون على الحدود الشرقية وفي اثناء مداركته هذه الوقوعات توفي

دور حكومة السلطان احمد الاول

«من سنة ١٠١٢ الى سنة ١٠٢٦»

وكان لما جلس السلطان احمد الاول على التخت العثماني في الرابعة عشرة . وقد أجري رسم ختانه وتقليده السيف بوقت واحد

وكانت اعمال السلطان العالي الشان مع صغر سنه تستوجب الاعجاب سواء كان من جهة التشديد بالاجراءات التي ابداها بحق اصحاب النفوذ في السرايا او من جهة الاوامر والارهابات الموجودة في الخط الهمايوني المعلن جلوسه

ونظرًا لاستيلاء الشاه عباس على جهتي روان وتبريز ارسل جيشًا بمعية جغاله زاده لاجل مقاومته . وكان قد تعين ياوز علي باشا مأمورًا لمنع تسلط الامبراطورية الالمانية الداخلة بالاتفاق مع الايرانيين من التسلط

على بلاد المجر

ولما كانت فتن اشقياء الجلالي التي تزداد في الاناضول والقلاقل التي ظهرت اوانئذٍ في لبنان وسوريا مانعة لحرية جيش الشرق امتدت حروب ايران الى سبع او ثماني سنين وانتجت الخراب في قطعتي كردستان وكرجستان .

وعند ما وقعت المنازعات فيما بين الجنود الشمالية أُجبر بالطبع الجنود المذكورون الى سرعة التخلي متقهقرين امام العدو

وكانت الحروب في اسيا واوربا تزداد وتشتد من جري الاختلالات الداخلية الجارية في الاناضول على صورة تُقلق الدولة وتلقيها تحت خطر السقوط ولذلك نهض السلطان العالي الشان وقد الزمته حميته وغيرته الى الحمل بالذات فسار راساً الى بروسه وما لبث ان استقرت قدماه هناك حتى ثارت الفتن في الاستانة فوجد نفسه مجبوراً على العود الى الاستانة فرجع عاجلاً

وفي هذه الثورة ارتمى السلطان الفتى الى وسط العسكر متدرعاً بالشهامة وكمال المهابة لابساً قباء احمر فكان من نتيجة ذلك ان اخمدت نيران تلك الفتنة بسرعة

ومع هذه الاختلالات الداخلية التي توسعت دوائر حدودها من الاناضول الى حد سوريا تألف جيش عظيم من الالمان والمجر بين واهالي ترانسلفانيا و برزوا الى ميدان المخاصمة ثانية .وكان من نتيجة هذه الحرب التي طالت دون انتصار البتة في جهة ما ان عقدت معاهدة سيتوانوروف في سنة ١٦٠٦ ميلادية •ومن بنودها ان المعين الذي يقدم للدولة العلية تحت اسم هدية اوستريا قد الغي ونزع من يد العثمانيين حق التملك الذي كان لهم على بلاد المجر (سنة ١٠٢١)

ومن بعد المصالحة المذكورة امر جيش الشمال بالمسير الى الاناضول

وبهمة واقدام قيوجي مراد باشا الصدر الاعظم اعيدت الراحة العامة الى الوجود بظرف سنين قليلة بعد ان اوقع بالاشقياء . ومن ثم وجه بعنان غيرته الى الشرق واجبر الايرانيين بعد ان فاز عليهم واسترجع تبريز الى عقد الصلح لكن نظرًا لوقوع وفاته لم يمكنه التوفيق من الاتمام بالتوقيع على معاهدة الفوز والانتصار

ولم يمرّ الا القليل على عقد هذه المصالحة حتى نقضها الاعجام ونهضوا للقتال الا انهم فشلوا تجاه الجنود العثمانية . وكذلك في الشمال اخذ الاعداء بتجديد المخاصمات غير ان الجيش الهمايوني الذي سيق الى هناك قد انتشح بالظفر

ومن الاسف ان الاضطرابات التي كانت تنمو في العاصمة بلغت درجة شديدة حالت دون الاستفادة من ذلك الظفر

وفي اثناء القلاقل والشغب المصادف وقوعه في سنة ١٠٢٦ هجرية توفي السلطان احمد وهو لا يزال في سن الفتوة وقد ترك في الداخل الفتن العديدة وفي الخارج الارتباكات السياسية فكانت اكبر شاغل للدولة

ومن المصادفات الغريبة ان المرحوم المشار اليه هو السلطان الرابع عشر من السلالة المباركة وجلس على التخت وهو في الرابعة عشرة ومدة سلطنته كانت اربع عشرة سنة

وكان ارتقاؤه العرش العظيم وهو في سن الصبوة مانعاً منعه من ان يطفئ نار الاختلالات الداخلية الصائرة من سيئات الاثار في ادوار اسلافه . وقد توفي وهو شاب ويمكن ان يقال ان الدولة كانت مبتدئة بالانحطاط

ودفن في التربة المخصوصة قرب الجامع الكبير الذي امر بانشائه منتسباً لاسمه العالي

خلاصة

جلس السلطان احمد وهو في الرابعة عشرة على العرش واجبر الى الانهماك بالحروب مع امبراطور المانيا في الشمال ومع الشاه عباس في الشرق

وفضلاً عن شقاوات اشقياء الجلالي ظهرت الفتن في سوريا ولبنان ووقع على معاهدة ستيوانوروف في سنة ١٠٢١ وكانت قد عقدت مع المانيا ومنها ترك قسم من المجر

ومع ان قيوجي مراد باشا قددق الاعجام لم يمكن ان يقرر نتيجة للحرب لعظم الفتن وقد توفي المشار اليه في سن الفتوة اي في الثامنة والعشرين

القسم الثاني

من وفاة السلطان احمد الاول الى زمن صدارة كوبرلي
(من سنة ١٠٢٦ الى سنة ١١٦٦)

دور حكومة السلطان مصطفى الاول

(مقدار سنتين في مرتين)

وعند وفاة السلطان احمد الاول كان السلطان عثمان اكبر اولاده لا يزال قاصرًا اي دون الرابعة عشرة فحسبت حداثة سنه هذه مانعًا يمنعه عن ايفاء حق التسلط ولذلك اقيم على العرش العثماني السلطان مصطفى الاول اخو المرحوم السلطان احمد

وان كان السلطان الجديد بالواقع في السادسة والعشرين لكن لما لم يكن له موقع في القلوب لسبب عتهٍ فيه كان ذلك مانعًا في حكومته . وكانت المكدرات التي عرضت على امور داخلية الدولة العثمانية وشوكتها السابقة من وجه اختلال ذلك العصر وضعف الراس في الحكومة تظهر شدة احتياج الى وجود سلطان نشيط وعامل مقتدر اكثر من كل وقت مع ان الاختلاف كان واقعًا كليًا على هذا الاحتياج . وبالطبع ان قيام هكذا ذات على عرش السلطنة في هكذا ظروف لا يمكن ان يكون وافيًا بالمقصود . اذ لا يقدر ان يشتغل بامور الدولة . وقد اوقع قيامه الفجور مدة عصرين اختل فيهما شان وشرف الدولة القديم ومال الى الانحطاط

ولدى جلوس السلطان مصطفى دخل زمام الادارة تماماً في يد والده سلطان . فاخذت هذه السيدة في ان تسرف وتستهلك جميع اموال الخزينة في سبيل اهوائها واغوائها

ولم يقبل الولاة ان يصدقوا على سلطنة السلطان الجديد قائلين لا حق له بالخلافة وكذلك في العاصمة نهضوا عاصين اوامره . و بناء على وقوع هذه الاحوال التي دامت نحوًا من ثلاثة اشهر اضطر اعاظم الدولة ان يحضروا الى مقام الحكومة عثمان الثاني ابن السلطان المتوفي . (سنة ١٠٢٦)

وفضلاً عن حداثة سن السلطان كان قاسي الطبع . ومن بعد توليه باربع سنين استشهد . و بسبب تمرد الانكشارية اعيد الى مقام الحكومة السلطان مصطفى الاول مرة ثانية (١٠٣١)

وقد امتد دور حكومة السلطان مصطفى الثاني في هذه المرة الى ١٨ شهرًا . وفي ظرف المدة المذكورة اتسعت دائرة الشقاوة الداخلية فزادت عن الحد

وكانت وقائع العاصمة نظير سلب اموال اصحاب الثروة وقطع رؤس بعض الاعاظم والمقاتلات والمخاصمات الدموية في الازقة بين بعضهم البعض وهتك عرض جماعة من ارباب الناموس الى غير ذلك معدودة من اكبر اسباب الضرر الذي اوقع الدولة بسوء الاحوال

ونهض ابازه باشا والي ارضروم الى المداخلة لدى ظهور هكذا وقائع مفجعة في مركز الحكومة ولفى اليها كثير من الايالات مما زاد الامر رعباً وخوفاً

وفي النهاية قدروا على سحب رزائل الانكشارية . ومن ثم وان كان قد اراد العلماء واصحاب الناموس ان يعرضوا للسلطان حالة الخطر وما وصلت اليه الدولة والرعية لكن لما شوهد انه وصل الى درجة لا يمكن ان يقبل الخطاب فيها اجبروا الى اجلاس ثاني اولاد المرحوم السلطان احمد الثاني

اي السلطان مراد الرابع المشهور بفاتح بغداد على تخت اجداده العظام وهو في الثانية عشرة

ومن بعد هذه الوقعة عاش السلطان ست عشرة سنة ومن ثم دنا اجله فتوفي ودفن في تربة اخيه السلطان احمد

وكان جلوس المشار اليه على التخت اول مرة في الدولة العثمانية خلف فيها سلطان اخاه . ومع انه منذ تشكل دولتنا كانت حقوق الخلافة تنتقل غالبًا الى اكبر اولاد السلطان لكن من بعد هذه الوقعة اتخذ قانون الاصول الجارية الان وهو انتقال الخلافة الى اكبر وارشد اولاد العائلة العثمانية

خلاصة

جلس السلطان مصطفى الاول على عرش السلطنة بعد وفاة اخيه السلطان احمد الاول ونظرًا لكونه كان معتوه الحال اجلس في مكانه ابن اخيه السلطان عثمان الثاني بعد ثلاثة اشهر

وبعد مرور اربع سنين اعيد السلطان مصطفى ثانية على التخت ودور سلطنته هذا امتد الى ١٨ شهرًا وقع اثناءها الفتن والاختلال في العاصمة وفي الولايات . ولما كانت رابطة الانتظام قد اختلت جلب الى التخت السلطان مراد الرابع من اولاد اخيه

وهذه هي المرة الاولى التي خلف فيها سلطان اخاه ومنذ ذاك الوقت صار حق الخلافة لاكبر وارشد ذوات العائلة

دور حكومة السلطان عثمان الثاني

قلنا ومن بعد ان كان قد بقي السلطان مصطفى الاول على عرش الحكومة مقدار ثلاثة اشهر فصل واجلس على التخت العثماني السلطان عثمان الثاني اكبر اولاد المرحوم السلطان احمد الاول وهو دون الرابعة عشرة. وقد اعلن هذا التبديل للمرة الاولى الى الدول الاجنبية بواسطة السفراء الذين صار اعزامهم مخصوصاً

وفي اول دور حكومة هذا السلطان الفتي كان الولاة قد رفضوا في زمن سلفه قبول اوامر العاصمة و بسبب ذلك اي وقوع الفتن في العاصمة وفي الولايات كسر نفوذ الدولة وضاعت حيثيتها .واشتدت حرب ايران التي ظهرت في اواخر سلطنة ابيه

وفي بداية سلطنته عصى البوهيميون على المانيا وراجعوا بذلك الباب العالي .ولما كانت المشاكل والمشاغل الحاضرة في العاصمة لم تمكن الدولة من امداد يد المساعدة لهم سالت لهم العفو والالتماس من حكومتهم. ولما كان الجيش الموجود في الشرق قد فاز بالنصر على الايرانيين ودخل قلعة اردبيل سال الشاه عباس الصلح فاجيب الى سواله في الحال. فدفع من وجه ذلك غائلة الايرانيين

وقد ساعدت غوائل الدولة الداخلية برنسي الفلاخ والبغدان الى اجراء آمالها فاعلنا الاستقلال في تلك الاثناء .ولما كان قد تم اتفاقها مع البولونيين اخذت في ان تظهر النكبة الكبرى في جهة الروم ايلي وعليه فقد جمعت العساكر وارسلت بالعجل متحدة بالجيش الذي ارسل من القريم .وصار اخماد العصيان بواسطة النصر الذي احرز على جيش الاعداء المحتشد في اطراف (ياش شهر) الا ان البولونيين ادرعوا من

جديد الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لدوام الحرب باقدام وثبات

وكانت شدة البرد الذي وقع في سنة ١٠٣٠ والجليد الذي حصل في موسم الشتاء في الخليج حتى صار يسار بالعجلات من استانبول خارج السرايا الى اسكدار والقحط الذي رافق ذلك وفراغ الخزينة من الاموال قد جرّ الى الوسط التشكيات والتقولات ولحق بالخلق الملل والضجر فتشوقوا من كوزلجه احمد باشا الموجود في موقع الصدارة الى احداث بعض السيئات مثل اخافة الاجانب ونهب بعض اموال الاعيان وغير ذلك

ولكي تقطع هذه الاسباب ولاجل ان يوقف العدو عند حده عزم على السفر الى بولونيا عند حلول الربيع وتقدم راساً الى الطونه

واقبال السلطان بالذات على الحمل القى الرعب والخوف من جديد على البرنسين فاسرعا الى عرض الطاعة ومن هناك دخل في حدود بولونيا وقد ترك الانكشارية هجمات العدو عديمة الجدوى امام قلعة خوتين ومن جرى شدة المقاومة وقعت القلعة بيد العثمانيين . وقد اضطر الاعداء الى الصلح الا انه نظراً لتمرد الانكشارية كان هذا الصلح من الامور الموافقة لدولتنا وذلك من وجه الاختلال الطارىء على الجيش الهمايوني

ولما كان السلطان عثمان قد احرز شجاعة في مدة قصيرة مع صغر سنه اغضبه عدم طاعة الانكشارية الذين افرغوا جعبة الشقاوة في سفر بولونيا عزم على ان يشفي غليله منهم ودفعه الغيظ والحقد الى الانتقام . وقد صادف انه منع ايضاً استعمال التبغ الذي اخذ ان يعم استعماله بين الخلق عند عودته الى العاصمة . وكان يطوف الليالي بالذات على امل ان يوقع بالانكشارية ففتح بذلك طريقاً واسعاً للقلاقل

وعزم في ذلك الحين على الذهاب الى الحج الشريف قاصداً من ذلك امحاء رسم الانكشارية بايدي العساكر المطيعة التي ستدركه من بلاد العرب . ولما شاع ذلك اشتدت الفتن والقلاقل ولحقت الشقاوات

والتعديات بان افتري على بنات الاعاظم وعليه وصل الخلق الى الدرجة الاخيرة من الضجر واليأس

واما السلطان الشاب الذي لم يصغ الى نصائح كبراء واصدقاء الدولة فقد بقي ثابت العزيمة مصرًّا على السفر الى الحج الشريف فاتسعت الفتن وتعاظمت حتى افضى الامر اخيرًا الى ارجاع السلطان مصطفى الاول ثانية للجلوس على التخت العثماني (سنة ١٠٣١)

وقد اشترك الخائن داود باشا و بعض رفاقه بارتكاب الجناية الفظيعة فوقع السلطان السيء البخت شهيدًا وذلك جعل مرتكبو جريمة الافتضاح هذه ان يحتملوا لعنة الامة الى الابد

والشهيد المشار اليه يعرف فيما بين سلاطين آل عثمان باسم (كنج عثمان) اي عثمان الشاب . وقد دُفن في تربة والده المرحوم السلطان احمد

خلاصة

جلس السلطان عثمان الثاني في مكان السلطان مصطفى الاول وهو في الرابعة عشرة

وفي مدة سلطنته التي امتدت الى اربع سنين تكلل جيش الشرق بالغلبة على الشاه عباس حاكم ايران وكذلك ادب الفلاخيون الذين عصوا مستندين الى مساعدة البولونيين . ولما اعلنت بولونيا الحرب سار بالذات واجتاز الطونه واستولى على قلعة خوتين

ومن وجه عدم طاعة الانكشارية ودناءة الخائن الجاهل داود باشا (ليسه صاحب الجامع) توفي ذاك الشجاع الشاب شهيدًا وهو في الثامنة عشرة

دور حكومة السلطان مراد الرابع

(من سنة ١٠٣٢ الى سنة ١٠٤٩)

وبناء على الوقائع التي انتجتها شهادة السلطان عثمان الثاني القليل الحظ اجلس السلطان مصطفى الثاني تكرارًا على التخت وفي ظرف المرة الثانية التي اقام فيها في راس الحكومة كانت جميع الاحوال الداخلية مختلة . واخيرًا نهض امناء الدولة وكبراؤها فاجلسوا السلطان مراد الرابع ابن المرحوم السلطان احمد الثاني على التخت وهو اذ ذاك في الثانية عشرة

وفضلاً عما جرى من الاضطرابات والقلاقل من وجه الامور السالفة الذكر التي دامت اربع او خمس سنين وجلس في نهايتها هذا السلطان الشاب نهض في الاناضول صو باشي بكر الى العصيان . وقتل والي بغداد وعصى فخر الدين في جبل لبنان . وفي جهات بلاد الكرج تقدم ابازه عثمان باشا بدعوى اخذ ثار المرحوم عثمان الثاني الى داخل الاناضول حتي جوار بروسه . وقد زادت معاملات حكام القريم العدوانية تلك الغوائل التي كانت تتهدد المملكة من كل صوب

وتبع جلوس السلطان انه بهمة والدته ماه بيكر وتدابيرها الحكمية اعيدت الراحة الى العاصمة بتبعيد اصحاب الفتن ومروجي الفساد من العلماء والوزراء . وامر حافظ باشا على جيش عظيم باستخلاص بغداد وهذه الحركة انتجت قتل الفسني وجدوا داخل قلعة بكر التي سلمها شيخها (الصوباشي) الى الايرانيين

وكان الصدر الاعظم الزاحف على ابازه باشا قد اجبره الى الفرار الى ارضروم بعد ان فاز عليه بجوار قيسرية . واما الحملة البحرية

التي ارسلت لارجاع خانات القريم الى الطاعة فلم تقدران تاتي بعمل ولما كانت قوارب القوزاق مخرت الى داخل البوغاز صارت التسوية بترويج مطالب القريم لاجل دفع اولئك ·

وتقدم الايرانيون الذين استولوا على بغداد بواسطة احتقار الصو باشي المعهود الى اطراف الموصل والزور· وكانوا قد تجنبوا الايالات الشرقية · ولذلك سيق من العاصمة جيشان مرتبان الواحد الى العراق والاخر الى جهات بلاد الترك · ولما كان ابازه باشا في ارضروم اراد ان يقف في طريق الجيش المرسل الى بلاد الترك فانضم لاجل تنكيله وتاديبه كليًا الجيش المرسل الى العراق بالجيش الاخر المرسل الى بلاد الترك وزحفا عليه . وبعد ان حاصر الجيشان المذكوران ابازه باشا سبعين يومًا في قلعة ارضروم التي التجأ اليها اضطروا اخيرًا الى الانسحاب للمشتى في ثكنة طوقات بدون الحصول على نتيجة وذلك عند حصول فصل الشتاء

واخيرًا اجبر خسرو باشا البشناقي الذي تعين لمسند الصدارة ابازه باشا الى الطاعة والاستئمان وتوفق ايضًا الى دفع تعرضات الالمان الزاحفين على بلاد المجر · وفيما بعد مرّ وهو على جيش الشرق الى الاناضول ودقّ جيش حاكم العجم الجديد امام قلعة ميز بات وتغلب على العجم · والتهمت السنة النيران مدينتي همذان وتارومار

وفي ذلك الحين ابتدأ زمان شجاعة السلطان الفتى · ولاجل تسكين هيجان الانكشارية الذين اجبروا حافظ باشا وسائر الاصدقاء الى التسليم الى ايدي شقاواتهم اخذ باظهار شجاعته الفطرية راميًا بنفسه الى ميدان الشهامة والاقدام وهو لم يزل دون العشرين فضايقهم واوقع بهم تمامًا في مدة سنة واهتم بان اوقفهم على حدودهم

ومن بعد تاديب الانكشارية على هذه الصورة وترهيب من هم كامثالهم وتسكين الفتنة التي كانت في جبل لبنان حمل على العجم الذين

اقلقوا الحدود الشرقية منذ زمن المرحوم ابيه

وعند عودة السلطان الذي تقدم من كرجستان بجيش عظيم للاستيلاء على قلعة روان والتغلب على اذربيجان ادرع بدرع على طرز يليق بشجاعته ودخل العاصمة بكمال الافتخار والعظمة

ومن ثم نهض الاعجام من جديد لتخريب الممالك العثمانية قاصدين استرداد روان فساروا راساً الى مدينة الزور. واذ كانت هذه الاعمال العدوانية قد حركت حمية السلطان الغازي لاظهار همته العالية وجه بقوة السلاح في هذه المرة على العراق سائقاً اليها جيشاً عظيماً

وفي هذه الحملة اخذت بغداد تحت المحاصرة ومن بعد ان ضايقها نحواً من شهر ونصف ظفر بفتحها واستردادها وافتخر بان اكتسب عن لياقة لقب (فاتح بغداد)

وتبع فتح بغداد انه عامل على العجم نظير اعمالهم فقتل من الشيعيين مقدار ثلاثين الف نفس (سنة ١٠٤٨)

ومن بعد عودته من حملة بغداد لم يهتم باضطراب جسمه بالرغم على نصائح احبائه فمال الى الحظ والصفاء في قصور بوغاز ايجي محاطاً بندمائه وكان من عاقبة هذا الانهماك بالملذات ان قبض ذاك الشجاع الفتى وهو لا يزال دون الثلاثين من العمر

وكان المرحوم المشار اليه من جملة سلاطيننا الذين امتازوا بالشهامة والشجاعة الفطرية. وان كان قد ابدى بعض تقصيرات في اوائل سلطنته نظراً لحداثة سنه لكن بعد ان اجتاز مراحل الصبوة قبض بيد الاقتدار على زمام الادارة وعمل بنصائح قوچي بك المشهور فاجرى ما فيه من الغيرة والهمة الى تربية الانكشارية العصاة. وكانت الحملة على ايران التي تبرهن على وحدانية شجاعته مما يحير العقول

ودفن في تربة المرحوم والده السلطان احمد

خلاصة

اجلس السلطان مراد الرابع في مكان عمه السلطان مصطفى الاول على التخت العثماني في الثانية عشرة

وعند جلوسه كانت كل اطراف المملكة واقعة بالاضطراب فاستولى الايرانيون على بغداد وتقدموا راساً الى الموصل متغلبين على حافظ باشا المشهور معتمد السلطان ووزيره

وقد اجتهد خسرو باشا الصدر الاعظم باصلاح الفتن التي كانت جارية في الاناضول. ولما ادرك السلطان العشرين من عمره اشتد ساعده جداً. ومن بعد ان اوقع بالانكشارية واوقف كلاً على حده فتح باب الحمل ثانية على الشرق واسترجع بغداد

وعند عودته الى الاستانة من حملة الشرق تكلف بان لبس ثوباً ذا درع يليق ببسالته ودخل العاصمة باحتفال عظيم. وقبل ان يبلغ الثلاثين من العمر ادركته المنية

دور حكومة السلطان ابرهيم

(من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١٠٥٨)

وبناء على وفاة فاتح بغداد بداء النقرس الذي ابتلي به اصابت نوبة الجلوس على التخت العثماني السلطان ابرهيم سادس اولاد المرحوم السلطان احمد الاول اي اصغرهم وكان لا يزال حياً

وعند الجلوس الهمايوني وزع على الانكشارية عطايا الجلوس التي دخلت في حكم الاصول والعادة وارسلت الرسائل الخصوصية ايضاً بواسطة

اعتناء ماه بيكر والدة السلطان وتدابيرها الحكمية باعلان امر تبدل السلطنة الى الدول الاجنبية

ووقعت قلعة آزاق بيد القوزاقيين عند الاشتغال بالحمل على ايران فبعثت بفرسان القريم برًا وكذلك ارسل الاسطول والعساكر الهمايونية الى البحر الاسود وفي السنة الثانية للجلوس الهمايوني صار استرداد القلعة المذكورة بعد التضييق من كلتا الجهتين واسرع الى بناء وترميم المدينة من جديد لان القوزاقيين كانوا قد احرقوها عند تركهم اياها

وكان السلطان ابرهيم منذ وفاة ابيه المرحوم السلطان احمد الاول اي منذ عشرين سنة تقريباً عرضة للاضطراب فقد حبس في السرايا الهمايوني ولسبب اتلاف اخوته الثلاثة بمراقبة السلطنة ضعف قلبه جداً واصبح خوفه متمادياً متواصلاً وما لبث ان ارتقى مقام السلطنة وملك الحرية بافعاله حتي مال الى الملاهي والتنعمات

وقد توفق جنجي خواجه قرين السوء بواسطة البنات النافذات الكلمة في الحرم وبغير وسائط ان يكون مقدماً على اصحاب الحمية من نصحاء الدولة حتى اصبح عند السلطان في درجة تقدمه على قره مصطفى باشا القائم على مسند الصدارة منذ حملة بغداد وهو من ارباب الاهلية قدران يدير امور الادارة بحكمة ونفوذ كلمة مدة ثلاث سنين

الا انه اي الصدر الاعظم أُخرج ذات يوم من الديوان الهمايوني بحيلة دنية واعدم وعليه وقعت جميع اشغال الدولة وامورها في يد قرين السوء

واشهر وقائع زمان السلطان المشار اليه الحمل على كريت

وكان قد صار التصور منذ زمن المرحوم السلطان احمد الاول بسوق العساكر على كريت وعند عودته من حملة بغداد بينما كان يتهيأ الى ذلك و يعد المعدات اللازمة توفي وعليه لم يخرج هذا الامر الى حيز الفعل ولما كان قد أُعدم في هذه المرة رئيس دار السعادة المرسل الى مصر

اثناء السفر مقبوضاً عليه من قرصان مالطة كان من جملة الاموال المغصوبة بعض حيوانات قدمت هدية للقائد المامور من طرف البندقيين على كريت وهذا الذي اخرج تصميمات الحمل على الجزيرة الى حيز الوجود .

ونظراً لروايات تاريخ الافرنج انه كان فيما بين تلك الاشياء المغصوبة ابن جارية كانت مع رئيس دار السعادة فأسر ايضاً ولما كان القرصان قد توهموا ان الولد من ابناء السلاطين العثمانيين ضرفوا الهمة والسعي الى المحافظة عليه مع كمال الاعتناء الا انه لما تبين اخيراً ان ذلك التوهم كان على خلاف الحقيقة تربى الغلام المذكور على قواعد المذهب المسيحي ونذروه ليدخل في سلك الرهبنة . واخيراً عرف ذاك الاسير واشتهر باسم الراهب « بدرو اوتومانو »

ولما كان عمل القرصان المذكورين قد اغضب السلطان كثيراً عزم ان يحمل على جمهورية البندقية فارسل على جزيرة كريت اسطولاً كبيراً موءلفاً من ٣٥٠ مركباً شراعية تحمل ٥٠ الف مقاتل

ومن بعد المحاصرة والتضييق مقدار خمسين يوماً بالمدافع الضخمة وقعت قلعة خانيه بيد العساكر العثمانية . وقد رمم القائد يوسف باشا المحلات التي خربت من القلعة وعاد بالظفر الى الاستانة تاركاً للمحافظة فيها ١٢ الفاً

الا ان القائد المنتصر سقط تحت طائلة رقبائه واخصامه الذين كانوا يراقبون الاقبال والمنزلة الحائز عليها عند السلطان فاقنعوه الى درجة اعدامه واظهروا لزوماً لسوق العساكر من جديد لاجل فتح سائر جهات الجزيرة

واعتباراً من ذاك التاريخ دخلت الجزيرة المذكورة قياساً في حكم مكتب حربي لعساكرنا وقد طالت المحاربة وامتدت . فمن الطرف الواحد

كانت المداركات موجودة فترسل في كل سنة المهمات واللوازم والذخائر للعساكر من الاستانة الى كريت ومن الطرف الاخر كان البندقيون بواسطة سد بوغاز البحر الابيض يجتهدون لان يوصلوا الامداد الى الجزيرة ويمنعوا ايصال الامداد للعثمانيين

والحاصل ان حملة كريت هذه امتدت الى ٢٥ سنة في نهايتها تيسر الاستيلاء على كامل الجزيرة تحت قيادة كوبر يلي زاده وذلك في عهد حكومة آوجي « صياد » السلطان محمد

واما في العاصمة فان السلطان ابرهيم كان مبتليًا بمرض الذهن والسوداء وكان نفوذ النساء في الحرم الهمايوني بدرجة عظيمة عند السلطان حتى صارت تعطى المصالح لمن اردنه بواسطة الرشوات علنًا فنتج من ذلك اسرافات كثيرة واعدامات غير مشروعة

وكما ان الاحوال الداخلية قد جعلت اصدقاء الدولة وامناءها في ضجر وملال فكذلك في الخارج فضلاً عن حملة كريت كانت نار الحرب تتقد في جهات الهرسك وكان اسطول البندقيين يضرب جزيرة مدلي ٠ ولما كان البحر الابيض قد اخذ تحت الحصر من اربعة اطرافه زاد الهيجان وتعاظم في العاصمة واخيرًا بايع اركان الدولة السلطان محمد الرابع اكبر اولاد السلطان ابرهيم ولكنه كان حينئذٍ في السابعة من العمر

ومع ان السلطان المشار اليه كان ارسل اولاً الى دائرة مخصوصة في السراي الهمايوني لكنه استشهد بعد ذلك واذ كان السلطان الجديد لا يزال غلامًا غير مدرك وقع هذا الاستشهاد بفتوى عبد الرحيم افندي شيخ الاسلام بناءً على الخط الهمايوني الذي جعله ان يكتب « ان تحريك القدم من بستان العالم الى مصر العدم هو اهم »

ودفن في تربة مخصوصة بجوار ايا صوفيا

خلاصة

لما كان السلطان ابرهيم مبتلياً بعلة دماغية تجددت وتوسعت في عهد سلطنته الفتن والقلاقل في كل اطراف المملكة

وفي اوائل جلوسه استخلصت قلعة ازاق من ايدي القوزاقيين وكذلك ابتدأ الحمل على جزيرة كريت في زمانه

وان كان قد صار الاستيلاء على قلعة خانيه بسوق العساكر الكثيرة والاسطول العظيم الا ان حرب كريت امتدت الى ٢٥ سنة

ولما ازدادت علة السلطان ابرهيم اجلس على التخت العثماني اكبر اولاده السلطان محمد الرابع وهو في السابعة من عمره

دور حكومة آوجي السلطان محمد

(من سنة ١٠٥٨ الى سنة ١٠٩٩)

وان كان قد جلس السلطان محمد الرابع على التخت العثماني وهو حينئذٍ ابن سبع سنين الا انه بتدابير جدته المسماة ماه بيكر التي اشتهرت باسم « كوسه م سلطان » وبحكمتها التي استعملتها في مدة اربع سلاطين كانت تدار الامور . وقد توفق الى قرض جنجي خواجه ورفاقه جميعاً . ومن العجب كيف ان الانكشارية الذين ابدوا القوة اثر الطاعة احترموا حداثة السلطان عند تبدل السلطنة . وقد نظر لهم مداخلة كلية في جري الاحوال في العاصمة وقد افادوا كثيراً عند وقوع المنازعة بين حرس السرايه القديمة وحرس سرايه غلطة فسكنوا النزاع بالمعارضة التي اظهروها

وفي بدء الجلوس اخرج الى البحر المتوسط اسطول يحمل المهمات والامدادات لاجل حملة كريت استفادة من حالة الضعف المحققة في سفن الاعداء التي تطوف في بوغاز البحر الابيض. على ان الاسطول المذكور قدر ان يصل بكل صعوبة الى الجزيرة لانه صادف الاعداء بالقرب من مينا فوچه

واما في الداخل وان كانت قد دفعت المضار الطارئة من وجود الشقي المعروف بابن القاطرجي الذي ظهر في الاناضول ايضاً وقد اعدم لكن منذ ذلك الحين اخذ في ان يتعود كل انسان ان يعيش كما يريد في العاصمة اي بالمخادعات والمناظرات

واخيراً وقع التضاد والاختلاف فيما بين كوسه م سلطان جدة السلطان ووالدته وتجسمت تلك الاختلافات وكان من نتيجتها اخيراً ان تعاظمت الفتن فقتلت كوسه م سلطان وعزل وابتعد واعدم كثير من الاعاظم . ومن بعد ذلك ازدادت كثيراً الفتن والقلاقل الداخلية

ومن الامور الموجبة للعجب انه في مدة عشر سنين نصب اثنا عشر وزيراً على مسند الصدارة وقد قتل اكثرهم اما من يد اصحاب النفوذ في السرايه الهمايوني او من ايدي اولئك الحشرات اي الانكشارية

وهكذا في دور هذه الفترة لحق باسطول البحر المتوسط الفشل والتاخر تجاه البندقيين . ولما كان الحزن والكآبة قد انتشرا في العاصمة حمل ختم الصدارة كوبريلي محمد باشا مع شروط الاستقلال فيها وذلك اجابة لتوصية بعض اصدقائه وعليه ابتدا بالاجراءات والاصلاحات اللائقة بان يتشرف بها في تاريخ دولتنا. « سنة ١٠٦٦ »

القسم الثالث

من زمن صدارة كو بريلي الى حين عقد معاهدة كارلوفتشه

بقية من دور حكومة اوجي السلطان محمد

«من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٠٩٩»

ولما كان السلطان محمد الرابع قد وصل الى سن الرشد وقد ابتدأ ايضاً بان يختبر احوال العالم امر بان تسلم ازمة الصدارة العظمى مع الاستقلال الى عهدة كو بريلي محمد باشا . واذ كان ايضاً قد وجد لذة عظيمة في ميله وانهماكه بالصيد سيما وانه كان ينفر على نوع ما من امور الحكومة في تلك الفترة التي وجد فيها دون البلوغ انفرد الى ادرنه

واما الصدر الاعظم فقد اخذ بصورة فعالة باصلاح الاحوال الداخلية التي اوصلت المملكة الى حالة الياس من جراء الفتن المتمادية المبتدئة من نصف قرن تقريباً و بتلك العناية الجدية اخذ في ان يقود جماعة الانكشارية الذين ابتدأوا بالطاعة الى القيام بالاجراءات الحسنة والرزانة مع انهم كانوا تمردوا في هذه المرة ايضاً الا ان بسالة الصدر الاعظم واقدامه حملهم على الطاعة والانقياد وكمال التربية .

ومن بعد قيام كو بريلي بمثل هذه المقدمات في الامور الداخلية فلكي ان يعرّف البندقيين حدهم انحدر الى البحر المتوسط واذ كان الانكشارية قد ولوا عن ساحة القتال كاد يصل الى حالة الياس من جراء الفشل والتقهقر في المقاتلة البحرية ولما كان لا يزال به رمق قوة ثبت ولذلك

اصبح امينًا على الفوز بواسطة كرة مدفع رماها احد المدفعين الماهرين اسمه (قره محمد) انتجت قتل اميرال الاعداء و بعنايته وتدابيره استرد جزيرتي بوزجه ولمني ·

وتبع اتمام هذا القتال في البحر الابيض ان امتثل المشار اليه امام السلطان في ادرنه و بناء على الامر الذي اقتبله منه وجه بعنان همته من هناك الى الشمال

وكان اميرا الفلاخ والبغدان قد انتهزا فرصة مشاغل الدولة الداخلية فاشهرا العصيان واجتازا الطونه واذ كان جنودهما قد تصدوا لقتل كثير من الاهالي العاجزين عين مامورًا لتاديبهما خان القريم وزحف هو بالذات بقوة كافية على برنس اردل الذي اشترك بهذا العصيان

وكان خان القريم لغيرته واقدامه اللذين بذلهما في تاديب الاميرين المذكورين موضوعًا لالتفات السلطان سيما وقد زحف ايضًا على القوزاقيين الذين بواسطة الدسائس لم يفتروا عن الهجوم على الحدود فاحرق مدينة نوفغورود ووطئت قوائم جواده جميع تلك الاماكن حتى اواسط روسيا

واما الصدر الاعظم فافتتح قلاع اردل و بدد شمل الاعداء · ومن بعد ان توفق الى اخماد ثورة اردل على هذه الصورة اسرع في الحال الى تسكين الهيجان الداخلي الذي ظهر في الاناضول

والحاصل انه بواسطة اقدام وامانة هذا الوزير صاحب التدابير الحسنة صار تنكيل الاعداء وتاديب الاشقياء في كل اطراف المملكة واجبر جميع الحكام المجاورين الى طلب الصلح والمسالمة

ومن ثم توفي كوبر يلي بعد ان خدم الدولة على هذه الصورة مدة ست سنين و بموجب وصيته امر من جانب السلطان باحالة مقام الصدارة الى ولده فاضل احمد باشا

وعند تبدل الصدارة نهضت امبراطورية المانيا عاملة على الخصومة

فسار لملاقاتها فاضل احمد باشا الصدر الجديد وهو على جيش عظيم فجاء بلغراد وفي هذه الجهة وقف كوبر بلي زاده تجاه السفراء الذين عينوا لاجل المخابرة بالصلح. ولما كان قد بدئ بوضع شروط ثقيلة نظير شروط الصلح الذي عقد في زمان السلطان احمد الاول وبموجبه اتفق ان يدفع للدولة مئتا الف غرش سنويًا ونظير الصلح الذي ربط في زمن السلطان سليمان القانوني ومآله ان يدفع معين مقداره ٣٠ الف ذهب لم يصر الاتفاق فبوشر القتال. وبواسطة الجسر الذي هيأه الوزير على الطونه اجتاز الى الساحل المقابل وقد اخذت قلاع كثيرة من الاعداء وخربت مدن كثيرة من مدنهم بواسطة فرسان التاتار المجاهدين

وبما انه كان قد قرب فصل الشتاء لم تنته الحرب بنتيجة فانسحب الجيش الهمايوني الى بلغراد لصرف فصل الشتاء. واما العدو فانه قبل انصرام فصل الشتاء نهض للاستيلاء على قلعة (قنيجه) وعليه انحدر القائد العثماني بالجيوش التي معه الى ميدان القتال وتاهب الجيش في صحراء سن غوتار المشهورة تجاه جيش عدده ٤٠ الفًا تحت قيادة مونتوكوكوللي المعروف بالاقتدار العسكري وقد اكتسب القوة والنشاط بالتحاقه بيشمالي فرنسا ومن هناك اخذ بالمرور من مياه راب. وكان فائزًا في مقدمات حربه. وان كان اي مونتوكوكوللي متفننًا بالحرب لم يقدر ان يمنع فاضل باشا عن الاستظهار في كل بلاد المجر. ولما عرف انه لم يعد قادرًا على الثبات وقف عن مداومة القتال. وبناءً عليه عقد الصلح وكان من شروطه التي تقررت اولاً ووافق الامبراطور عليها ان تتقدم هدية من الامبراطور ليوبولد الى الذات الشاهانية بقيمة ٢٠٠ الف غرش وان تخلي قلاع اردل وان يصدق على حق مداخلة الدولة العلية في ترانسلفانيا. (سنة ١٠٧٥)

ومن بعد ان ختمت حملة فاضل باشا بكمال التوفيق عاد الى ادرنه ومن ثم عين مامورًا للحمل على كريت وكان من نتيجة الحرب القائمة على

ساق وقدم منذ ٢٣ سنة ان انتقل الى يد العثمانيين كل اطراف الجزيرة الا انه عند محاصرة كنديا لم يقطع المسيحيون امداداتهم عن البندقيين ومن جملة هذه الامدادات ان ساق لويس الرابع عشر ملك فرنسا ١٥ الف جندي مع اسطول الى الجزيرة غير ان هذه القوة لم تصغ لاوامر قايد القلعة . ولما كانت الهجمات الواقعة على المحصورين انتجت هزيمتهم كلياً وتزلزل فيما بعد ايضاً قدم مقاومة البندقيين انتقلت اخيراً قلعة كنديا الى يد مظفرية القايد العظيم

وعندما انتقلت كنديا الى ايدي العثمانيين من جرى هذه المحاصرة الاخيرة التي استمرت نحواً من سنتين ونصف التزم البندقيون الى التصديق على حق تملك الدولة على الجزيرة (سنة ١٠٨٠)

وفي تلك الايام التجا الى العتبة الشاهانية رئيس قوزاق صاري قامش التابع لبولونيا متشكياً من البولونيين فقبله السلطان محمد الرابع وزحف على بولونيا مستصحباً برفقته فاضل باشا فاستولى على قلعة قمانيچه مقر ايالة بوداليا

وبناء على هذا الظفر عقدت المصالحة على ان تترك ايالة بوداليا للدولة العثمانية وان يقدم سنوياً للركاب الهمايوني ٢٢ الف ذهب . الا ان البولونيين نهضوا ليستفيدوا من انسحاب الموكب الهمايوني واسرعوا الى تجديد القتال تحت قيادة احد رجال الحرب المشهورين واسمه (سوبيه سكي) . وقد امتد القتال الى عدة سنين

وبعد ان تقرر الصلح بختام هذه الحرب قطعياً توفي الصدر الاعظم كوبريلي زاده فاضل احمد باشا وقام على مسند الصدارة في موضعه كوبريلي قره مصطفى باشا الذي كان المرحوم المشار اليه يعتمد عليه كثيراً (سنة ١٠٨٥)

وكان فاضل باشا لما نصب على الصدارة ابن ٢٨ سنة ففي مدة الست

عشرة سنة التي اقامها عليها اصلح امور الدولة في الداخل وفاز بعدة انتصارات في الخارج ولذلك تمكن دور سلطنة آوجي السلطان محمد الرابع من ان يسطع باقبال جديد يقارن دور السلطان سليمان القانوني ٠وكان هذا الوزير المتوفي من اصحاب اليد الطولى بعلم الفلسفة والفقه وقد تزين ايضاً باخلاق حميدة اكسبته بان يقال عنه (المخلص) والحاصل لقد ترك لاسمه الكريم اسطر بعض الصحف في التاريخ العثماني ساطعة اكثر من ابيه

ولما استلم مصطفى باشا زمام الاعمال كان شان وشهرة الدولة مقرونين بالراحة الداخلية على نوع ما ولذلك ساق العساكر على البولونيين ومع انه فاز تجاه الروسيين والبولونيين مستولياً على (چهرين) لكنه لما لم يكن ممتازاً بالسياسة كاسلافه من عائلة كوبريلي المشهورين رضي بالتوقيع على معاهدة عديمة الجدوى ٠و بعد ذلك تقدم اسطول فرنسا من الجزائر فاقتضى طرد وتبعيد قرصانهم المتقدمين الى حد مينا «چشمه»

و بناء على الاعتراض الواقع من المانيا على انتخاب البرنس «آمريغ» المنصوب ملكاً على المجر من طرف السلطنة السنية في سنة ١٠٩٤ الهجرية فتحت الحرب على المانيا ٠ومن الروايات التاريخية ان قره مصطفى باشا الصدر الاعظم الذي عهد اليه بقيادة هذه الحملة اجتاز الطونة بعظمة وافتخار عادل بهما الاكاسرة ملوك الفرس القدماء وهجم على فينا بجيش عظيم عدده ١٥٠ الفاً

واما الامبراطور فانسحب الى مدينة پراغه ٠وفي الواقع اخذت فينا تحت المحاصرة مرة ثانية من العثمانيين الا ان من خطإ الصدر الاعظم تاخير الهجوم قاصداً ان ياخذ عاصمة اوستريا بالاستئمان ٠ولذلك اكتسب « سوبيه سكي » ملك بولونيا الوقت الكافي ففاجأ جيوشنا على غفلة وعليه فاجبرت تلك الجيوش القديمة على ترك الحصار والرجوع الى

الوراء متقهقرة .(سنة ١٦٨٣ ميلادية)

و بناء على هذا التاخير الذي لحق بنا اتفق كلٌّ من المانيا و بولونيا والبندقية فاجتازوا بولونيا الى حد بلاد اليونان واخذوا بالهجوم على الشمال الغربي من حدودنا

وفي هذه الحرب العظيمة التي امتدت مقدار اربع سنين او خمس سنين كان التاخير لاحقاً بنا في جهة بولونيا . وكذلك في جهات بوسنه والمجر و بلاد الارناؤط كان الفشل وعدم النجاح يرافق جيوشنا . فكان الرعايا ينسبون هذه المغلوبية الواقعة علينا لعدم لياقة الوكلاء والبعض نسبوها للخيانات . وقد اصبح كل شخص مأيوساً من ولع السلطان بالصيد والقنص وكان قد ابتلي بهذا الداء منذ الصغر واخذ ينمو بنموه و اكثر من الذهاب والخروج حتى كان يصرف اكثر اوقاته بعيداً عن العاصمة ولم يعد يفكر او يصرف ذهنه في مثل هذه الاوقات الحرجة الى شيء اخر غير الصيد في ادرنه . ولما ترجح ان هذا هو السبب الوحيد لتاخير جيوشنا اضطر التبعة الى ان يدعوا اخاه سليمان الثاني الى الجلوس على التخت العثماني . « سنة ١٠٩٩ »

ومن بعد السلطان سليمان القانوني لم يمتد زمن سلطان ما اكثر من زمن آوجي السلطان محمد الرابع لانه حكم نحواً من ٤١ سنة

وان كان قد حصر اوقاته بالصيد والقنص الذي اعتاد عليه منذ حداثته وشغل به عن مهام الحكومة وتدبير امورها بنفسه لكن في مدة كوبريلي وابن كوبريلي التي هي كناية عن ٣٥ سنة كانت الدولة محفوفة بالاقبال والنجاح . لكن وا اسفاه ان هزيمة الدولة في اخر زمن السلطان الواقعة من عدم تدبير قره مصطفى باشا في محاصرة فينا كانت مقدمة للمصيبة الواقعة التي اخرت كثيراً في دور الانحطاط

وقد عاش السلطان المشار اليه بعد ذلك مقدار ست سنين ومن ثم

انتقل الى الاخرة . وقد دفن في التربة التي دفنت فيها والدته بجوار الجامع الشريف المعروف بالجامع الجديد الذي ابتني في حياته من والدته خديجة المرحومة بالقرب من « باغچه قبوسی »

خلاصة

دعي السلطان محمد الرابع للجلوس على الخلافة وهو في السابعة من العمر . ومع ان في بداية سلطنته كانت امور الدولة قد تحسنت على نوع ما بتدابير جدته ماه بيكر المعروفة باسم « كوسه م والده » الا انه لم تلبث ان اعيدت الفتن والقلاقل ثانية

ومن ثم اعيد الى الحكومة شانها وشرفها القديم في زمن صدارة كوبريلي محمد باشا وزمن صدارة ابنه فاضل باشا اللذين امتدا لاكثر من عشرين سنة . وقد توفق الاخر الى عقد صلح موافق مع المانيا وانهى امر الحمل على كريت بالاستيلاء على كامل الجزيرة بعد ان دام الحمل عليها ٢٥ سنة

وقد سار السلطان محمد ايضاً بالذات على بولونيا واستولى على قلعة « قمانيچه »

ومن بعد وفاة فاضل احمد باشا خلفه قره مصطفى باشا ومع انه اخذ مدينة فينا تحت الحصار مرة ثانية اجبر الى الرجوع من وجه سوء التدبير . ومن بعد ذلك تسلط على جميع حدودنا الشمالية البندقيون والالمانيون والمجريون . وبما انه اخذ في ان يظهر راس التاخر والفشل في كل طرف جلب الى مقام السلطنة اخوه السلطان سليمان الثاني .

وكان المرحوم المشار اليه مولعاً ولعاً زائداً عن الحد بالصيد ولذلك كان يصرف اكثر اوقاته في مدينة ادرنه

وكانت مدة حكومته اطول مدات السلاطين العثمانيين من بعد السلطان سليمان القانوني . ملك ٤١ سنة

دور حكومة السلطان سليمان الثاني

(من سنة ١٠٩٩ الى سنة ١١٠٢)

ولم يكن جماعة الانكشارية ليلبثوا على الهدو والسكينة فقد بدأوا بالهيجان منذ اربع او خمس سنوات في زمن قره مصطفى باشا اي من حين رجوعه عن محاصرة فينا . ولم يقنعوا باعدام كثير من اعاظم الدولة بل كان من نتيجة الامر اخيراً ان دعي الى عرش الخلافة العثمانية السلطان سليمان الثاني اخو اوجي السلطان محمد الرابع .

وكان المشار اليه لما دعي الى السلطنة في السابعة والاربعين صاحب اخلاق رضية متحلياً بالاوصاف الحسنة زاهداً تقياً ولذلك اكتسب على نوع خصوصي احترام العباد واعتبارهم حتى ان زهده بلغ درجة ظهر منها استغناؤه عن الاشتغال بامور الحكومة حينما دعي الى السلطنة

وكانت شقاوة وقلة حياء الانكشارية والسباهية بلغت حد التقدم ولم تكن مآثر السلطان ومحامده موافقة لارائهم بما طلبوه عند تبدل السلطنة من القتل والشنق . وقد تهيأ الجيش في ميدان السلطان احمد وفي آت ميدان بقصد ان يقاوم اعداء الوطن المتمردين والمتجمعين عند التخوم الا انه دار بسلاح شقاوته على اصحاب الناموس العاجزين من سكان العاصمة .

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الاضطراب وعدم الانتظام جار يأفي الاستانة نهض في الاناضول عثمان باشا غير صاغر لاوامر مركز الحكومة

واجتاز الاعداء حدودنا ووقع في ايديهم كل من بلغراد وسمندره وتخربت جهات بوسنه ولحق بها الاضرار الجسيمة بواسطة استيلاء الاعداء عليها

ونظرًا لانكسار الجيش وتمادي الفتن في دار السلطنة طلب عقد الصلح الا ان اوستريا تعللت لدى السفراء الذين جاؤوا فينا زاعمة ان الوقت قد مرّ ولذلك مشت العساكر من الطونة الى البلقان

واخيرًا في السنة الثانية من جلوس السلطان نصب مصطفى باشا من اولاد كوبريلي على مسند الصدارة فاخذ باجراء الاصلاحات اللازمة نظير وضع القوانين الصارمة واخذ الدائرة العسكرية الى حوض الطاعة . وبهمة واقدام المشار اليه بديء بضرب بولونيا بعساكر القريم من الطرف الواحد ومن الطرف الاخر تقدمت الجنود العثمانية الى الطونه وعلى هذه الصورة تاخرت جيوش الالمان والروس والبولونيين من البر وقهر البندقيون بحرًا واصبح جميعهم مجبورين الى طلب الصلح

وبواسطة اهتمام الصدر الاعظم عرفَ الاعداء في الخارج قوة الدولة وكذلك في الداخل أُدب عصاة مصر وقبرص وعاد للدولة الانتظام والنفوذ

وكان في الوقت الذي أُعيد فيه للدولة قوتها وامنها توفي السلطان الكثير الحلم في السنة الثالثة من سلطنته . ودُفن في تربة السلطان سليمان القانوني

خلاصة

حكم السلطان سليمان الثاني ثلاث سنين . وفي جلوسه ضايق السلطنة من كل طرف الالمانيون الذين تسلطوا على الحدود منذ محاصرة فينا الثانية . وفي العاصمة ايضًا فاقت قلة تربية الانكشارية وتمردهم درجة التصوُّر

ونظرًا للنظام المشدد الذي وضعه مصطفى باشا احد احفاد كوبريلي

الذي نصب على الصدارة تحسنت حال القوة العسكرية واخذت الى طريق التربية فتوفق فائزًا على الاعداء . وفي ذلك الحين توفى الله السلطان

دور حكومة السلطان احمد الثاني

(من سنة ١١٠٢ الى ١١٠٦)

و بناء على وقوع وفاة السلطان سليمان الثاني اصابت نوبة الخلافة اخاه السلطان احمد الثاني

و بما ان مدة آوجي السلطان محمد كانت ٤١ سنة كبر اخوته في العمر ولذلك كان السلطان احمد الثاني عند جلوسه على التخت في التاسعة والاربعين او الخمسين تقريبًا .

واما كوبريلي مصطفى باشافانه اثناء وقوع هذا التبدل في السلطنة كان مشغلاً باستدراك الحمل على العدو الذي كان يضايق حدود الطونة فتناول الامر من جانب السلطان الجديد المؤذن ببقائه على الصدارة ومداومته على التهيئات العسكرية

ولما لم تكن الاقتراحات الصلحية التي طلبتها المانيا حرية بالقبول ولما لم تكن الحوادث التي ظهرت في الحجاز ايضاً ذات اهمية بهذا المقدار اعطي القرار بالحرب و بلغ الصدر الاعظم بافراد بالجيش الذي تحته وعدده ١٠٠ الف مقاتل واخذ بمفاجئة الجيوش الالمانية التي كانت مستندة الى قلعة بترووارادين وكانت هذه الحرب من الحروب العظيمة جدًا اهرق فيها كثير من الادمية . وفي مقدمة القتال كان النصر مائلاً لجيوشنا الا ان استشهاد ابن كوبريلي وغيره من الوزراء والامراء المعروفين بالغيرة

والاقدام ترك نتيجة الفوز والظفر للالمانيين . وبناء على ذلك ابتدأ العدو بتجديد التعرضات ببعض اطراف الطونة

وفي السنة التالية سيق الجيش الذي تهيأ من جديد راساً الى الطونه وخلص قلعة بلغراد من الحصار والمضايقة وكذلك فرسان التاتار الذين ارسلوا من القريم وان كانوا قد تغلبوا على عساكر بولونيا والمجر ونهبوا بلاد بولونيا الا ان بعض مشايخ البدو من العرب الساكنين في اطراف البصرة قد بلغ الدرجة التي انتجت اخذ بغداد تحت المحاصرة وقتل واليها وكذلك توسع الشغب وانتشر في جهات الحجاز حتى اتصل بسوريا فكان داعياً كبيرًا لتشويش داخلية الدولة

ومع وجود هذه القلاقل في داخلية البلاد العثمانية فقد نهض السلطان الاعظم مظهرًا اقدامه وقد قدر ان يتوفق الى جمع وسوق جيشين بعث باحدهما على المانيا وبالاخر على البندقيين الا انه لما كان الجيشان المذكوران قد غلبا امام الاعداء اضطر احدهما ان ينسحب الى بلغراد والاخر الى حدود بوسنه وكان قد وقع في يد البندقيين جزيرة سافس من جزائر بحر سفيد

وهكذا امتدت الوقائع المذكورة وطال امد القتال دون الحصول على نتيجة قطعية . واما عصيان الحجاز فكان نطاق دائرته يتسع وفي ذلك الحين اي في السنة الرابعة من دور حكومة السلطان احمد الثاني توفي وقد دفن المرحوم المشار اليه في تربة والدته الكائنة بجوار الجامع الجديد منضماً الى جانب اخيه المغفور له

خلاصة

ولما جلس السلطان احمد الثاني ابقى على الصدارة مصطفى باشا من احفاد كوبريلي . وقد تقدم الصدر الاعظم المذكور بجيش عظيم من

بلغراد ومع انه دخل بحرب دموية مع المانيا الا ان وقوع استشهاده انتج انهزام الجيش

وقد خلص الجيش الذي ارسل في السنة التالية بلغراد من المحاصرة ووطأ فرسان القريم بلاد المجر و بولونيا . وفي اثناء تداركات الجيوش الجديدة المرسلة على الالمانيين والبندقيين توفي السلطان وذلك في السنة الرابعة من حكومته

دور حكومة السلطان مصطفى الثاني

(من سنة ١١٠٦ الى سنة ١١١٥)

ولما توفي السلطان احمد الثاني نهض الصدر الاعظم وبعض كبار الدولة فدعوا الى التخت العثماني السلطان مصطفى الثاني ابن المرحوم السلطان احمد الاول الوارث الشرعي للسلطنة

وكان السلطان المشار اليه حالما بلغه الخبر من طرف بعض اوفيائه الخصيان بوفاة السلطان خرج حالاً من التكنة التي كان موقوفاً فيها منذ سبع سنين وجلس على تخت الخلافة . ونظراً لكونه كان في الثانية والثلاثين متناسب الاعضاء متينها وعلى جبهته سمة البسالة تاق الخلق الى اجلاسه على العرش وعلى الخصوص جماعة الانكشارية فانهم كانوا يوخذون بحبال الشجاعة

و بناء على الخط الهمايوني الذي اصدره السلطان الجديد الى الديوان في ثاني يوم جلوسه يدعي الخلق و يجبرهم لاجراء الوظيفة العمومية اعلن كونه عازماً ان يحمل بذاته على الاعداء اقتفاء لاثار اسلافه الكرام . وفوق ذلك فانه لاجل الاستحضارت الحربية توجه بنفسه الى ادرنه وكان قد امر الاسطول الذي خرج الى البحر المتوسط باسترداد جزيرة ساقس

ومن بعد اتمام الاستحضارات اللازمة اجتاز الطونه بالجيش الموجود وعدده ٥٠ الفاً . ومع ان الحرب التي وقعت في لوغوس مع الالمانيين تحت قيادة الجنرال النمسوي (فتاراني) قد اضاعت كثيرًا من الطرفين الا انه بعناية مصدر الشجاعة ومصدر الحمية تقرر فوزنا على الاعداء وقتل قائدهم الاول . ومن ثم مر السلطان من الفلاخ وعاد الى العاصمة بطريق ادرنه

واثناء اضطرام نار الحرب استرجعت جزيرة ساقس . ورجع ايضاً بطرس الاكبر قيصر روسيا المشهور في تواريخنا القديمة باسم (آق بيق بترو) اي بطرس الابيض الشارب عن قلعة ازاق بعد مضايقتها ومحاصرتها وقد اضاع فيها ٣٠ الف جندي

وفي السنة التالية في فصل الربيع دخل السلطان الظافر بجيش عظيم عدده ١٠٠ الف بلاد المجر ثانية . وقد اخذت العساكر العثمانية عند تقدمها الاماكن التي توضع فيها العساكر تحت المحافظة بواسطة حفر الخنادق . وعلى هذه الصورة اصبحوا بأمن على طريقهم عند الرجوع . وكان جيش العدو قد تصدى لهجوم شديد على الجيش الهمايوني تحت قيادة فردريك اوغست لكنه غلب وتفرق بحالة سيئة ووقع كثير من الاسراء ومن المدافع والاعلام بيد الجيش العثماني

واما السلطان الغازي الذي جدد مفاخر اجداده بهذين النصرين فقد رجع الى العاصمة باحتفال عظيم مبهج

وكان العود الى الاستانة في هذه المرة مبنياً على قصد التمنطق بالسيف على حسب العادة القديمة . وبعد اجراء هذا الرسم في جامع ايوب الانصاري اجتاز الطونه تكرارًا وهو على جيش عدده ١٥٠ الف نفس . وكذلك كان البرنس اوجين من قواد اوستريا المشهورين بالخبرة العسكرية ينتظر معارضة السلطان بالقوة الموجودة معه

ولما كان البرنس قد سحب الي جهة نهر « تايس » لدى وصول الجيش فكذلك العثمانيون ايضاً وضعوا الجند في « زانطه » القريبة من هذا النهر مع ان مقدمة جيشنا التي تحركت الى الامام تبددت وضاعت الى اخر واحد بسبب احاطتها بالعدو واذ كان الماس باشا الصدر الاعظم من بوسنه قد خاف من جزاء التبعيد والاعدام لم يوصل خبر هذه النكبة للسلطان . ولذلك تقدم في اليوم التالي وكان قد انتهى الجسر لاجل ان يقطع عليه نهر تايس

وقد مرّ السلطان مصطفى وقسم من عساكره الى ساحل النهر الاخر . واما الصدر الاعظم فمن حيث انه وقع بخطاء التاخير والبطء وقد قسم الجيش ايضاً لسبب ضيقة الجسر اعترى القوة العثمانية بعض الضعف الناتج عن عدم التدبير . وكان البرنس اوجين يترصد ذلك من نقطة مرتفعة فزحف على الصدر الاعظم بكمال السرعة وفي مدة ثلاث ساعات تاخر وتبدد هذا القسم من الجيش كلياً . واما السلطان الذي اخذ الخبر عن هذه المغلوبية المخيفة وهو في الساحل الاخر وراى الخوف قد انتشر فوق الجيش اضطر الي الرجوع والالتجاء الي قلعة طمشوار ومن هناك عاد بالجند الذي قدر ان يجمعه بعد ذلك الي ادرنه عن طريق بلغراد

ومن الواضح ان جميع الحروب التي وقعت منذ محاصرة فينا الثانية كانت موءلمة النتائج وفي هذه النكبة الفظيعة وقع في يد الاعداء من الخيل والعجلات والمدافع ونحوها ما ليس له عدٌّ ولا حساب

ومن بعد هذه الوقعة جلس على مسند الصدارة حسن باشا ابن عم كوبر يلي . ومثلما كانت التهيئات والاستحضارات الحربية جارية امام الاعداء كانت المخابرات الصلحية آخذة مجراها الفعال . واخيراً اجتمع مرخصو الدول المختلفة في قصبة « كارلوفتشه » . ومن ثم اي في سنة ١١١٠ وقعت المصالحة ومبادلة التوقيع على معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة كارلوفتشه

و بعد ذلك اخذ باطلاق مدافع السرور من قلاع الطرفين اي من بلغراد وارادين وزينتا

وبموجب هذه المعاهدة ترك الى المجر ما عدا قلعة طمشوار ومايجاورها حق الحكم على البلاد الموجودة عند ساحل نهري طونه وصاقا . وترك لروسيا ايضاً قلعة آزاق ٠واصبحت البندقية متصرفة بقلعة «اينه بختي» و بشبه جزيرة المورة والجزائر السبع اليونانية الى نقط مختلفة في دالماسيا واعفي حكام القريم من دفع الجزية « في كانون الثاني سنة ١٦٩٩ ميلادية

القسم الرابع

من معاهدة كارلوفتشه الى جلوس السلطان سليم الثالث

بقية من دور حكومة السلطان مصطفى الثاني

(من سنة ١١١٠ الى سنة ١١١٥)

ومن بعد معاهدة كارلوفتشه بقي السلطان مصطفى الثاني في دست السلطنة نحوًا من اربع او خمس سنين. ومع انه صار تسكين الفتنة في جهات البصرة واجرى بعض اصلاحات داخلية لكن لم يبقَ للذات الشاهانية الهمة والميل كما كان قبلاً نظرًا لليأس والقنوط الذي وقع فيهما وقد نهض الخلق متشكين من معاهدة كارلوفتشه. واخيرًا في زمن صدارة رامي باشا زحف جماعة العسكر المتكدرين من نفوذ فيض الله افندي ومن اعدام طالتابان باشا على ادرنه مسلحين فاشتدت الشدائد وتفاقمت

ونظرًا لما جلبه السلطان السيء الحظ من الفتور الحادث اوانئذ و بناء على هذه الثورة دعي الى العرش السلطاني اخوه احمد الثالث. ومن ثم بعد مرور خمسة اوستة اشهر توفي السلطان متاثرًا من تلك الحوادث

وقد كان المرحوم المشار اليه سلطانًا عظيم الشان ذا لياقة وحكمة ولم يلبث ان ارتقى على تخت الخلافة حتى ارتمى بواسطة شجاعته الفطرية على نهر الطونه حد ممالكنا الطبيعي. وقد حصل على النجاح والفوز اللائق بشان الحكومة العثمانية تجاه الاعداء واستعداده الذاتي قوّى جيوشنا على التغلب على ما لحق بهم من الفشل منذ ١٢ سنة وهذا النجاح لو لم يشب

بمغلوبية زانطه الواقعة من وجه الخطاء الذي ارتكبه الصدر الاعظم محب الجاه لكان من المامول جداً ان يصير الحصول على الفوائد العظيمة بدرجة تعيد شوكة الدولة ورونقها

ولكن من بعد معاهدة كارلوفتشه التي قطعت من جهة الطونه نفوذ الدولة لحق بآمال السلطان وامياله الانحلال

وقد دُفن في تربة والدته خديجه سلطان بالقرب من ضريح والده

خلاصة

لما بلغ السلطان درجة الشجاعة اي لما صار في الثانية والثلاثين من عمره جلس على تخت اجداده العظام . وبواسطة الاوامر المشددة التي اصدرها الى الديوان دعا العموم الى ايفاء الوظيفة الواجبة

ودخل بلاد المجر مرتين وهو في راس الجيش الهمايوني وبحصوله على الظفر تجاه الالمان جدد مفاخر اجداده العظام

ولما كان قد غلب في الحملة الثالثة امام البرنس اوجين من جنرالي اوستريا المشهورين اجبر الى التصديق على معاهدة كارلوفتشه سنة ١١١٠

وهذه المعاهدة نزعت حق السلطة التي كانت للدولة على بلاد المجر (ما عدا قلعة طمشوار) واعطت الاستقلال للقريم وتركت لروسيا قلعة آزاق وملكت البندقيين قسم الموره العظيم

ومن بعد ذلك لم يبقَ للسلطان شوق ولا امل بالحكم فاجبر اخيراً على ترك الحكومة لاخيه السلطان احمد الثالث

وكانت مدة حكومته اطول مدات السلاطين العثمانيين من بعد السلطان سليمان القانوني . ملك ٤١ سنة

دور حكومة السلطان سليمان الثاني

(من سنة ١٠٩٩ الى سنة ١١٠٢)

ولم يكن جماعة الانكشارية ليلبثوا على الهدو والسكينة فقد بداوا بالهيجان منذ اربع او خمس سنوات في زمن قره مصطفى باشا اي من حين رجوعه عن محاصرة فينا . ولم يقنعوا باعدام كثير من اعاظم الدولة بل كان من نتيجة الامر اخيرًا ان دعي الى عرش الخلافة العثمانية السلطان سليمان الثاني اخو آوجي السلطان محمد الرابع

وكان المشار اليه لما دعي الى السلطنة في السابعة والاربعين صاحب اخلاق رضية متحليًا بالاوصاف الحسنة زاهدًا تقيًا ولذلك اكتسب على نوع خصوصي احترام العباد واعتبارهم حتى ان زهده بلغ درجة ظهر منها استغناؤه عن الاشتغال بامور الحكومة حينما دعي الى السلطنة

وكانت شقاوة وقلة حياء الانكشارية والسباهية بلغت حد التقدم ولم تكن مآثر السلطان ومحامده موافقة لارائهم بما طلبوه عند تبدل السلطنة من القتل والشنق . وقد تهيأ الجيش في ميدان السلطان احمد وفي آت ميدان بقصد ان يقاوم اعداء الوطن المتمردين والمتجمعين عند التخوم الا انه دار بسلاح شقاوته على اصحاب الناموس العاجزين من سكان العاصمة .

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الاضطراب وعدم الانتظام جاريًا في الاستانة نهض في الاناضول عثمان باشا غير صاغر لاوامر مركز الحكومة

واجتاز الاعداء حدودنا ووقع في ايديهم كل من بلغراد وسمندره وتخربت جهات بوسنه ولحق بها الاضرار الجسيمة بواسطة استيلاء الاعداء عليها

ونظرًا لانكسار الجيش وتمادي الفتن في دار السلطنة طلب عقد الصلح الا ان اوستريا تعللت لدى السفراء الذين جاؤوا فينا زاعمة ان الوقت قد مرّ ولذلك مشت العساكر من الطونة الى البلقان

واخيرًا في السنة الثانية من جلوس السلطان نصب مصطفى باشا من اولاد كوبريلي على مسند الصدارة فاخذ باجراء الاصلاحات اللازمة نظير وضع القوانين الصارمة واخذ الدائرة العسكرية الى حوض الطاعة . وبهمة واقدام المشار اليه بدىء بضرب بولونيا بعساكر القريم من الطرف الواحد ومن الطرف الاخر تقدمت الجنود العثمانية الى الطونه وعلى هذه الصورة تاخرت جيوش الالمان والروس والبولونيين من البر وقهر البندقيون بحرًا واصبح جميعهم مجبورين الى طلب الصلح

وبواسطة اهتمام الصدر الاعظم عرفَ الاعداء في الخارج قوة الدولة وكذلك في الداخل أُدب عصاة مصر وقبرص وعاد للدولة الانتظام والنفوذ

وكان في الوقت الذي أُعيد فيه للدولة قوتها وامنها توفي السلطان الكثير الحلم في السنة الثالثة من سلطنته . ودُفن في تربة السلطان سليمان القانوني

خلاصة

حكم السلطان سليمان الثاني ثلاث سنين . وفي جلوسه ضايق السلطنة من كل طرف الالمانيون الذين تسلطوا على الحدود منذ محاصرة فينا الثانية . وفي العاصمة ايضًا فاقت قلة تربية الانكشارية وتمردهم درجة التصوّر

ونظرًا للنظام المشدد الذي وضعه مصطفى باشا احد احفاد كوبريلي

الذي نصب على الصدارة تحسنت حال القوة العسكرية واخذت الى طريق التربية فتوفق فائزًا على الاعداء . وفي ذلك الحين توفي الله السلطان

دور حكومة السلطان احمد الثاني

(من سنة ١١٠٢ الى ١١٠٦)

و بناء على وقوع وفاة السلطان سليمان الثاني اصابت نوبة الخلافة اخاه السلطان احمد الثاني

و بما ان مدة آوجي السلطان محمد كانت ٤١ سنة كبر اخوته في العمر ولذلك كان السلطان احمد الثاني عند جلوسه على التخت في التاسعة والاربعين او الخمسين تقريبًا .

واما كوبريلي مصطفى باشا فانه اثناء وقوع هذا التبدل في السلطنة كان مشغلاً باستدراك الحمل على العدو الذي كان يضايق حدود الطونة فتناول الامر من جانب السلطان الجديد المؤذن ببقائه على الصدارة ومداومته على التهيئات العسكرية

ولما لم تكن الاقتراحات الصلحية التي طلبتها المانيا حرية بالقبول ولما لم تكن الحوادث التي ظهرت في الحجاز ايضًا ذات اهمية بهذا المقدار اعطي القرار بالحرب و بلغ الصدر الاعظم بلغراد بالجيش الذي تحته وعدده ١٠٠ الف مقاتل واخذ بمفاجئة الجيوش الالمانية التي كانت مستندة الى قلعة بترووارادين وكانت هذه الحرب من الحروب العظيمة جدًا اهرق فيها كثير من الادمية . وفي مقدمة القتال كان النصر مائلاً لجيوشنا الا ان استشهاد ابن كوبريلي وغيره من الوزراء والامراء المعروفين بالغيرة

والاقدام ترك نتيجة الفوز والظفر للالمانيين . وبناء على ذلك ابتدأ العدو بتجديد التعرضات ببعض اطراف الطونة

وفي السنة التالية سيق الجيش الذي تهيأ من جديد راساً الى الطونه وخلاص قلعة بلغراد من الحصار والمضايقة وكذلك فرسان التاتار الذين ارسلوا من القريم وان كانوا قد تغلبوا على عساكر بولونيا والمجر ونهبوا بلاد بولونيا الا ان بعض مشايخ البدو من العرب الساكنين في اطراف البصرة قد بلغ الدرجة التي انتجت اخذ بغداد تحت المحاصرة وقتل واليها وكذلك توسع الشغب وانتشر في جهات الحجاز حتى اتصل بسوريا فكان داعياً كبيرًا لتشويش داخلية الدولة

ومع وجود هذه القلاقل في داخلية البلاد العثمانية فقد نهض السلطان الاعظم مظهرًا اقدامه وقد قدر ان يتوفق الى جمع وسوق جيشين بعث باحدهما على المانيا وبالاخر على البندقيين الا انه لما كان الجيشان المذكوران قد غلبا امام الاعداء اضطر احدهما ان ينسحب الى بلغراد والاخر الى حدود بوسنه وكان قد وقع في يد البندقيين جزيرة ساقس من جزائر بحر سفيد

وهكذا امتدت الوقائع المذكورة وطال امد القتال دون الحصول على نتيجة قطعية . واما عصيان الحجاز فكان نطاق دائرته يتسع وفي ذلك الحين اي في السنة الرابعة من دور حكومة السلطان احمد الثاني توفي

وقد دفن المرحوم المشار اليه في تربة والدته الكائنة بجوار الجامع الجديد منضماً الى جانب اخيه المغفور له

خلاصة

ولما جلس السلطان احمد الثاني ابقى على الصدارة مصطفى باشا من احفاد كوبريلي . وقد تقدم الصدر الاعظم المذكور بجيش عظيم من

بلغراد ومع انه دخل بحرب دموية مع المانيا الا ان وقوع استشهاده انتج انهزام الجيش

وقد خلص الجيش الذي ارسل في السنة التالية بلغراد من المحاصرة ووطأ فرسان القريم بلاد المجر و بولونيا . وفي اثناء تداركات الجيوش الجديدة المرسلة على الالمانيين والبندقيين توفي السلطان وذلك في السنة الرابعة من حكومته

دور حكومة السلطان مصطفى الثاني

(من سنة ١١٠٦ الى سنة ١١١٥)

ولما توفي السلطان احمد الثاني نهض الصدر الاعظم و بعض كبار الدولة فدعوا الى التخت العثماني السلطان مصطفى الثاني ابن المرحوم السلطان احمد الاول الوارث الشرعي للسلطنة

وكان السلطان المشار اليه حالما بلغه الخبر من طرف بعض اوفيائه الخصيان بوفاة السلطان خرج حالاً من التكنة التي كان موقوفاً فيها منذ سبع سنين وجلس على تخت الخلافة . ونظراً لكونه كان في الثانية والثلاثين متناسب الاعضاء متينها وعلى جبهته سمة البسالة تاق الخلق الى اجلاسه على العرش وعلى الخصوص جماعة الانكشارية فانهم كانوا يوخذون بحبال الشجاعة

و بناء على الخط الهمايوني الذي اصدره السلطان الجديد الى الديوان في ثاني يوم جلوسه يدعي الخلق و يجبرهم لاجراء الوظيفة العمومية اعلن كونه عازماً ان يحمل بذاته على الاعداء اقتفاء لآثار اسلافه الكرام .

وفوق ذلك فانه لاجل الاستحضارات الحربية توجه بنفسه الى ادرنه وكان قد امر الاسطول الذي خرج الى البحر المتوسط باسترداد جزيرة ساقس

ومن بعد اتمام الاستحضارات اللازمة اجتاز الطونه بالجيش الموجود وعدده ٥٠ الفاً . ومع ان الحرب التي وقعت في لوغوس مع الالمانيين تحت قيادة الجنرال النمسوي (فنارانى) قد اضاعت كثيرًا من الطرفين الا انه بعناية مصدر الشجاعة ومصدر الحمية تقرر فوزنا على الاعداء وقتل قائدهم الاول . ومن ثم مر السلطان من الفلاخ وعاد الى العاصمة بطريق ادرنه

واثناء اضطرام نار الحرب استرجعت جزيرة ساقس . ورجع ايضاً بطرس الاكبر قيصر روسيا المشهور في تواريخنا القديمة باسم (آق بيق بترو) اي بطرس الابيض الشارب عن قلعة ازاق بعد مضايقتها ومحاصرتها وقد اضاع فيها ٣٠ الف جندي

وفي السنة التالية في فصل الربيع دخل السلطان الظافر بجيش عظيم عدده ١٠٠ الف بلاد المجر ثانية . وقد اخذت العساكر العثمانية عند تقدمها الاماكن التي توضع فيها العساكر تحت المحافظة بواسطة حفر الخنادق . وعلى هذه الصورة اصبحوا بأمن على طريقهم عند الرجوع . وكان جيش العدو قد تصدى لهجوم شديد على الجيش الهمايوني تحت قيادة فردريك اوغست لكنه غلب وتفرق بحالة سيئة ووقع كثير من الاسراء ومن المدافع والاعلام بيد الجيش العثماني .

واما السلطان الغازي الذي جدد مفاخر اجداده بهذين النصرين فقد رجع الى العاصمة باحتفال عظيم مبهج

وكان العود الى الاستانة في هذه المرة مبنياً على قصد التمنطق بالسيف على حسب العادة القديمة . وبعد اجراء هذا الرسم في جامع ايوب الانصاري اجتاز الطونه تكرارًا وهو على جيش عدده ١٥٠ الف نفس . وكذلك كان البرنس اوجين من قواد اوستريا المشهورين بالخبرة العسكرية ينتظر معارضة السلطان بالقوة الموجودة معه

ولما كان البرنس قد سحب الي جهة نهر « تايس » لدى وصول الجيش فكذلك العثمانيون ايضاً وضعوا الجند في « زانطه » القريبة من هذا النهر مع ان مقدمة جيشنا التي تحركت الى الامام تبددت وضاعت الى اخر واحد بسبب احاطتها بالعدو واذ كان الماس باشا الصدر الاعظم من بوسنه قد خاف من جزاء التبعيد والاعدام لم يوصل خبر هذه النكبة للسلطان . ولذلك تقدم في اليوم التالي وكان قد انتهى الجسر لاجل ان يقطع عليه نهر تايس

وقد مرّ السلطان مصطفى وقسم من عساكره الى ساحل النهر الاخر. واما الصدر الاعظم فمن حيث انه وقع بخطاء التاخير والبطء وقد قسم الجيش ايضاً لسبب ضيقة الجسر اعترى القوة العثمانية بعض الضعف الناتج عن عدم التدبير. وكان البرنس اوجين يترصد ذلك من نقطة مرتفعة فزحف على الصدر الاعظم بكمال السرعة وفي مدة ثلاث ساعات تاخر وتبدد هذا القسم من الجيش كلياً . واما السلطان الذي اخذ الخبر عن هذه المغلوبية المخيفة وهو في الساحل الاخر وراى الخوف قد انتشر فوق الجيش اضطر الي الرجوع والالتجاء الي قلعة طمشوار ومن هناك عاد بالجند الذي قدر ان يجمعه بعد ذلك الي ادرنه عن طريق بلغراد

ومن الواضح ان جميع الحروب التي وقعت منذ محاصرة فينا الثانية كانت موءلمة النتائج وفي هذه النكبة الفظيعة وقع في يد الاعداء من الخيل والعجلات والمدافع ونحوها ما ليس له عدٌّ ولا حساب

ومن بعد هذه الوقعة جلس على مسند الصدارة حسن باشا ابن عم كوبر يلي . ومثلما كانت التهيئات والاستحضارات الحربية جارية امام الاعداء كانت المخابرات الصلحية آخذة مجراها الفعال. واخيراً اجتمع مرخصو الدول المختلفة في قصبة « كارلوفتشه» . ومن ثم اي في سنة ١١١٠ وقعت المصالحة ومبادلة التوقيع على معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة كارلوفتشه

و بعد ذلك اخذ باطلاق مدافع السرور من قلاع الطرفين اي من بلغراد واراد ين وز ينتا

وبموجب هذه المعاهدة ترك الى المجر ما عدا قلعة طمشوار ومايجاورها حق الحكم على البلاد الموجودة عند ساحل نهري طونه وصاقا . وترك لروسيا ايضاً قلعة آزاق .واصبحت البندقية متصرفة بقلعة «اينه بختي» و بشبه حز يرة المورة والجزائر السبع اليونانية الى نقط مختلفة في دالماسيا واعفي حكام القريم من دفع الجزية « في كانون الثاني سنة ١٦٩٩ ميلادية

القسم الرابع

من معاهدة كارلوفتشه الى جلوس السلطان سليم الثالث

بقية من دور حكومة السلطان مصطفى الثاني

(من سنة ١١١٠ الى سنة ١١١٥)

ومن بعد معاهدة كارلوفتشه بقي السلطان مصطفى الثاني في دست السلطنة نحوًا من اربع او خمس سنين. ومع انه صار تسكين الفتنة في جهات البصرة واجرى بعض اصلاحات داخلية لكن لم يبقَ للذات الشاهانية الهمة والميل كما كان قبلاً نظرًا لليأس والقنوط الذي وقع فيهما وقد نهض الخلق متشكين من معاهدة كارلوفتشه. واخيرًا في زمن صدارة رامي باشا زحف جماعة العسكر المتكدرين من نفوذ فيض الله افندي ومن اعدام طالتابان باشا على ادرنه مسلحين فاشتدت الشدائد وتفاقمت

ونظرًا لما جلبه السلطان السيء الحظ من الفتور الحادث اوانئذ و بناءً على هذه الثورة دعي الى العرش السلطاني اخوه احمد الثالث. ومن ثم بعد مرور خمسة اوستة اشهر توفي السلطان متاثرًا من تلك الحوادث

وقد كان المرحوم المشار اليه سلطانًا عظيم الشان ذا لياقة وحكمة ولم يلبث ان ارتقى على تخت الخلافة حتى ارتمى بواسطة شجاعته الفطرية على نهر الطونه حد ممالكنا الطبيعي. وقد حصل على النجاح والفوز اللائق بشان الحكومة العثمانية تجاه الاعداء واستعداده الذاتي قوّى جيوشنا على التغلب على ما لحق بهم من الفشل منذ ١٢ سنة وهذا النجاح لو لم يشب

بمغلوبية زانطه الواقعة من وجه الخطاء الذي ارتكبه الصدر الاعظم محب الجاه لكان من المامول جداً ان يصير الحصول على الفوائد العظيمة بدرجة تعيد شوكة الدولة ورونقها

ولكن من بعد معاهدة كارلوفتشه التي قطعت من جهة الطونه نفوذ الدولة لحق بآمال السلطان واماله الانحلال

وقد دُفن في تربة والدته خديجه سلطان بالقرب من ضريح والده

خلاصة

لما بلغ السلطان درجة الشجاعة اي لما صار في الثانية والثلاثين من عمره جلس على تخت اجداده العظام . وبواسطة الاوامر المشددة التي اصدرها الى الديوان دعا العموم الى ايفاء الوظيفة الواجبة

ودخل بلاد المجر مرتين وهو في راس الجيش الهمايوني وبحصوله على الظفر تجاه الالمان جدد مفاخر اجداده العظام

ولما كان قد غلب في الحملة الثالثة امام البرنس اوجين من جنرالي اوستريا المشهورين اجبر الى التصديق على معاهدة كارلوفتشه سنة ١١١٠

وهذه المعاهدة نزعت حق السلطة التي كانت للدولة على بلاد المجر (ما عدا قلعة طمشوار) واعطت الاستقلال للقريم وتركت لروسيا قلعة آزاق وملكت البندقيين قسم الموره العظيم

ومن بعد ذلك لم يبق للسلطان شوق ولا امل بالحكم فاجبر اخيراً على ترك الحكومة لاخيه السلطان احمد الثالث

٠ دور حكومة السلطان احمد الثالث

(من سنة ١١١٥ الى سنة ١١٤٣)

وبناء على رفع يد السلطان مصطفى عن امور الحكومة اصابت نوبة الحكم اخاه السلطان احمد الثالث وقد اعلنت سلطنته وهو في ادرنه وجاء السلطان بجم غفير الى الاستانة ٠ ولما كان قائماً مع اخيه فيها اذ ذاك عمل بنصائحه الواقعة فاهلك الرؤساء اصحاب الانقلاب واحداً واحداً

وبعد ان استقر في مقام الحكومة على هذه الصورة عطف بنظره ووجه باهتمامه الى الخسائر والضائعات التي لحقت بالدولة من وجه الحروب المتمادية منذ سنين كثيرة

ولما كانت قد صينت الدولة من المشاغل الحربية منذ صلح كارلوفتشه توجهت الاميال والرغائب العمومية الى الراحة والصفاء

وكانت هذه الراحة والمسرات التي دامت فيما بين الرعية الى السنة التالية من الجلوس الهمايوني سبباً لظهور مقدمات الاستيلاء الروسي لان روسيا كانت تستعد وتحدر مياه قوتها من صحراء بوزلي الشمالية الى البحر الاسود والى ضفاف الطونه

وكانت روسيا الى حين زمن بطرس الاكبر المشهور غير حاصلة على الاهمية السياسية ولا كان لها في صفحات الانسانية والتمدن ذكر بل كان الروسيون امة بدوية تقريباً ٠ ولذلك كانت همم القيصر المذكور الممدوحة التي صرفت الى الانقلاب العظيم والى ادخالها في سلك المدنية معدودة طليعة الاستيلاء المذكور

وكان بطرس الاكبر قد صير مقر حكومته في موسكو وهو من امراء

عائلة رومانوف الذين حكموا قبل العائلة الامبراطورية الموجودة الان في روسيا وكانت ادارة الحكومة الى حين بلوغه سن الرشد في يد اخته صوفيا بطريق الوصاية واخيرًا بعد ان تسنى له القبض على ازمة الادارة اوصل المملكة معتمدًا على زكائه الممتاز المفطور عليه الي درجة التمدن والترقي. الا ان الهيئة العسكرية التي كانت اوانئذٍ في روسيا وهي قديمة العهد فيها تحت اسم « اوستر ليتش » وقد تشبه تمامًا الانكشارية في مملكتنا» غير طائعة وقد قامت بمضار كثيرة فلذلك سارت آمال بطرس الى الترقيات والتجديدات دفعًا لهذا المانع العظيم وحسب ان طليعة الترقي كانت عند انقراض الاوستر ليتش

وكان بطرس قد سافر الى اوربا قصد السياحة وتحصيل بعض المنافع وفي زمن وجوده هناك اخبر بان جماعة الاوستر ليتش قد نهضوا بتحريضات اخته صوفيا واحدثوا بعض قلاقل وفتنًا مكدرة فاسرع الى موسكو بما امكن من السرعة وتوفق الى محو هذه الهيئة الغير طائعة بما انشاه من العساكر المنظمة الي ذاك الحين

و بناء على هذا التوفيق الذي حصل عليه بطرس وجه بسلاح طالعه الى الجهة الشمالية وقد خرج الى ملاقاته كارلوس الثاني عشر ملك اسوج وهو من اشجع قواد زمانه وقد يدعوه التاريخ العثماني (تيمور باش) وكان قد تغلب اولاً على القيصر بقوة قليلة

واما بطرس فانه لم يعجز ولا كف يده عن اجراء التشبث بالهجوم لسبب هذا التقهقر بل بالعكس شمر عن ساعد العزيمة لاقتحام كل انواع الموانع ولما كان من اعظم الرجال المعروفين بالهمم والنشاط لم يلحق بهمته قط فتور البتة وكان من الطرف الواحد يصرف مساعيه الى الترقيات الداخلية ومن الطرف الاخر الى تعليم العساكر الجديدة المنظمة وتكثيرها وقد توفق في تلك الاثناء الى تاسيس وانشاء المدينة المسماة باسمه « سان

بطرسبرج » عند نهر نافا بالقرب من ساحل البلطيك وهي اليوم عاصمة المملكة الروسية

واخيراً كما انه قام بطلائع الاستيلاء على فنلاند مستفيداً بمشاغل كارلوس الثاني عشر الحربية في جهات سكسونيا و بولونيا فكذلك احرز النصر عليه امام اوكرانيا نازلاً ايضاً الى الجنوب

و بناء على هذا الانحطاط التجأ تيمور باش الى الممالك العثمانية فجاء قلعة بندر واخذ في ان يشوق الدولة الى محاربة روسيا بالوسائط التي تدر ان يبديها في العاصمة ومع هذه التشويقات كان قد لجأ للدولة العلية ايضاً خان القريم الذي خاف السطوة الروسية وراى السلطان ان سفن روسيا تتقوى في بحر ازوف فعمد الى كبح مطامعها فاشهر الحرب على روسيا في سنة ١١٢٣

وعليه تقدم الجيش العثماني وعدده ١٠٠ الف مقاتل تحت قيادة الصدر الاعظم بلطجي محمد باشا من الطونه واجتاز نهر البروث واخذ القيصر الذي كان ينتظر ملاقاته تحت المضايقة بحركة فنية. ومع ان بطرس لم يكن ممن يحني راسه امام المشاكل مطلقاً الاان في هذه المرة نظراً للمضايقة التي وقع فيها امام الجيش العثماني قطع الامل من الخلاص. ومن ثم بتدبير زوجته كاترينا الاولى التي كانت تصحبه في هذه الحرب تخلص حينئذٍ من اليأس الواقع فيه وقد جمعت كاترينا المبالغ التي قدرت ان تجمعها وتحصل عليها من افراد الجيش وقدمتها مع هدية فاخرة للصدر الاعظم وقد عقد الصلح مع القيصر على الشروط التي طلبها الصدر المذكور

واخص هذه الشروط ان ترد قلعة آزاق المتروكة الى روسيا بمعاهدة كارلوفتشه الى الدولة العلية وان يرجع كارلوس الثاني عشر الى وطنه عن طريق بولونيا بدون ممانعة. « سنة ١٧١١ » ميلادية

ومع ان الصدر الاعظم عاد الى الاستانة مفتخراً بهذا النجاح الذي

حصل عليه دون ان يجرد السيف من غمده نسب اليه انه ساعد العدو الى الرجوع بحرية مرتشياً منه بينما كان مأمولاً على الاكثر ان يقبض على قيصر روسيا وتظاهر القوم بعدم الممنونية منه . ولما كثر القيل والقال نظرت الذات الشاهانية لزوماً لنفيه وتبعيده الى جزيرة لمنى

ومن بعد هذه الوقوعات اجتهد بتسكين الفتن الداخلية التي ظهرت في جهات مصر وسوريا . وفي تلك الاثناء طارد قرصان البندقيين احدى سفننا واستولوا عليها فاعلن السلطان احمد الثالث الحرب على البندقية وحمل بالذات على الموره وتحته الجيش الهمايوني وبسبب نجاحه بفتح قلعة الموره التي لم يمكن الاستيلاء عليها منذ زمن الكوبريليين دخل الى شبه الجزيرة مارًا بالجيش وعدده ٦٠ الفًا من برزخ كورنيت

واما اليونان الذين لا يزالون متضجرين منذ سنين كثيرة من استيلاء البندقيين فكانوا عند القيام بالحروب يساعدون حركات السلاطين وعليه صار الاستيلاء على ناوارين وقورفو واخيرًا اجبر البندقيون على ترك بعض النقط التي كانوا لا يزالون محافظين عليها في كريت منذ حرب آوجي السلطان محمد وعلى الانسحاب الى الادرياتيك

و بناء على هذا التوفيق الذي احرزه السلطان الغازي عاد الى دار السلطنة محفوفًا بكمال الاقبال . مع ان البرنس اوجين طلب الى الدولة العلية ترك المحلات التي استولي عليها في الموره زاعما ان ذلك مما ينافي احكام معاهدة كارلوفتشه . وعلى هذه الكيفية فتحت الحرب اخيرًا على الامبراطورية الالمانية

وفي ربيع سنة ١١٢٩ سار الموكب الهمايوني الى ادرنه ومن هناك سيق الى بلغراد كامل الجيش العثماني المسلم لقيادة علي باشا الصدر الاعظم الذي تضاعف ركون السلطان اليه واعتماده عليه نظرًا لما راه من شجاعته في حملة الموره

وكان الجيش المذكور مركباً من سبعين الف جندي و٢٥ فرقة من الفرسان ومن بعد ان اجتاز الطونه التقى بجيش اوجين امام (بتروارادين) وكانت الحرب قد تهيأت من الطرفين بشدة وحمي وطيسها وزاد اضطرام نيرانها واخيراً ارتمي الصدر الاعظم الى ميدان القتال والسيف في يده فوقع شهيداً في وسط المعمعة . ولما راى الانكشارية انهم قد فقدوا رئيسهم تقهقروا الى الوراء خائفين مذعورين ورجعوا الى بلغراد بعد ان تركوا ميدان الحرب للعدو المتغلب مملوءاً من جثث الشهداء ومن الاعلام والاسلحة الكثيرة

وفي السنة التالية تهيأ جيشان بالمهمات اللازمة فسار جيش تحت قيادة ابرهيم باشا الصدر الاعظم الى بلغراد وسيق الثاني ايضاً الى جهات بوسنه . ومن المكدر ان الجيش المضطرب من الفشل السابق لم يقدر في هذه المرة ان ياتي بعمل امام جند العدو المنظم ومن حيث انه اجبر على الرجوع مغلوباً وقع في يد اوجين الغالب قلعة بلغراد التي فتحت في اوائل سلطنة السلطان سليمان القانوني واخذ قدم العدو يطأ اراضي تلك الاطراف كودين ونيش . (سنة ١١٣٠)

وبناء على الفشلين السابقين شعر بالاجبار الى طلب الصلح فعقد الوفاق بين المتحاربين وتركت قلعة (طمشوار) الى اوستريا وهي اخر قلعة بقيت في بلاد المجر في عهدة الدولة وكذلك قلعة بلغراد

وبعد هذه المصالحة المذكورة سار السفير الذي ارسل مع الهدايا الثمينة العظيمة المقدار الى فينا في موكب جسيم مركب من بعض مئات من الفرسان وباحتفال عظيم محفوف بالافتخار على صورة لم يسبق ان وقع مثلها الى ذاك الزمان في التاريخ العثماني . وقوبلت ايضاً هيئة السفارة في عاصمة اوستريا بتعظيم وتبجيل يليق بشان السلطان العثماني وصارت المقابلة بالهدايا اللازمة من طرف الامبراطور ايضاً وبذلك

وقعت المصافاة

ومن جرى تاييد السلام وتبادل هذه المعاملات المسرة دخل من جديد دور الراحة الذي كان قبل واقعة البروث الى العاصمة وتليت آيات المسرات والصفاء على العالم واجري زفاف السيدات المعصومات بنات السلطان الى كل من ابراهيم باشا الصدر الاعظم ونعمان باشا من احفاد كوبريلي وغيرهما من الاكابر

وكان دور الصفاء هذا بالنسبة لزمان الانحطاط كحبات الذهب في سنابل البصل وقد دارت به الافراح في قصور ايجي بوغاز وفي طرق قره اغاج وكاغدخانه وبمجرد الترتيب الذي اجري من السلطان ومن الصدر الاعظم ومن اولاد السلطان وغيرهم من الخواص والاعاظم جعل اصوات الصفاء الجميلة ورنات آلات الطرب تخترق الزرقاء حتى فرض ان صهوات خيول السلاطين والوزراء وافراد الاعيان وغيرهم منذار بعة اعصر اصبحت هوادج سرور وافراح والشوكة والشهامة المبذولتين في ميادين القتال مرتعاً للراحة والسكينة في حدائق القصور وذلك اعلن ان العالم التعب بالحروب الكثيرة والفتن يميل الى السكون والراحة

وقد صادف ان في ذلك الزمان اخترعت الطباعة المعدودة في الدرجة الاولى بين الوسائط التي ابدت ووسعت المدنية الغربية الحالية ومنذ ذلك الحين اخذت الملل الغربية بالتقدم والتجديد والترقي على قدم ثابت

وان كان قد وضع احد المجربين المهتدي تحت اسم «ابرهيم متفرقة» دلالة الانتفاع بتحصيل هذا الفن في مملكتنا لتحصل على نصيبها من خوارق الطالع الا ان الاذهان المتمايلة بنشوة خمار الصفا لم تقدر ان تقدر حق هذا النفع اللائق الذي اصبح مسلطاً على الاقتدار بتقلب امور العالم فبقيت سنين كثيرة داخلة في ظلام الجهل والابتعاد عن الترقي حال كون الامة حائزة على اعظم استعداد لسبق غيرها في هذا المضمار واخيرا من بعد عدة

تجربات مؤلمة اجبرت الى الالتصاق بترقي مدينة الغرب لاجل الوصول الى الفلاح والتملص من عثرات الجهل

وفي الايام المصادفة لدور سلطنة السلطان احمد الثالث قتل في ايران حسين شاه من افراد عائلة صفوي من الافغانيين ووقعت ايران بالفتن الداخلية فاستفاد بطرس الاكبر قيصر روسيا من تلك الفتن ونهض للاستيلاء على جميع داغستان نازلاً الى بحر الخزر

ولما كان قد نظر اخيرًا ان تجاوز الروس يضر بالدولة العثمانية زحف الجيش المهيأ على شيروان وكان اهاليها على المذهب السني ودخل الى كردستان اي بلاد الترك ومع ان هذه الحركة العسكرية انتجت افتتاح الحرب الثانية بين روسيا والدولة العثمانية لكن اعيد الصلح بتوسط فرنسا بناء ان يبقى لروسيا ساحل بحر الخزر حتى كرتشاين وان يبقى لنا العراق العجمي وكرجستان ولورستان . (سنة ١١٣٧)

ولما لم يكن الاعجام راضين عن هذا الائتلاف والتقسيم حملوا السلاح واشعلوا نار الحرب من جديد . وحينئذٍ راجع الشاه طهماسب من عائلة صفوي الباب العالي وهو قائم تجاه اشرف خان الافغاني الذي برز الى ميدان الخصومة قاتلاً عمه . وفيما كانت المذاكرات جارية بشان التصديق على حق التولي على تخت ايران ببعض شروط برز اشرف متغلبًا على الجيش وتصدى للتخت الكسروي

مع ان الشاه طهماسب الوارث الحقيقي لعائلة صفوي خرج الى ميدان المخاصمة مستندًا الى شجاع اسمه (نادر قولي) من اوشار وقد جلب اليه العشائر الصادقة من افغانستان و بذلك تغيرت هيئة المسئلة عند الوصول الى نتيجة هذه الحرب فالتجأ اشرف الى لورستان وتوفي فيها . واما الشاه طهماسب فقد دخل اصفهان عاصمة العجم حينئذٍ محفوفًا بكمال التوفيق

و بعد ان استرد الشاه طهماسب حكومته نهض الى مطالبة الدولة

العلية باعادة الاقاليم التي تركت لها من اطراف اشرف خان. وفيما كانت المخابرات جارية في الاستانة ارتمى نادر قولي بالسرعة والقوة على الحدود واخذ في ان يسترد الايالات طرفاً فطرفاً

وهذه الحال اوجبت اضطراباً عظيماً في الاستانة وقد ثار الشقي «باطرونه خليل» جامعاً اليه جماعة من الانكشارية وغيرهم. ولما اتسع الخرق التزم السلطان بان يرضيهم باعدام صهره الصدر الاعظم ابرهيم باشا الذي كان محط اعتماده و باعدام قبودان باشا

ولما لم تكن هذه الضحية العظيمة كافية لتسكين. الثائرين اوجب ذلك قنوط السلطان احمد الثالث وانقطاع امله فترك زمام الحكومة في السنة العشرين من جلوسه الى السلطان محمود الاول الذي دعي الى السلطنة

و بعد ان اعتزل المشار اليه باختياره عاش نحواً من ست سنوات صرفها بكمال العافية والراحة

وفي عهد سلطنته مع وجود العالم ضمن دوائر الصفاء والمسرات كان يهتم بتعمير البلاد وترقية الصنائع ما امكن

وقد انشأ في زمانه بناء قيزقلة الموجود اليوم في فسحات «سراي برون» وكانت قبلاً من خشب

ودفن في تربة والده سلطان في باب الجنينة

خلاصة

كان زمان السلطان احمد الثالث مصادفاً لزمان القيصر بطرس الاكبر وعند التجاء كارلوس الثاني عشر ملك اسوج الى العاصمة العثمانية مغلوباً فتحت الحرب للمرة الاولى على روسيا (سنة ١١٢٣)

وقد حمل السلطان احمد الثالث على الموره التي تركت للبندقيين

بمعاهدة كارلوفتشه . وان كان قد فتح واسترد القطيعة المذكورة الا ان هذه الواقعة انتجت الحرب مع المانيا والتقهقر امامها

وفي اواخر سلطنته ظهرت حرب ايران ومن حيث ان هذه الحرب اوجبت الاضطراب في العاصمة دعي الى مقام السلطنة ابن اخيه السلطان محمود الاول

وفي دور المشار اليه دخل فن الطباعة الى الممالك العثمانية لكن لم تستفد منه الا ابعد مرور عصر من ذلك التاريخ

دور سلطنة السلطان محمود الاول

(من سنة ١١٤٣ الى سنة ١١٦٨)

وفي اثناء مداركة الحمل على ايران حدث قيام الانكشارية . ولما لم يمكن تسكين الفتنة بتضحية الصدر الاعظم وقبودان باشا ابتعد اخيراً السلطان احمد الثالث عن الاشغال وجلس في موضعه على التخت العثماني السلطان محمود الاول

واما (باطرونه خليل) المشوق الى القيام بخيانة رفيقين اخرين فقد برز الى الوسط ودفعته الجراءة الى المداخلات بامور الدولة زيادة عن حده واقتداره واخذ في ان يدخل و يخرج الى مجالس الاعاظم والاعيان مسلحاً

فهذه الجراءة الخالية من الحياء كدرت هيئة الدولة ومن حيث اغضب ايضاً جماعة الانكشارية قتل هذا الجاهل المتمرد في ارض الديوان وتبع ذلك ان نظر جثث كثيرة من العصاة عائمة على وجه البحر و بذلك اعيدت الراحة العمومية الى العاصمة

وفي اثناء فتن العاصمة كانت الحروب في حدود الشرق متواصلة . وفي ايران كان نادر قولي خان قد استاسر في ولية الشاه طهماسب قهرًا مع جميع اولاده وانسبائه وحالاً اعلن ملكية الشاه عباس الثالث وهو غلام وتسلط على تخت ايران بطريق الوصاية

و بعد ان اعيدت الراحة العمومية الى الاستانة عين طوبال عثمان باشا اي عثمان باشا الاعرج ونظرًا الى مسيره راسًا الى حدود ايران بجيش عظيم خرج نادر شاه الى ملاقاته في جوار بغداد وفي اول حرب وقعت استظهر بها الصدر الاعظم واجبر نادر شاه الى التقهقر الا انه لما كانت هذه المغلوبية عبارة عن مثالة درس له سحب العساكر ودخل ميدان المحاربة جديدًا في جهات الموصل ووقف تجاه الصدر الاعظم المقتدر الذي كان يقتحم القتال بنفسه . وفي هذه الحرب الثانية استظهر نادر شاه على الجيش العثماني لدى وقوع استشهاد الصدر الاعظم

ومن ثم رجع نادر شاه الى قتال الجيش الهمايوني تكرارًا عندما جلب اليه راس الصدر الاعظم الشهيد مقطوعًا وعلى هذه الصورة وان كان قد احترم وقدّر بعين النظر لياقة وشجاعة خصمه فكذلك اراد الحصول على الفائدة الاهم من ذلك وهو ان الجيش الذي راى راس الصدر الاعظم لحق به الخوف والرعب فكان ذلك سببًا لتقهقره

ولما تقوى بهذا الفوز ادار بوجه عزيمته على كرجستان وفي تلك النواحي كان الجيش العثماني قد تغلب على الاعجام في كل طرف الا ان شجاعة ومهارة نادر كانت تفوق ايضًا في هذه الجهة عنف وقوات الانكشارية فاخذ في ان يفوز في اكثر الوقايع واخيرًا دخل بالاتفاق مع روسيا مضحيًا بعض مدن . وعليه فقد قرر بموجب معاهدت عقدت في سنة ١١٤٩ هجرية ان تكون حدود الطرفين الحدود التي كانت في زمان المرحوم السلطان مراد الرابع

و بعد ان عقد نادر قولي هذه المعاهدة راجع وهو في جيش الايرانيين المفتونين بشجاعته والمجذوبين بلياقته الى اخذ الحكومة تحت ادارته وحمايته فاجابوه . وعند عودته اعلن بالاصالة ملكيته على ايران و بامرار الملكية الى يد تغلبه تهيأ لمقارنة جنكيز وتيمور فسافر على الهند التي اصبحت عرضة لمهاجمة الفاتحين منذ زمن اسكندر المكدوني وفي تلك الحملة احرق مدينة دلهي متغلباً على السلطان محمد حاكم الهند . وعند عودته جلب معه ميئات الوف من الاسراء ودخل الى اصفهان باحتفال عظيم جداً كاكاسرة ايران القدماء

وان كان الشاه المشار اليه قد دام على الاتصاليات الحربية مدة عشر سنين مع الجيش العثماني ما بين غالب ومغلوب لكنه لم يقدر ان يحصل على نتيجة منها واخيراً أُجبر الى الاعتراف بشروط المعاهدة التي عقدت اولاً

ولما لم يكن نادر قد قنع بما سفك من الدماء اقبل على قلع عيني الغلام واخر الامر تفرغ عن هذه الدنيا بخنجر احد المقربين منه غدراً . « سنة ١١٦٩ »

وهكذا في الزمان الذي فيه كانت الدولة متعبة من محاربات ايران المتواصلة في الشرق ظهرت طلائع الهجمات الروسية . وكانت روسيا التي وضعت المحافظة على بحر الخزر مستفيدة من الاتحاد مع الباب العالي على ايران ومن ثم من التزام الشاه نادر نهضت الى التشبث بوضع محافظة اخرى على سواحل البحر الاسود

وكانت البرنسس حنه التي جلست على تخت روسيا قد اقنعت وحركت اوستريا الى تقسيم دولة بولونيا المنحطة حينئذٍ فاجتاز جيش حدود البلاد المذكورة واهتم بتعطيل وكسر قوة البولونيين وتضييع مقاومتهم وكانوا قد حملوا السلاح للمدافعة عن الوطن

واما الباب العالي المتكفل باستقلال المملكة المذكورة بواسطة معاهدة البروث لم يبرز الى المدافعة بالسلاح . وفي الوقت التي كان خراب بولونيا يزداد وادمية اهاليها تهرق دخل الجنرال مونيخ المشهور بالمهارة العسكرية بعد تخريب (بسارابيا) الى القريم واخذ باحراق تلك الاملاك الجميلة العامرة بنيران الظلم

وماعدا هذا فقد وجد ان اوستريا قد هيأت جيشاً وفتحت لروسيا المتفقة معها ابواب التسهيلات بحركاتها . ولما كان الجيش العثماني بسبب ذلك قد اصبح بين عدوين لم يعد قادراً ان يقوم بحركة حربية جدية وهكذا لما لم يقدر الجيش ان يجري عملاً وكثر القال والقيل وتذمر سكان الاستانة نصب على مسند الصدارة محمد باشا . وقد تقدم المشار اليه راساً الى الطونه بجيش عظيم فبدد من هناك النمسويين الذين كانوا استولوا على نيش وحاصروا ودين . وفي السنة التالية تعين الياس باشا ولما كان مقداماً غيوراً تعقب انتصارات سلفه وتوفق الى استرجاع بلغراد

ودامت حرب روسيا هذه نحواً من ثلاث سنين في اخرها اجبر العثمانيون الفائزين على هذا الوجه دولة روسيا التي كان قد ظهر الاختلال في داخليتها ودولة اوستريا المتفقة معها على عقد الصلح ومن شروط هذه المعاهدة هدم قلعة آزاق وان يصير التصديق على ان البحر الاسود يختص بالدولة العثمانية وان تعاد قلعة بلغراد ايضاً الى صاحبها القديم ومقابلة لذلك اعترفت الدولة العلية رسمياً بعنوان الامبراطورية الروسية مع انها لم تقبل ان تصدق عليها منذ زمن بطرس الاكبر

وفي ذلك الحين توفي شارل السادس آخر ذكر لعائلة هابسبرغ الحاكمة اوانئذٍ على تخت امبراطورية المانيا وعليه اعلنت بنته البرنسس اليصابات امبراطوريتها

وعند ذلك نهض جميع اقوام المانيا الذين لم يقبلوا هذا الانتخاب

و بعد ان عقد نادر قولي هذه المعاهدة راجع وهو في جيش الايرانيين المفتونين بشجاعته والمجذوبين بلياقته الى اخذ الحكومة تحت ادارته وحمايته فاجابوه . وعند عودته اعلن بالاصالة ملكيته على ايران و بامرار الملكية الى يد تغلبه تهيأ لمقارنة جنكيز وتيمور فسافر على الهند التي اصبحت عرضة لمهاجمة الفاتحين منذ زمن اسكندر المكدوني وفي تلك الحملة احرق مدينة دلهي متغلباً على السلطان محمد حاكم الهند٠ وعند عودته جلب معه ميئات الوف من الاسراء ودخل الى اصفهان باحتفال عظيم جداً كما كاسرة ايران القدماء

وان كان الشاه المشار اليه قد دام على الاتصاليات الحربية مدة عشر سنين مع الجيش العثماني ما بين غالب ومغلوب لكنه لم يقدر ان يحصل على نتيجة منها واخيراً أُجبر الى الاعتراف بشروط المعاهدة التي عقدت اولاً

ولما لم يكن نادر قد قنع بما سفك من الدماء اقبل على قلع عيني الغلام واخر الامر تفرغ عن هذه الدنيا بخنجر احد المقربين منه غدراً٠ « سنة ١١٦٩ »

وهكذا في الزمان الذي فيه كانت الدولة متعبة من محاربات ايران المتواصلة في الشرق ظهرت طلائع الهجمات الروسية٠ وكانت روسيا التي وضعت المحافظة على بحر الخزر مستفيدة من الاتحاد مع الباب العالي على ايران ومن ثم من التزام الشاه نادر نهضت الى التشبث بوضع محافظة اخرى على سواحل البحر الاسود

وكانت البرنسس حنه التي جلست على تخت روسيا قد اقنعت وحركت اوستريا الى تقسيم دولة بولونيا المنحطة حينئذٍ فاجتاز جيش حدود البلاد المذكورة واهتم بتعطيل وكسر قوة البولونيين وتضييع مقاومتهم وكانوا قد حملوا السلاح للمدافعة عن الوطن

واما الباب العالي المتكفل باستقلال المملكة المذكورة بواسطة معاهدة البروث لم يبرز الى المدافعة بالسلاح . وفي الوقت التي كان خراب بولونيا يزداد وادمية اهاليها تهرق دخل الجنرال مونيخ المشهور بالمهارة العسكرية بعد تخريب (بسارابيا) الى القريم واخذ باحراق تلك الاملاك الجميلة العامرة بنيران الظلم

وماعدا هذا فقد وجد ان اوستريا قد هيأت جيشاً وفتحت لروسيا المتفقة معها ابواب التسهيلات بحركاتها . ولما كان الجيش العثماني بسبب ذلك قد اصبح بين عدوين لم يعد قادراً ان يقوم بحركة حربية جدية

وهكذا لما لم يقدر الجيش ان يجري عملاً وكثر القال والقيل وتذمر سكان الاستانة نصب على مسند الصدارة محمد باشا . وقد تقدم المشار اليه راساً الى الطونه بجيش عظيم فبدد من هناك النمسويين الذين كانوا استولوا على نيش وحاصروا ودين . وفي السنة التالية تعين الياس باشا ولما كان مقداماً غيوراً تعقب انتصارات سلفه وتوفق الى استرجاع بلغراد

ودامت حرب روسيا هذه نحواً من ثلاث سنين في اخرها اجبر العثمانيون الفائزين على هذا الوجه دولة روسيا التي كان قد ظهر الاختلال في داخليتها ودولة اوستريا المتفقة معها على عقد الصلح ومن شروط هذه المعاهدة هدم قلعة آزاق وان يصير التصديق على ان البحر الاسود يختص بالدولة العثمانية وان تعاد قلعة بلغراد ايضاً الى صاحبها القديم

ومقابلة لذلك اعترفت الدولة العلية رسمياً بعنوان الامبراطورية الروسية مع انها لم تقبل ان تصدق عليها منذ زمن بطرس الاكبر

وفي ذلك الحين توفي شارل السادس آخر ذكر لعائلة هابسبورغ الحاكمة اوانئذٍ على تخت امبراطورية المانيا وعليه اعلنت بنته البرنسس اليصابات امبراطوريتها

وعند ذلك نهض جميع اقوام المانياي الذين لم يقبلوا هذا الانتخاب

الى حمل السلاح وما عدا اقوام المانيا فقد كان الفرنسو يون واهالي سردينيا يساعدون خدمة لمنافعهم الخصوصية بهذا القيام على عائلة حكومة اوستريا

وفي داخل هذه الادعاءات والمنازعات وان كان قد دعا الفرنسو يون والروسيون السلطان محمود الاول لاستعمال الصلاح على اوستريا لكن لما كان المشار اليه ثابت القدم بالمحافظة على تعهده في شروط الصلح بمقتضى مشربه العالي بقي عاملاً على الحيادة وردّ دعوة الدول

وقد صرف مدة خمس او ست سنين بعد حملة روسيا بالراحه والسلام وفيما كان عائداً من جامع ايا صوفيا من صلاة الجمعة الى القصر السلطاني ادركته المنية فسار الى الاخرة فجأةً وقد امتدت سلطنته الى ٢٥ سنة

وكان المرحوم المشار اليه ديناً محباً للصلح والسلام حليم الخصال وكان زهده وتقواه في درجة لم يصادف مثلها الى ذلك الحين فكان قد حصر تعيشه الذاتي بما يتحصل من اثمان الاهلة ونحوها مجتهداً من ذلك بمساعدة المعوزين قائماً على تلك الاعمال والمبرات بالذات . وعليه فكان متحلياً بحلية الفضل متجملاً باجمل السجايا

وقد دُفن في تربة والده سلطان عند باغچه قپوسي

خلاصة

في بداية سلطنة السلطان محمود الاول توغل في ايران بحروب نادرشاه المشهور المتمادية . واخيراً قبل الطوفان احكام المعاهدة التي كانت في زمن المرحوم السلطان مراد الرابع

ومن اجل تقسيم بولونيا ونهوض روسيا واوستريا الى ذلك وقعت

الحروب والتزمت الدولة العلية ان تقف في وجه عدوين قويين

وبعد هذه الحرب توفي امبراطور المانيا ولما لم يكن له ولد ذكر تولت بنته اليصابات. ومع ان مسئلتها قد اوجبت نزاعاً متسع النطاق في اوربا فالدولة العلية لم تذهب الى جهة الانتفاع من تغيير العهدة

وكان السلطان المشار اليه زاهداً عابداً ديناً

دور حكومة السلطان عثمان الثالث

(من سنة ١١٦٨ الى سنة ١١٧١)

ولما توفي السلطان محمود الاول جلس السلطان عثمان الثالث من اولاد السلطان مصطفى الثاني على التخت العثماني وهو في الثالثة والخمسين

وقد كانت مدة حكومة المشار اليه ثلاث سنين صرفت على الصلح والسلام

واذ كان من اصحاب الزهد والتقوى لم يترك في القصر الهمايوني آلة طرب قط ولا مغنياً وصرف الهمة الى اصلاح الخلق الذين كانوا يميلون الى السفاهة والملاهي منذ ٣٨ او ٤٠ سنة

ومن وقائع دور سلطنة السلطان الموما اليه الحرية بالذكر حريق استانبول الكبير. وذلك انه ابتدأ ذات ليلة من جهة باغچه قبوسي واخذ لسان اللهيب يمتد ويتسع الحريق بريح شمالية ومن ثم هبت ريح شرقية فمال معها الى جهة ثانية وقد خرب اكثر من نصف الاستانة بذاك الحريق

وبمقتضي اصول وقانون ذاك الزمان انه عند وقوع هكذا حريق تاتي جماعة الانكشارية لاطفائها ولما لم يمكن انهاضهم لاطفائها مما بلغت اتسع الحريق المذكور حتي بلغ ما بلغ ولذلك حضر السلطان بالذات

الى محل الحريق وان كان قد بذل معظم جهده لاخماد النار لكنه لم يقدر ان يمنع وصولها من السرايه فاحترق ٢٤ الف بيت ولحق بقاعدة الدولة خسائر كثيرة ملكاً ومالاً

وتيسر له بعد هذا الحريق ان تمم بناء الجامع الشريف الذي بدئ بانشائه منذ سبع سنين في زمن السلطان محمود الاول . وقام بالاحتفال الديني الواجب عند فتح الجامع المذكور الذي فتح باسم (نور عثماني)

ومن بعد ذلك توفي السلطان ونظرًا لمكارم اخلاقه تاثر لفقده كل انسان من الرعية واصبحت افئدة الجميع تدمي حزناً . وكان هذا التاثر العمومي يزيد عن التاثر الذي لحق بالامة قبل ذاك الزمان من وفاة السلطان محمد الذي كان قد استجلب بنوع خصوصي احترام ومحبة العموم وقد دفن في باغجه قبوسي في تربة والده سلطان

خلاصة

امتدت سلطنة السلطان عثمان الثالث الى ثلاث سنين لم يقع في خلالها واقعة حربية قط

ومما يذكر من وقائع حكومته الحريق الكبير الذي خرّب اكثر من نصف العاصمة

وتمم بناء الجامع الشريف الذي كان بدأ بانشائه اخوه المرحوم السلطان محمود الاول وفتحه باسم « نور عثماني »

وكان المغفور له متصفاً بالزهد والتقوى

دور حكومة السلطان مصطفى الثالث

(من سنة ١١٧١ الى سنة ١١٨٧)

ولما وصل خبر وفاة المرحوم السلطان عثمان الثالث الى السلطان مصطفى الثالث ابن المرحوم السلطان احمد الثالث بواسطة راغب باشا الصدر الاعظم جلس في الحال على تخت اجداده العظام وهو في الحادية والاربعين

وقد جرى تقليده السيف ثاني عشر يوم الجلوس في جامع ايوب الانصاري باحتفال عظيم جدًا كان ينذر قلوب المتفرجين بقرب حلول ادوار الاقبال في الدولة العثمانية

واما الجند الذي تعود على البطالة والكسل لسبب الصلح الذي مرّ بصورة غير فعالة في اخر سلطنة السلطان محمود الاول وفي عهد حكومة خلفه فكان يرنم باصوات الدعاء باطالة عمر ودوام عافية السلطان الجديد طالبًا من الالطاف الربانية ان يصونه من آفات الدهر

ومرّت ايام السلطان مصطفى الثالث الاولى بكمال الراحة والسكينة بعناية وتدابير راغب باشا الشيخ الحسنة

وتقرر المعاهدات القديمة بصورة قطعية ابرز الى الوجود المناسبات التجارية التي كان قد بدئ بها مع الدول الاجنبية منذ زمن السلطان سليمان القانوني

وكان من اساس هذه المعاهدات المعبر عنها «كاپيتولاسيون» ان تعطى امتيازات ببعض انواع الى الاتين والذاهبين في الممالك العثمانية للقيام بالاعمال التجارية. فكثر الاختلاط بسبب تزايد الذهاب والاياب بين البلدان ونهض الاجانب الى استئصال الفوائد العظيمة من هذه

الامتيازات

ومكافاة لخدمة الصدر الاعظم واهليته زيد من قدره بتزويجه من صاحبة العصمة شقيقته . وفي ذلك الحين بزغت انوار محيا السلطان سليم الثالث الى الوجود فاجريت الاحتفالات العظيمة والتنويرات الزاهرة في كل الجهات . " سنة ١١٧٦ "

ولما توفي راغب باشا الصدر الاعظم في الخامسة والستين بعد ان قام بامانة وخبرة على مسند الصدارة مدة سبع سنين دفن باحتفال في حديقة الكتبخانه التي كان قد اسسها في " لاله لي "

وقد صادف دور حكومة السلطان مصطفى الثالث موافقاً لزمان الامبراطورة كاترينا الثانية المشهورة التي صرفت همتها العظيمة الى اكمال الاصلاحات والترقيات التي بدأ فيها بطرس الاكبر لاجل تقديم الامة الروسية

و بعناية ونشاط بعض قواد من نخباء الامة الروسية كانوا قد افتتنوا من طلاقة لسان كاترينا ومن حسنها فانجذبوا اليها قبض على بطرس الثالث زوجها بعد ان نشرت اعلان حكومتها . ومن ثم توفي بعد قليل ولما لم يبقَ لها رقيب في العرش الروسي اهتمت من الطرف الواحد باظهار العواطف و بذل الملاطفات والمؤانسات لاستجلاب قلوب الامة الروسية ومن الطرف الاخر رات انه من الواجب لتوطيد حكومتها ان تشغل الروسيين بالخارج فاخذت باتمام تقسيم بولونيا التي اصبحت منحطة الى الدرجة الاخيرة .

وكانت قد اقنعت بهذا التقسيم امبراطورية اوستريا ودولة المانيا . و بناء على انقطاع البلاد المذكورة لحق بالدولة العثمانية الاضرار الكثيرة زيادة عن سواها لانها سهلت لكاترينا القيام باجراء افكارها وهو الانتشار على سواحل البحر الاسود الذي كان هدفاً لمقاصد الروسية منذ زمن

بطرس الاكبر طامحة لتوسيع حدودها الى حد الطونه

وقد انتشرت في الشرق مناقب فردريك الكبير (ملك بروسيا) الحربية المعدودة من الافعال والحركات التي اوصلت العالم الى النظام العسكري الاخير حتى ان السلطان مصطفى الثالث كان ايضاً قد اعترف بالذات بشجاعة فردريك المذكور ولياقته

ومع ان الباب العالي كان يتشبث بعقد اتفاق مع الملك المومأ اليه تجاه روسيا لكن لما كان الملك المذكور يميل الى الاتحاد والاتفاق مع الشرق ويتمنى تقسيم بولونيا الذي يسهل له جداً توسيع دائرة حكومته انفردت الدولة العلية لوحدها تجاه المطامع الروسية

وقد اعدت كاترينا الثانية بدء مداخلتها فصل المنازعات الداخلية التى وقعت في بولونيا بسبب اجلاس الملك الذي عينته عليها وهو بونياتوفسكي الذي كانت اتخذته نديماً لها في دائرة قصرها زمان كانت لا تزال اميرة حتى انه من هذا الوجه نتج احتقار زوجها بطرس الثالث . وقد اقام الباب العالي الحجة على كاترينا لان الملك الجديد دخل فارسوفيا تحت حماية ٤٠ الف جندي روسي وطلب ان تنسحب القوة المذكورة الى الوراء فكان جوابه ان سيقت العساكر تحت قصد وقاية استقلال بولونيا والمحافظة على الراحة فيها

الا ان الملك المذكور الموجود تحت حماية روسيا لم يقدر ان يبرم امراً تجاه قوة بولونيا المضطربة . وفي الحرب المنتشبة بين البولونيين والروسيين احترقت قصبة بالطه الداخلة في حدود الممالك الشاهانية ولذلك فتحت على روسيا الحرب التي كانت عاقبتها على الدولة العثمانية غير سعيدة الطالع . « سنة ١١٨٠ »

وبناء على الاستحضارات الحربية المتخذة براً وبحراً وبعد ان اجرى السلطان العالي الشان نظر التفتيش والمعاينة على الجيش الهمايوني

في ادرنه دخل الى البغدان في مقدمات الوقائع ٤٠ الف جندي وكذلك فرسان التاتار تحت قيادة خان القريم اخذوا في ان يطئوا البلاد الروسية متقدمين من بالطه

وفي اول الامر كان قد تقدم الجيش العثماني البالغ مئات الوف بهكذا سرعة واقدام اقلق كاترينا وادهشها وكذلك دخل قسم من الجيش الهمايوني بعد ان اجبر الجيش الروسي المنظم المرسل الى قلعة خوتين الى التقهقر حدود بولونيا ليضعها تحت حمايته

الا ان الحركات البطيئة التي قام بها هناك القائد العام محمد امين باشا الصدر الاعظم وعدم انتظام الانكشارية اوقع عدم الاستفادة من هذا النجاح المحرز في مقدمة الحرب . وعلى الخصوص بينما كان الجيش يقطع نهر دنيستر وهو في حالة الفيضان من عظم الامطار التي هطلت في اوائل الربيع هاجمه الروسيون وكانوا قد اخذوا مركزًا عند قلعة خوتين (كهوتين) وكان من النتيجة ان لحقت المغلوبية بالجيش العثماني . ودخل الروسيون الفلاخ والبغدان واخذوا في ان يتقدموا بلا مزاحم ولا ممانع الى جهة الطونه

وفي داخل هذه الحرب المشكلة الاحوال ثار يونانو المورة التابعون للدولة العلية بتشويق البعض من القسوس والرهبان الذين دخلوا بينهم متخفين منذ زمن الامبراطورة اليصابات . واجتازت السفن الكثيرة بطريق بوغاز سبته بحر البلطيك ودخلت البحر المتوسط قائمة بالتظاهرات الحربية وكذلك مسيحيو اشقودره والجبل الاسود اشتركوا فعلاً بهذه الحرب وهذه الثورات انتجت الناديات الدموية الغزيرة

واما الحرب التي وقعت فيما بين الاسطول العثماني الموجود تحت قيادة حسن بك الغازي والاسطول الروسي الذي جاء الى البحر المتوسط اثناء الوقوعات المذكورة انتجت وقوع التقهقر والمغلوبية باحراق اسطولنا

العثماني تماماً . ومن بعد احراقه دخلت قلعة لمنى في يد العدو واخذ بوغاز چناق قلعة تحت التهديد ومن جراء ذلك وقع اهالي الاستانة بالخوف والاضطراب

ولما كان حسن بك الغازي من ذوي الهمم معروفاً بالبسالة والاقدام وقد استفاد من هذه المغلوبية بان درس منها كيفية مفاجاة الخصم وكان قد فاز بنفسه انتخب بعد ذلك بعضاً من الشجعان وهجم على قلعة لمنى بغتة وطرد العدو الفائز من هناك وفيما بعد استحكم فى مختنق بوغاز البحر المتوسط

وصحب هذه الحركة البحرية ان تاخر الجيش في جهة البغدان وهذا حمل الدولة بزيادة الى اجراء المذاكرات الصلحية . ولما كانت روسيا تطلب التملك على القريم تماماً وان يكون لها حق المداخلة والسيادة على الفلاخ والبغدان اسرعت الدولة الى التهيؤ وسوق العساكر من العاصمة جديداً آنفة من قبول هكذا شروط

وهذه الحرب الثانية مالت في اول الامر على الروسيين ولكن لما كانت جيوشنا الغير منظمة والغير طائعة لا تقدر ان تثبت امام الجيوش التي تفوقنا انتظاماً وترتيباً اخذت عساكرنا في ان تتقهقر في كل طرف

و بناء على انتصار الروسيين وعدم مصادفتهم ما يعيقهم في طريقهم اندلعوا من الطونه وتقدموا راساً الى البلقان

وفي هذا الوقت الذي تفاقمت فيه المشكلات توفي السلطان مصطفى الثالث وترك لجميع اصدقاء الدولة الالم والحزن

وكان المرحوم المشار اليه من قبل ان جلس على السلطنة يقدّر بنظر الاستحسان ترقيات اوربا و يرغب فيها . ومع انه توفق الى اصلاح كثير في الطوبخانة تشبث بترقي وتهذيب الجند وتعليمه وقد جلب البارون طوت الفرنسوي لذلك لكن حال دون ذلك تعصب جاهلي زمانه ومعانديه

في ادرنه دخل الى البغدان في مقدمات الوقائع ٤٠ الف جندي وكذلك فرسان التاتار تحت قيادة خان القريم اخذوا في ان يطئوا البلاد الروسية متقدمين من بالطه

وفي اول الامر كان قد تقدم الجيش العثماني البالغ مئات الوف بهكذا سرعة واقدام اقلق كاترينا وادهشها وكذلك دخل قسم من الجيش الهمايوني بعد ان اجبر الجيش الروسي المنظم المرسل الى قلعة خوتين الى التقهقر حدود بولونيا ليضعها تحت حمايته

الا ان الحركات البطيئة التي قام بها هناك القائد العام محمد امين باشا الصدر الاعظم وعدم انتظام الانكشارية اوقع عدم الاستفادة من هذا النجاح المحرز في مقدمة الحرب . وعلى الخصوص بينما كان الجيش يقطع نهر دنيستر وهو في حالة الفيضان من عظم الامطار التي هطلت في اوائل الربيع هاجمه الروسيون وكانوا قد اخذوا مركزًا عند قلعة خوتين (كهوتين) وكان من النتيجة ان لحقت المغلوبية بالجيش العثماني . ودخل الروسيون الفلاخ والبغدان واخذوا في ان يتقدموا بلا مزاحم ولا ممانع الى جهة الطونه

وفي داخل هذه الحرب المشكلة الاحوال ثار يونانو المورة التابعون للدولة العلية بتشويق البعض من القسوس والرهبان الذين دخلوا بينهم متخفين منذ زمن الامبراطورة اليصابات . واجتازت السفن الكثيرة بطريق بوغاز سبتة بحر البلطيك ودخلت البحر المتوسط قائمة بالتظاهرات الحربية وكذلك مسيحيو اشقودره والجبل الاسود اشتركوا فعلاً بهذه الحرب وهذه الثورات انتجت الناديات الدموية الغزيرة

واما الحرب التي وقعت فيما بين الاسطول العثماني الموجود تحت قيادة حسن بك الغازي والاسطول الروسي الذي جاء الى البحر المتوسط اثناء الوقوعات المذكورة انتجت وقوع التقهقر والمغلوبية باحراق اسطولنا

العثماني تماماً . ومن بعد احراقه دخلت قلعة لمنى في يد العدو واخذ بوغاز چناق قلعة تحت التهديد ومن جراء ذلك وقع اهالي الاستانة بالخوف والاضطراب

ولما كان حسن بك الغازي من ذوي الهمم معروفاً بالبسالة والاقدام وقد استفاد من هذه المغلوبية بان درس منها كيفية مفاجاة الخصم وكان قد فاز بنفسه انتخب بعد ذلك بعضاً من الشجعان وهجم على قلعة لمنى بغتة وطرد العدو الفائز من هناك وفيما بعد استحكم فى مخنق بوغاز البحر المتوسط

وصحب هذه الحركة البحرية ان تاخر الجيش في جهة البغدان وهذا حمل الدولة بزيادة الى اجراء المذاكرات الصلحية . ولما كانت روسيا تطلب التملك على القريم تماماً وان يكون لها حق المداخلة والسيادة على الفلاخ والبغدان اسرعت الدولة الى التهيء وسوق العساكر من العاصمة جديداً آنفة من قبول هكذا شروط

وهذه الحرب الثانية مالت في اول الامر على الروسيين ولكن لما كانت جيوشنا الغير منظمة والغير طائعة لاتقدران تثبت امام الجيوش التي تفوقنا انتظاماً وترتيباً اخذت عساكرنا في ان تتقهقر في كل طرف

وبناء على انتصار الروسيين وعدم مصادفتهم ما يعيقهم في طريقهم اندلعوا من الطونه وتقدموا راساً الى البلقان

وفي هذا الوقت الذي تفاقمت فيه المشكلات توفي السلطان مصطفى الثالث وترك لجميع اصدقاء الدولة الالم والحزن

وكان المرحوم المشار اليه من قبل ان جلس على السلطنة يقدّر بنظر الاستحسان ترقيات اوربا ويرغب فيها . ومع انه توفق الى اصلاح كثير في الطوبخانة تشبث بترقي وتهذيب الجند وتعليمه وقد جلب البارون طوت الفرنسوي لذلك لكن حال دون ذلك تعصب جاهلي زمانه ومعانديه

ويمكن ان يحسب عدم توفيقه من هذا الوجه سبباً للفشل والتقهقر الواقع امام الروسيين

وقد دفن في تربة مخصوصة على القارعة بجوار جامع لالهلي الشريف الذي توفق لاتمامه

خلاصة

ان دور حكومة السلطان مصطفى الثالث موافق لزمن الامبراطورة كاترينا الثانية المشهورة

وبسبب مخالفة الدولة العثمانية لتقسيم بولونيا فيما بين روسيا واوستريا وبروسيا ووقوع التعدي على الحدود العثمانية فتحت حرب روسيا العظيمة

وفي بدء الحرب اخذت العساكر العثمانية بالفوز ومع انها اجتهدت كثيراً لان تدخل حدود بولونيا لم تتوصل الى الغاية فتقهقرت واحرق الاسطول الروسي الذي جاء الى البحر المتوسط في مينا چشمه الاسطول العثماني وبعد ان اضمحل عن اخره عادت فاضرمت نار الحرب من جديد

وفي تلك الاثناء توفي السلطان ودفن في تربة جامع لالهلي الشريف

دور حكومة السلطان حميد الاول

(من سنة ١١٨٧ الى سنة ١٢٠٣)

ونظراً لوفاة السلطان مصطفى الثالث جلس على التخت العثماني في زمن حرب مكدرة شديدة السلطان حميد الاول اصغر اولاد المرحوم السلطان احمد الثالث وفي حال جلوسه كان في الخمسين من العمر وقد بلغ سن الكمال في عهد سلطنات اعمامه واخيه

وكان محسن زاده الصهر السلطاني محصوراً من الروسيين في شوملا

وقد وقع الاختلال في داخلية روسيا بينما كان الصدر الاعظم يخابر الروسية في شان عقد الصلح وعليه فلعدم طاعة الجيش وسوء انتظامه وميل السلطان حميد الى الصلح والسلام أُجبر الى الاسراع بالمخابرات الصلحية في قرية كايرناجي .

وبناء على مطالب الغالب الظالمة ومجبورية المغلوب المؤلمة لم يكن من حاجة لاطالة المذاكرات الطويلة بل في الحال صار التوقيع على معاهدة كايرناجي .

وبموجب هذه المعاهدة اكتسبت خانية القريم الاستقلال وملكت روسيا حرية سير السفن في البحر الاسود والبحر المتوسط «ومعنى هذه الحال ان روسيا وضعت العاصمة تحت التطويق الدائم» . وترك لروسيا بلاد الكرج وبلاد الجركس واعتبر الحد الفاصل في الروم ايلي مياه نهر اوزي . وصدق ايضاً على حق مداخلة روسيا بامور الفلاخ والبغدان . وفي العهدة ايضاً ان المسيحيين تبعة الدولة العلية يكونون تحت حماية كاترينا واخلافها

وماعدا ذلك فقد اجبرت الدولة بمعاهدة خفية الى اعطاء تضمينات ١٢ مليون ليرة بظرف ثلاث سنين لاجل انسحاب الاسطول الروسي الموجود في البحر المتوسط . ومن الغريب ان سوء الاقبال في هذه الحرب كان السبب الوحيد الذي منع الدولة من مقدرة ادراج مادة واحدة في المعاهدة بشان مسئلة بولونيا بل تركت هذه المملكة السيئة الطالع تحت حكم وقرار كاترينا بناء ان تقتسمها مع محالفيها

هذا واذا عطفنا النظر الى داخلية المملكة العثمانية من بعد معاهدة كايرناجي نرى الاختلال واقعاً في كل جهة ففي جبل لبنان وضواحي سوريا كان عصيان الشيخ ظاهر وفي مصر قيام المماليك وفي جهات يانيا مغايرات علي باشا كل هذه القلاقل كانت اخذة بالاتساع

فعين القبطان حسن باشا الغازي على عصاة جبل لبنان فهاجمهم متحكماً في مراكزهم ومن ثم استولى على قلعة عكا وقطع راس الشيخ العاصي وطفا جمرة الفتنة من تلك النواحي .واما الاختلال الذى كان في مصر فقد سكن بواسطة مراجعة المماليك الواحد بعد الاخر و بذلك توفقت الدولة الى اعادة نفوذها في تلك الجهات

هذا وانه لدى البحث يظهر لنا ان مسئلة استقلال القريم كانت خدعة سياسية لروسية .فان كاترينا كانت تريد ان تقود القريم اليها قسرًا بقوة السلاح او ان تبتاعها بنفوذ النقود . فانضم مامورو روسيا الى شاهين كراي الذي كان ميالاً الى اجراء مقاصد الامبراطورة وشوقوه للايقاع بدولت كراي الصادق والمطيع للدولة العثمانية

ولاجل منع مداخلة الباب العالي بقوة السلاح في هذه المسئلة اجتمع على الدنيستر جيش روسي تحت قيادة رومانوف ودخل جيش اخر روسي وعليه بوتمكين و بمعيته شاهين كراي لمقاتلة التاتار وكان من النتيجة اخيرًا ان اعلنوا على الخانيه قيام شاهين كراي

ولم يمرّ الاّ القليل حتى ادخل ٨٠ الف روسي وهو الجيش الذي وجد لحماية شاهين كراي الى داخلية البلاد فاستولى على كفه .واخيرًا استاسروا شاهين كراي .و بعد هذا الاستئسار لم يبقَ من صعوبة قط في ان يترك ذاك الخان المجلوب الى كاترينا حق التملك في القريم لروسيا. ولم تتاخر كاترينا من اعلان ذلك الى اوربا في سنة ١١٩٧ اي بان القريم اصبحت معدودة من البلاد الروسية

و بناء على هذه السهولة التي لم تكن من قبل التخيلات وذاك التوفيق الذي زاد في اقدام كاترينا وضاعف من جراءتها تشبثت بتحريك يوناني الموره رعايا الدولة العلية الى طلب الاستقلال وعليه شعر الباب العالي محافظة على سلطته وحقوق تملكه الصريحة بلزوم الاعتماد على قوة

السلاح متاثرا من هذا التعدي ولذلك اعلنت الحرب على روسيا

وفي بدء هذه الحرب كان التوفيق للعثمانيين ايضاً فتقدموا من بلغراد الى قلعة اوزي وانتشروا على نهري الطونه والدنيستر بمائتي وخمسين الفاً تحت قيادة الصدر الاعظم ومن ثم اجتازوا الطونه وزحفوا على روسيا التي وجدت ايضاً في داعية تجربة الطالع والاقتدار العسكري في هذه المرة تجاه العثمانيين وعلى جوزف الثاني امبراطور اوستريا المتفق مع تلك على تقسيم بولونيا. فاستظهرت الدولة على الامبراطور في كل الاماكن تقريباً حتى الجيء الى الهرب بعد ان كاد يقع اسيراً. واما المنتصرون فكانوا احرقوا وخربوا المدن من بلاد المجر وسحبوا الاساري يقودونهم بالذل والخسران

ولكن في الطرف الاخر كان عكس ذلك فالروسيون دخلوا البغدان واخذ الجيش الروسي الذي كان قد تملك القريم وعدده ١٠٠ الف مقاتل تقريباً بمحاصرة قلعة اوزي تحت قيادة الجنرال بوتا مكين المشهور

والحاصل ان دائرة الحرب كانت بالاخرة مشئومة العاقبة علينا وقد غلب حسن باشا الغازي قبطان البحر القائم بمعاونة الجيش الهمايوني في فم الدنيستر مرتين امام الروسيين واخيراً وقع في يد الاعداء قلعة اوزي مع ما هي عليه من المتانة والقوة وكان داخلها ٣٥ الفاً فدافعوا دفاعاً عجيباً ولدى افتتاحها بقي القتال متواصلاً مدة ثلاثة ايام ليلاً ونهاراً وقيل انه لم يبقَ لا امراة ولا شيخ وقد استشهد اكثر من عشرين الفاً تحت مظالم العدو الغير محتملة

وهكذا انتقلت قلعة اوزي الى يد الروسيين وكان في الزمان الذي ظهر فيه للجيش الهمايوني وجه التقهقر ان توفي السلطان عبد الحميد الاول في السنة السادسة عشرة من سلطنته في الاستانة العلية

ومع ان المغفور له كان حليماً تقياً لكنه كان عديم الطالع وفضلاً عن تاثره من الوقائع الاولى نظير التخلي عن القريم وعقد معاهدة كاينارجي

قد توفي متاثرًا عند نظره العدو يتقدم فاتحًا البلاد الموروثة

وقد دُفن في تربة مخصوصة على الطريق الذي يذكر باسمه بجوار باغچه قبوسي

خُلاصة

بينما كانت روسيا عاملة على حرب الدولة العلية أجلس السلطان حميد الاول ولما كان العدو مستظهرًا في كل جهة وقع على معاهدة كاينارجي وهذه المعاهدة منحت القريم الاستقلال وتركت لروسيا كرجستان وجركستان وسهلت لسفنها السير في كل من البحر الاسود والبحر الابيض واعطت لها الحق بامور الفلاخ والبغدان

وبعد ذلك بقليل اعلنت الحرب على روسيا من جديد لان كاترينا استولت على القريم تمامًا وفي هذه الحرب ايضًا تداخلت اوستريا بالاتفاق مع روسيا

وفي بداية الحرب تاخر النمسويون. ومع ان العثمانيين دخلوا ايالة بانات المجرية لكنهم تاخروا لوقوعهم بين عدوين قويين

ومن ثم استولى الروسيون على الفلاخ والبغدان واجتازوا الطونه وفي تلك الاثناء توفي السلطان

الفصل الرابع

دور تجديد وانقلاب

القسم الاول

منذ جلوس السلطان سليم الثالث الى زمن كلخانه خط همايوني

(من سنة ١٢٠٣ الى سنة ١٢٥٦)

دور حكومة السلطان سليم الثالث

« من سنة ١٢٠٣ الى سنة ١٢٢٢ »

وفيما كانت الحرب قائمة على ساق وقدم مع روسيا توفي السلطان عبد الحميد الاول وبناء على وفاته جلس على تخت الخلافة العثمانية السلطان سليم الثالث وهو لا يزال شاباً اي في الثامنة والعشرين

وكان الموما اليه من اصحاب الاهلية واللياقة اكتسب المعلوميات اللازمة وهو تحت نظر حماية وشفقة عمه المرحوم وقد قبض على ازمة السلطنة واقفاً نفسه بان يضع حداً للانحطاط الطارئ على احوال الدولة العمومية منذ سنين عديدة

واتبع جلوسه بانه اجتهد في مقدمة اجراءاته باستحضار قوة عظيمة يقف بها في وجه النمسويين والروسيين الذين كانوا لا يزالون يحاربون

في جهة الطونه بانتصار واسرع الى الحدود ١٥٠ الف جندي باسل من اولئك الذين اجتمعوا تحت السلاح في الحال اطاعة لامر السلطان. ولم يكن العثمانيون قد اضاعوا قوتهم القديمة واميالهم الوطنية وطاعتهم للدولة وللسلطان ولكن الانكسارات المتتابعة في الحروب الواقعة كانت ناتجة عن فقدان الوسائط الكاملة بالنسبة للدرجة التي وصلت اليها اوربا حينئذٍ من التشكيلات العسكرية والتفنن فيها وفي امور الادارة

ومن جملة ذلك ان جيش الصدر الاعظم الذي سيق الى جهات الطونه تاخر امام جيوش اوستريا وجيوش روسيا الموجودة تحت قيادة الجنرال سوفاروف المشهور. واما كاترينا فقد هيجت الجنرال المذكور بناء على هذا الانتصار وشوقته الى ركوب المخاطر بان اعطته سيفاً مرصعاً نقشت عليه هذه العبارة «الظافر بالصدر الاعظم»

وفي التاريخ نفسه ابتدأ ظهور انقلاب فرنسا الكبير وكانت امبراطورية اوستريا مضطرة بان توجه بانظارها الى جهة الرين اكثر من الطونه فتركت روسيا لوحدها ولذلك تخلصت الدولة العثمانية من هذا الاتفاق المهلك في ذلك الزمان

ومن بعد الانتصار الاخير وجه سوفاروف بقوته على قلعة اسماعيل من احكم قلاع الطونه في ذاك الزمان. وكانت القلعة المذكورة تدافع باربعين الف بطل من الشجعان المنتخبين تحت قيادة حسن باشا الغازي محارب چشمه وقد حرج هذا المدافع على عدم التسليم واصر المهاجم عناداً الا افتتاحها. فكان حسن باشا يقول « لا اترك القدم الروسي يطيء القلعة الا اذا هبطت القبة الزرقاء على وجه الارض ». وكان سوفاروف يقول «اما الموت واما قلعة اسماعيل». وكل منهما يبذل ما في وسعه من الاقدام والقوة. والحاصل ان الذي اظهرته العساكر العثمانية في هذه المدافعة من الثبات والمقاومة جدير بالتعجب والثناء والذكر ولكن قيادة جنرال روسي

كسوفاروف مقتدر وسفاك لم تكن خالية من الشجاعة التي تمكنه من التغلب على متانة القلعة و بسالة المدافعين العجيبة . ولم يقصر اهالي القلعة عن معاونة الجيش الهمايوني الى حد النفس الاخير حتى ان النساء والبنات كنّ يخاطرن بحياتهن قائمات بين المحاربين . واخيرًا لم يقدر المدافعون ان يتغلبوا على كثرة الروسيين وعنادهم ولاجل دخول الاعداء الى القلعة اتخذوا قللاً من اجساد القتلى اوصلتهم من المعابر . ولما استولى الروسيون على القلعة قاموا باعمال خالية من الرحمة تنفطر لها القلوب وتقطر دمًا فقد صرفوا ثلاثة ايام ليلاً ونهارًا ينهبون الاموال و يتلفون النفوس البشرية من شيوخ ومجاريح واطفال وقد وصل جيش الصدر الاعظم من سوء الطالع الموءلم الى حالة العدم ولم يقدر ان يتخلص من حراب القوزاق الا شخص واحد حمل الخبر الى الاستانة

واذ كان في تلك الاثناء قد عقدت المصالحة مع اوستريا دون ان يحدث تغيير او خسارة حصرت الحرب بين الروسيين والعثمانيين وفي اوائل السنة التالية اي سنة ١٢٠٦ هجرية عقدت المصالحة مع روسيا ومن شروط المصالحة المذكورة ان اعتبر ماء طورله الحد الفاصل بين الدولتين وفي داخل هذه الحدود الجديدة عند فم نهر الدنيستر ابتنى الروسيون بعد ذلك مدينة اودسا المشهورة الان بتجارتها

و بعد التفرغ من هذه الحروب حصر السلطان الاعظم همته وصرف نشاطه الى الاصلاح الداخلي وتجديد القوة فابتدأ بتنظيم فن المدفعيين (طوبجية) وترتيب الفرق المنظمة باسم (النظام الجديد) على نسق عساكر اوربا المنظمة وابتنيت الثكنات في جهتي بك اوغلي والسليمية لاجل العساكر المذكورة . وقد اعتنى بامر هذه التجديدات متتبعًا اثار النشاط الملوكاني كلٌ من حسين باشا قبطان البحر المشهور بالحمية العظمى والقاضي خليل الذي كان حاصلاً على ركوب السلطان الاعظم قبل

جلوسه على العرش

وبينما كان السلطان سليم يجتهد من الطرف الواحد بتوسيع وتاييد العساكر المنظمة ويقتحم بحر المشكلات والصعوبات التي اوقعها الانكشارية واصحاب الافكار القديمة الناكرين تجديد التشكيلات ومن الطرف الاخر كان يشتغل بتاديب المتمردين الذين خرجوا الى الوجود في الاناضول وفي الروم ايلي اخذ نابوليون بونابرت بفتح غائلة جديدة كبيرة على الدولة المصرية

وبناء على انقلاب فرنسا الكبير ارتقى بونابرت الى ميدان الحرب والسياسة وقد دفعه الى ذلك هوسه الى الاقتداء بفاتحي القرون المتقدمة وطمعه بتهديد طريق الهند متخذا وسيلة لذلك حربه مع انكلترا فجاء الى مصر مستصحبا معه ٣٠ الف جندي ونظرا لانتصاره على المماليك بالقرب من الاهرام وطئ القاهرة بقدم القوة . (سنة ١٢١٣)

ولذلك اصبحت الدولة مجبورة الى تحريك السلاح ضد هذه الحركة الاستيلائية فاتفقت مع انكلترا وسيقت العساكر من طرفنا الى مصر . وقد هدد خط رجوع الجيش المستولي بتبديد الاسطول الفرنسوي من الاسطول الانكليزي الكائن تحت امرة الاميرال نيلسون

وكانت روسيا في تلك الاثناء داخلة بالاتفاق الذي تشكل على فرنسا في اوروبا فارسلت اسطولاً الى البحر المتوسط متفقة مع الباب العالي . واذ ذاك توفق الاسطول العثماني والاسطول الروسي بحرًا الى الاستيلاء على الجزائر السبع اليونانية التي كانت انتقلت الى ادارة جمهورية فرنسا في ذلك التاريخ . واما العساكر التي جاءت الى مصر فقد غلبت امام الفرنسويين

واما بونابرت فقد قام بهجمات قوية عظيمة على القوة العثمانية القائمة على محافظة عكا ساحبًا العساكر ايضًا على سوريا لاجل زيادة اشغالنا .

ولما كان الثبات والمقاومة في هذه المدافعة من مآثر النظام الجديد اضحت شهرة بونابرت وقوته بغير نتيجة امام مقاومة المدافعين . واخيرا رجع بونابرت الى فرنسا للنظر باشغال عظيمة مهمة تاركا بعض القوات في مصر

وما لبثت ان تخلصت مصر من العساكر الفرنسوية حتى برز الى الميدان محمد علي الذي تصدى للقيام بالاعمال العظيمة .وقد اصبحت القلاقل في ذاك الزمان منتشرة بين الاهالي والمماليك .وكان محمد علي دهقان الارناؤط فيما بين عساكر الروم ايلي التي سيقت الى مصر عند استيلاء بونابرت وهو من اهل الذكاء والفطانة والشجاعة الفطرية ولذلك توفق الى استجلاب قلوب اهالي مصر استنادا على ذينك الامرين اللذين هيئا له ووهباه الطالع السعيد .ومن ثم نهض للحكم على تلك الجهات

وفي هذا التاريخ كان العصيان قد ظهر في جهات الروم ايلي وكانت مسئلة الوهابية التي ظهرت منذ زمن السلطان محمود الاول تزايدت شدة وجراءة في هذا الدور وفوق كل ذلك كان الاهتمام جاريا في العاصمة بصورة جدية لكبح جماح الانكشارية المتمردين المقاومين للنظام الجديد كل هذا كان من الدواعي الضرورية لتصديق الباب العالي بموجب فرمان على ولاية محمد علي باشا في مصر

وكان بدسائس اوستريا وتحريكات روسيا قد وقع الاضطراب في الروم ايلي فثار اهالي الجبل الاسود .ومع ان السلطان العالي الهمة قصد سوق ٢٥ الف جندي من فرق النظام الجديد الى الروم ايلي بمناسبة هذا الاختلال لكن بعض حشرات من امراء واعيان الروم ايلي غشوا بدسائس الجماعات الخائنين المعاندين للاصلاح في الاستانة فخرجوا على النظام الجديد وحملوا السلاح بالقرب من سلورين .وعليه فالسلطان المتصف بالحلم والاخلاق الرضية مال الى العفو عن اولئك

ومصالحتهم مانعاً نفسه من استعمال السلاح

واخيراً عقد بونابرت الذي اعلن جلوسه امبراطوراً على فرنسا اتفاقاً مع الدولة العثمانية . وفي ذلك التاريخ وصل الى العاصمة سفيره الجنرال سبستيان وقد دعي اليها بصورة ممتازة وتمثل لدى الحضور الشاهاني باكرام وترحاب

ولما كانت الحرب في زمان اتيان هذا السفير قائمة بين نابوليون بونابرت وروسيا اخذ الامبراطور اسكندر الاول امبراطور روسيا باجتياز الحدود متحرساً من الاتفاق المذكور فاستولى على قلعة افكرمان وقلعة خوتين

وكذلك لما كانت دولة انكلترا قلقة ومضطربة من اتفاق نابوليون مع الدولة العلية ادخلت مراكبها بغتة بوغاز البحر المتوسط ومن جراء ذلك لحق الخوف باهالي الاستانة الا انه باقدام السلطان متحداً بحمية الاهالي اجبر الانكليز بظرف خمسة ايام على الرجوع بعد ان ثبت لديهم انهم لا يقدرون ان يانوا بعمل لان ساحل اسكودار وسراي بروني وضعتا تحت الاستحكام . وقد لحق بهم خسائر كثيرة اثناء خروجهم من بوغاز چناق قلعه

و بناء على حركات روسيا وانكلترا الجارية سيق جيش الى الطونه من جديد واخرج اسطول ايضاً الى البحر المتوسط . والبسالة التي قام بها عسكر النظام في حملة روسيا هذه نظير التي قام بها في المدافعة عن عكا (وهي اول حروب العثمانيين باسلحة اوربا الجديدة) كانت قد اثرت بكبرياء ونخوة الانكشارية . وعليه فقد قاموا ببعض مغايرات . واما الدولة فلم تقصر باستئصال المفسدة التي جاءت من الايادي تحت حجاب الحمية وكان من الامر ان ظهر قيام الانكشارية العظيم على الحكومة في استانبول

وكان في رئاسة العصيان قبلجي اوغلي الخبيث الجاهل وهو في داخل

عسكر (يماق)المشكل لمحافظة استحكامات بوغازايجي .وكذلك بتشويق البعض لحقت فرق المدفعيين بالعصاة .ولازدياد جراءة الاشقياء طلبوا اعدام بوستانجي باشي الذي كان حاصلاً على ركون السلطان واعتماده ولم يكفِ هدر دم هذا المسكين لتشفي صدورهم بل امتد طغيانهم وقلة حيائهم حتى التزم السلطان صاحب الهمة العليا المتصف بالحلم والرافة الى الانسحاب عن الاشتغال بامور الحكومة (سنة ١٢٢٢)

خلاصة

لما جاس السلطان سليم الثالث كانت حرب روسيا لاتزال قائمة فالتزم ان ينهمك فيها .ومن بعد المصالحة تشكلت الفرق العسكرية تحت اسم النظام الجديد وصرف الهمة والاقدام الى تعليمه على النسق الاوربي

وفي هذا التاريخ ساق نابوليون بونابرت الذي صار فيما بعد امبراطوراً على فرنسا العساكر على مصر وعليه اتفقت الدولة العلية مع روسيا وانكلترا فضايقت اساطيلهم الاسطول الفرنسوي في البحر المتوسط

ولئن كانت عساكر فرنسا قد تركت مصر بسبب ارجاع نابوليون عن حصار عكا الا ان محمد علي باشا الذي ظهر في تلك الاطراف اخذ مصر تحت ولايته ومن ثم صار التصديق على ذلك بفرمان عال .

واما العصيان الذي كان في الروم ايلي فكان يمنع ترقي النظام الجديد .ومن جراء عقد الاتفاق مع الامبراطورية الفرنسوية فتحت حرب روسيا من جديد

وفي الزمان الذي توغل فيه الجيش بحرب العدو عند الحدود تولى السلطان مصطفى الرابع

دور حكومة السلطان مصطفى الرابع

(سنة واحدة)

وبناء على الفتنة التي ظهرت في العاصمة بتهييج بعض الخائنين اعداء التجديدات والاصلاحات اثناء جريان الحرب مع روسيا في جهة الطونه تخلى السلطان سليم الثالث عن العرش وعليه اعلنت سلطنة ابن عمه السلطان مصطفى الرابع

ومن بعد ان انسحب السلطان سليم الحليم الى دائرة مخصوصة في القصر الهمايوني عاش نحوًا من سنة وفي ظرف هذه المدة لم يفتر عن فكر الاصلاحات التي لم يقدر ان يضعها في موقع الاجراء زمان سلطنته فصرف همته ومساعيه بان لقنها بنوع خصوصي للسلطان محمود الشاب علمًا منه باهليته ومهارته وبانه ذات يوم سيجلس على تخت اجداده العظام واما المشار اليه فانه بالحقيقة حافظ على هذه الافكار المنيرة الشريفة وفي زمن سلطنته اظهرها للعالم بواسطة اقدامه واجراءاته العظيمة

وشاع فيما بين الجيش خبر فتنة العاصمة وكانت مسرة الانكشارية ومن سرى مسراهم موجبة ليأس وتاسف الرعايا المقتدين بالسلاطين من جهة فكر الترقي والتجديد

واما مصطفى باشا البيرقدار الذي كان ممتازًا بمحبة واحترام السلطان سليم الثالث فكان شديد التاثر دامي القلب من هذا الخبر واخيرًا ارتمى الى ميدان الاجراءات مع البعض من اصحاب الحمية والحماسة . وكانت المخابرات الصلحية جارية من الطرف الواحد مع العدو وفي الطرف الاخر اخذ في ان يتقدم من الاستانة متحدًا بجيش الصدر الاعظم المؤلف من ١٢ الف نفس . وكانت الفرقة المتقدمة التي سيقت سرًا الى مصر قد

جازت في اول الامر قباقجي اوغلي الملعون الذي اخذ البوغاز تحت محافظته وكذلك كان قد وصل جيش البيرقدار مع الجيش الهمايوني الى حد ابواب القلعة وساعده زمانه على نوع ما الى ارجاع وتسليم العلم الشريف الى دائرته الخصوصية وقيل تقدم الى حد قبو سراي « باب السراية »

وفي وقت اجراء هذه الحركة التي لم تكن مامولة قط استشهد السلطان سليم الحليم وعليه جلس السلطان محمود الثاني وقد توفق الى المحافظة والمدافعة وقبض القوة اثناء مصيبة اتلاف عمه الشهيد والجلوس على تخت اجداده العظام

ولما كانت تجديدات مملكتنا الاخيرة ابتدات في زمن السلطان الشهيد عدّ لذلك من السلاطين الذين شرف اسمهم التاريخ العثماني ومن حيث ان حاله الطبيعي كان مانعاً لصدور الحركات الفعلية المطلقة الوجوب في اولئك الذين ازمعوا ان يخرجوا الى الوجود انقلاب الامة العظيمة انتج ذلك استشهاده

وعلى ما يظهر انه بسبب الفتن التي تقع على الحكومات ورؤساء الحكومات تاتي غالبًا بالاصلاحات والتغييرات . ومما هو حريّ بالالتفات والشكر ان السلطان المشار اليه قد وقف ذاته الكريمة « الى حد انه جعل نفسه ضحية في هذا السبيل » لانارة الامة بنور مدنية الديار الغربية الساطعة

وقد دفن الشهيد المشار اليه في لالهلي في تربة ابيه السلطان مصطفى الثالث

دور حكومة السلطان محمود الثاني العدلي

«من سنة ١٢٢٣ الى سنة ١٢٥٥»

ولما كان عند وصول مصطفى باشا البيرقدار الى العاصمة استشهد المغفور له السلطان سليم الثالث جلس على التخت العثماني السلطان محمود الثاني ثاني اولاد المرحوم السلطان حميد الاول وهو اذ ذاك في الثالثة والعشرين وجرى تقليد عظمته السيف باحتفال عظيم في جامع ايوب الانصاري للمرة الاخيرة في العائلة العثمانية على النسق القديم وعرض محياه السعيد للعامة الملكية

وقد دعا الى العاصمة جميع اعيان البلاد العثمانية بواسطة خط همايوني مسرورًا من موفقية البير قدار الاخيرة وعرضت في ديوان عظيم مادة الانكشارية التي سببت انحطاط الدولة لتمردهم وعدم تربيتهم وقد ارضى الاكثرية بتشكيل هيئة جندية منظمة تحت اسم (سكبان) وبودر الى تعليم وتهذيب هذا الجند المنظم في الثكنة التي ابتنيت في جفتلك لوند

واما القسم الذي لم يكن ممنونًا من اعمال الصدر الاعظم اخذوا بالبحث عن الطريق التي تبعد السلطان عنه ولم يدعوا الفرصة ان تمضى فمن الطرف الواحد داوموا على تحريك وتشويق الانكشارية وعامة الناس ومن الطرف الاخر ايضًا لاجل تسكين عصيان بعض المتمردين الذين ظهروا بالالتزام في الروم ايلي وجدوا واسطة لتبعيد قسم عظيم من العساكر المنظمة التي كانت بمعية الباشا فاصبح متروكًا لوحده . واخيرًا في عيد رمضان المبارك احتاط الانكشارية والعالم في شاغل بمحل سكن المشار اليه واضرموا النار فيه واحرقوا البير قدار السيئ الحظ في مكان

يدعى كركير التجأ اليه مع جاريته

ولم يلبث ان اخذ خبر هذه الواقعة رامز باشا قبطان البحر وهو من اشد الغيورين على الاصلاحات الاخيرة الجديدة حتى بعث بالسفن التي جهزها الى خارج السرايه والى باب الرمل وعين لمحافظة القصر الهمايوني اربعة الاف جندي من بقايا النظام الجديد جلبهم من قونيا منذ ابتداء الجلوس الهمايوني مع قسم من عساكر (سكبان) ومع هذه التيقظات لم يتمكن من منع وقوع القتال فيما بين الانكشارية والعساكر الطائعة وكان من عاقبة هذا القتال الدموي المحزن الذي دام في العاصمة ثلاثة ايام ليلاً ونهارًا غلبة العصاة. واخيرًا انتجت واجبات المحافظة على سلام المملكة ضياع حياة السلطان مصطفى الرابع

والحاصل ان السلطان الشاب المولع بترقي شان المملكة على الخطة التي رسمها له المرحوم السلطان سليم وكان قد صرف معظم شبابه بقربه ونشأ على الفضيلة والحلم اضطر الى الصبر على اجراء مقاصده مدة ١٦ سنة وعليه فقد عفا عن الانكشارية

واما بونابرت فمن بعد استشهاد السلطان سليم المؤلم حوّل فكره على الدولة العثمانية وسحب يده من الاتفاق وقد قدر اسكندر الاول امبراطور روسيا ان يميله الى ترجيح آماله الحريص عليها فيما يتعلق بمملكتنا وهكذا نتج عن هذا الامر حرب روسيا التي كانت في سنة ١٢٢٥

ولم يكتف الروسيون في هذه الحرب ان يحاربوا في جهة الروم ايلي كاسلافهم الذين قاموا بالحروب السابقة بل مشوا ايضًا على الاناضول واما جيوش الفلاخ والبغدان فقد طوفت عنق الطونه. وفيما كانت روسيا تتهيأ لاجتياز الطونه نهض السربيون الى العصيان تحت رئاسة قره بوركي واتحدوا مع روسيا واصبحوا مسلطين مثلما ارادوا على بوسنه ايضًا

واخيرًا اي في السنة الثالثة للحرب نظرًا لانهزام احمد باشا الصدر

الاعظم فتحت ابواب المذاكرات الصلحية

وفي هذا التاريخ زحف نابوليون بونابرت على روسيا باكثر من ٤٠٠ الف جندي وكانت تلك الحملة طليعة ادباره وحلول نحوسه . ولما كان قد قطع النيامن ودخل بولونيا استعجل الروسيون في عقد المصالحة معنا غير ناظرين الى انتصارهم الذي احرزوه علينا ومن هذه المعاهدة ان تقطع الحدود من البروث وان تترك بسارابيا للعدو وكان قد صار التصديق على حق مداخلة الروسية بامور ايالتي الفلاخ والبغدان

وان كانت المعاهدة المذكورة قد اعطت السربية بعض امتيازات ايضاً لكنها لم تكن قانعة بما اعطيت فعادت ثانية الى حمل السلاح فارسل عليها الجند . فكان من ذلك ان زاد السربيون عتوًّا وشدة وثبتوا على العصيان . واخيرًا توسعت امتيازاتهم بشرط ان تبقى العساكر العثمانية كم سنة بعد للمحافظة في بعض القلاع وعليه صار التصديق على تهيئة استقلال الامارة . (سنة ١٢٣٧)

ومن بعد الوقائع المذكورة اضطر السلطان محمود الثاني ان يوجه بنظر اهتمامه الى جهات مصر والبلاد الغربية . وكان محمد علي باشا الذي تصدق على ولايته في زمن السلطان سليم الثالث اخذ في عدم الاصغاء لاوامر العاصمة فانهُ اصبح صاحب السلطة على مصر وحده وقد استئصل جميع المماليك في الجمعية التي الفها للاستقرار في عموم مصر . الا ان السلطان الخبير بالحقائق نظرًا لعدم انتظام القوة العسكرية وعصيان الانكشارية راى من المناسب ان ينظر الى تاديب ومحو عصيان الوهابية اوفق مما ينظر الى جهه اجبار والي مصر الى الطاعة

وكان الوهابيون الذين ظهروا منذ اكثر من خمسين سنة مجتهدين بنشر مذاهبهم وطرائقهم قد اتسعت دائرة عصيانهم من صحارى جزيرة العرب الى حد بغداد والبصرة . واخيرًا في هذا الدور تمادوا بالقحة والتعدي

الى درجة انهم لم يتركوا طريقاً للحجاج مدخلين الى يد استيلائهم الحرمين الشريفين

وعليه فقد عهد الى محمد علي باشا تاديب هولاء فبعث بالقوة الكافية اولاً مع طوسون باشا ومن ثم مع ابرهيم باشا فتوفق بعد القيام بالوقائع الدموية الكثيرة الى تدمير الوهابيين وارجاع الراحة والسكينة الى ضواحي الحجاز

ولم تكن باندفاع هذه المسئلة قد اضمحلت الغوائل تماماً في الممالك العثمانية بل كان من جملة الغوائل التي اشغلت الباب العالي الحركات والافعال العصيانية التي كان قد قام بها (تبه دلنلي) علي باشا في جهات يانيا في الروم ايلي .وكان تبه دلنلي قد نهض ذات مرة الى عقد المخابرات مع الفرنسو بين الموجودين في كورفو في زمن الجمهورية وفيما بعد مع الانكليز. وكذلك فكما انه ذات مرة كان قد قوى افكار سكان المورة الى حمل سلاح العصيان على متبوعتهم الدولة العثمانية منذ زمن كاترينا الثانية امبراطورة روسيا تجاسر الى حد التظاهر بالاطوار العدوانية تجاه العاصمة .ولاجل دفع غائلة هذه الاحوال وتاييد نفوذ الحكومة ارسلت القوة الجندية تحت رئاسة خورشيد باشا. وعليه فقد اشغل تبه دلنلي بناء على هذه الحركة العسكرية الدولة عدة سنين ملتجئاً الى قلعة يانيا. وفي النهاية قطع راسه

ولهذا الحد كانت الاطوار العدوانية الغير سالمة من دسائس تبه دلنلي تجاه الحكومة السنيه قد انتجت تسلح يوناني المورة الذين تربوا على فكر العصيان منذ سنين عديدة وكان السبب المشوق لاختلال اليونان استقلال السربيين الاداري وقد زاد ثباتهم في هذه الثورة وفوتهم عن الحد. وكان الجند قد بعث الى المورة بقصد تسكين العصيان الا ان بعض محبي اليونان الذين نهضوا في اوربا لزيادة الضرر بامل حصول اليونان

على حربهم اخذوا بعضدهم وامداديد المساعدة لهم سياسة وامداداً وعليه اتقدت نار العصيان حتي اتصلت بكل جزائر بحر سفيد وتوسعت دائرة الفتنة وهذه الفتنة سببت ثورة سافس وجاءت بظهور واقعة الاختلال المشهورة باسم « فترة الروم » التي نظر فيها لزوماً لاعدام وصلب البطرك في الاستانة

والحاصل ان السلطان العالي الشان كان قد صرف الهمة الي حل رابطة الانكشارية فاصبحت القوة وقتئذٍ غير كافية لانفاذ القوة فقوى ذلك آمال اليونان بالاستقلال وتوسعت دائرة المساعدات الغربية لهم مادياً وادبياً

واذ كان من قصد السلطان محمود ان ياخذ بعين الاهمية هذا الامر امام كل امر أُجبر الى ان يوجه بولاية كريت والموره الى عهدة ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا وان يدعوه لتسكين العصيان . واما ابرهيم باشا فبعد ان قام بحملة او حملتين واصبح صاحب قلعتي اينه بختي ومودون ادخل الى شبه جزيرة اليونان عساكر مصر المنظمة التي كانت قد ترتبت وتنظمت منذ زمن

وفي الوقت الذي كانت فيه عساكر مصر متوغلة على هذه الصورة بعصيان المورة كان السلطان العالي الهمة قد وطد العزم القطعي الذي كان قد نوى عليه بشان جماعة الانكشارية لانهم ضايقوا كثيراً اصحاب الناموس في الاستانة

وكان في مقدمة هذه الاجراءات قد تقرر في الديوان العظيم الذي شكله من علماء الدولة واعاظمها « انه لما كانت سيئات الحظ والتاخر الذي لحق بدولتنا العظيمة الشان ناجماً عن عدم طاعة الانكشارية وجب ان يبادر الى تعليم وتربية الجند الماخوذ تحت الطاعة الصحيحة بصورة عاجلة موءثرة »

واصبح السلطان يترقب ظهور هذه التشبثات المامول نجاحها لدى

اجرائها بانتباه و بسبب ذلك لم يمضِ الا القليل حتى ثار الانكشارية ذات ليله ثورتهم الاخيرة متجمعين في ات ميدان « ميدان الخيل »

فكان العصاة من الجهة الواحدة عند تجمعهم الى ات ميدان اتخذوه مركزًا لامور الحل والعقد ومصدرًا للشر والمشورة ومن الجهة الاخرى كانوا قد هجموا على مساكن بعض الاعيان طائفين بالازقة . ولم يكونوا يقصروا قط في تعدياتهم الشريرة التي الحقوها باصحاب الناموس من الاهالي ويهددوهم بانهم يبيعون عند مخالفتهم كل واحد من الصبيان والبنات الذين يدخلون بايديهم استئسارًا بخمسة غروش

وهكذا اضطربت العاصمة ووقع كل انسان بالخوف والرعب واشتدت الجلبة والاضطراب . فالشكر للطالع السعيد الذى خدم السلطان وللعناية الالهية التي ترعى مصالح الدولة . فانه امكن ان يلحق خبر الواقعة بالصدر الاعظم المقيم في بوغاز ايجي عند الصباح . وكذلك المشار اليه قدر ان يوصل بالاوامر الى اصحاب الحمية امناء السلطان الحقيقي نظير حسين باشا وغيره وقد امر باجتماع مدفعيي البوغاز وسائر العساكر المطيعة في الحال في قصر طوب قبو الهمايوني

فاجتمع عند الصباح في القصر الهمايوني جميع العلماء واركان الدولة والعساكر الطائعة وكذلك لم يلبث السلطان الباسل ان تناول خبر الواقعة حتى ارتمى من قصر ساحل بشكطاش الى احدى القوارب الهمايونية و بلغ القصر الهمايوني مقر شوكة واجلال اجداده العظام متشحًا بسيف الشهامة والعز والوقار

وكانت الهيئة المنتظرة بتعطش الى القدوم السلطاني شعرت بوصوله فهنئته مظهرة الاحترام والمسرة وعرضوا عليه نفوسهم بانهم متهيئون لاول اشارة من لدنه للعمل فاما انهم يتوفقون واما انهم يموتون في هذا السبيل

وكان اصحاب الناموس من الاهالي قد اجتمعوا تحت العلم الشريف

الذي اخرج الى ميدان السلطان احمد منضمين الى العساكر المطيعة وزحفوا راساً الى آت ميدان متهيجين ومتاثرين بالحاسيات والانفعالات النفسانية كالانتقام من العصاة ومحبة الوطن والامانة للسلطان . فكانت قنابل المدافع تقع على تكنات الانكشارية فاخذت في ان تحترق ومن ثم دخل اولئك المتمردون تحت حكم السيف العادل وهكذا بواسطة هذه الواقعة التي كانت في سنة ١٢٤١ هجرية طويت صحيفة وجود الانكشارية من دفاتر الهيئة العسكرية العثمانية

وبناء على هذا التوفيق الذي احرزه السلطان العالي الشان حصر همته وصرف عنايته الى تكثير وتشكيل الجند المنظم في الداخل . وفي الخارج ايضاً اقام الحجة تجاه اوربا على مساعدي اليونان الذين كانوا يوصلون اليهم الامداد على التوالي الا ان هذا التشبث لم يثمر عند الدول واخيراً نظرت اساطيل الدول المتحدة في مياه نافارين فاحرقت الاسطول العثماني وكان من نتيجة ذلك ان اعلن استقلال اليونان (سنة ١٨٢٨) ميلادية

ولما لم يقبل عظمة السلطان محمود بالتصديق على استقلال اليونان وقد وجدت روسيا فيما بين الدول غير ممنونة من مقدمة توفيقنا بشان التجديدات المشروع بها فتحت الحرب علينا وساقت العساكر الى بلادنا من طرفي الاناضول والروم ايلي . الا انه لما كانت الدولة العلية نظراً لالغاء صنف الانكشارية قد اخذت حينئذٍ بتشكيل العساكر المنظمة لم تكن قد حصلت بعد على جيش قوي يقف تجاه هذه الحركة ولذلك زحف الروسيون باكثر سهولة من حروبها السابقة على ادرنه قاطعة الطونه ومجتازة البلقان . وفي الاناضول ايضاً من بعد ان انسحبت من قلعتي آخسخه وقارص جاءت فاستولت على ارضروم وضبطت بايبورد راساً ولاجل هذا الفشل كانت الدولة مجبورة بالطبع الى عقد المصالحة

فترك لروسيا في اوربا بسارابيا وفي اسيا قسم من بلاد كرجستان واضطرت الى التصديق رسمياً على استقلال اليونان

ولم يكن هذا الفشل ليقلل من همة ذلك السلطان العظيم الاعمال او يلحق فتوراً بعزمه بل وقف ذاته لاصلاح امور الادارة واستئناف العناية من جديد الى تعليم الجند وتدريبه . وداوم على الاصلاح وتجديد الترقي وقد اظهر اعظم النفوذ السلطاني وابداء القوة والمقدرة لدى جميع التبعة عند سفره بالذات الى جهات الروم ايلي مقتحماً الموانع التي وقفت في طريق افكاره ومستأصلاً المشاكل الاولية

ومن الغريب ان الموانع التي كانت تقف في سبيل افعال السلطان العالي الشان من جهة اصلاحاته الجندية لم تكن تنقص . ومنها ان محمد علي باشا والي مصر مدّ يده الى سوريا في هذه المرة تحت حجة تسكين الاضطراب واعادة الراحة العامة . وقد احرزت عساكر مصر تحت قيادة ابرهيم باشا الغلبة على عساكر السلطان مرة في عكا ومن ثم في قونيا وبناء على هذا الانتصار عقد الاتفاق مع روسيا لمساعدتنا وكانت بالظاهر تريد حمايتنا واما حقيقة فانها كانت تقصد ابراز القوة والنفوذ لدى التبعة المسيحية

واما السلطان محمود فلم يمكن له ان يهضم بنوع ما شروط المعاهدة التي دعي لقبولها من الوالي . ومن ثم بودر الى تجديد القتال مع المصريين بواسطة الجيوش التي جمعت وسيقت تحت قيادة حافظ باشا . وقد جاءت دورة القتال الثاني بواقعة النزيب . ولما كان قد وقع تاثير عظيم على السلطان السامي الهمة من جراء تلك المسائل السابقة نظير تقهقره لدى الروسيين وانهماكه بالقتال مع المصريين ارتحل الى دار البقاء متالماً من وصول خبر الفشل الذي لحق بالجيوش في واقعة نزيب الى العاصمة وذلك في السنة الثانية والثلاثين من سلطنته

وكانت مدة السلطان محمود الاخيرة محفوفة بالجد والجهد بما لم يصادف وقوع مثله عند اقوام الغرب المتمدنة وهو من سلاطين العائلة العثمانية الممتازين في التاريخ باليد البيضاء

واذا اخذنا بنظر التامل الصعوبة التي جلبت الى الوجود الانقلاب العظيم منذ اكثر من عصر نرى بانها كانت عظيمة ومع ذلك فاننا ننظر ان الاجراءات الفعالة التي كانت في مقدمة توفيق انتسابنا الى المدنية الحاضرة مع استصحابها بالمشكلات السياسية والارتباكات الداخلية الكائنة في عهد سلطنته قد تجسمت وعظمت واخذت المدنية الحاضرة ان تتسع منذ ذلك الحين. ولو لم يكن للسلطان محمود العدلي الا فضيلة افناء الانكشارية لاعترف لسان الحقيقة بانه هيأ واعد كل نوع من اسباب ترقي وانتظام المملكة ملكاً ومعرفةً وادباً وقد تاسست في ايامه المطبوعات المعدودة عندنا من اعظم وسائط توسع وانتشار المدنية الحاضرة

ومما يشعر بوجوب التشكر والاعتبار الآثار المحمودية الموجودة في كل زوايا الروم ايلي المحدودة بنهري الطونه وصافا اللذين هما على الخصوص حدود ممالكنا الطبيعية وقد تشاهد الطغراء الهمايونية تزين باسم السلطان محمود العدلي جميع ابواب القلع والجبخانات والمستشفيات والثكنات العسكرية والجوامع

والحاصل ان السلطان محمود العدلي هو من اشهر سلاطيننا وقد يشعر الميل العمومي الى ذكر اسمه بلسان التوقير والاحترام

وقد دفن في تربة مخصوصة في طريق الديوان

خلاصة

لما بلغ السلطان محمود الثاني الثانية والعشرين جلس على التخت

العثماني ومع ان في بدء سلطنته اراد مصطفى باشا الصدر الاعظم ان يؤسس النظام الجديد لكن لما اعدم من ايدى الانكشارية العصاة بقي تشبثه بغير نتيجة

وقد شغل السلطان محمود الثاني بتربية الوهابين في بلاد العرب محمد علي باشا والي مصر وتوفق الى اعدام تبه دلنلي علي باشا الذي عصى في الارناوط وكذلك في زمانه استقل اهالي الموره الذين عصوا بتشويق ومساعدة اوربا

وفي طليعة اصلاحاته اهلك جماعة الانكشارية وفي الوقت الذى بدأ فيه بتشكيل العساكر المنظمة عملت روسيا على اضعاف الدولة ومن حيث انها دخلت بالقتال ترك لها بموجب معاهدة ادرنه بسارابيا وقسم بلاد الكرج الباقي

ومن بعد هذا ثار محمد علي باشا على الدوله وانسحب الى سوريا وتقدم راسًا الى قونيه وعليه حدثت واقعة نزيب وفي هذا الحين توفي السلطان محمود العدلي الذى وقف وجوده في سبيل احياء الدولة واصلاحها

القسم الثاني

من حين كلخانه خط همايوني الى زماننا

دور حكومة ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان

(من سنة ١٢٥٥ الى سنة ١٢٧٧)

وعندما رنّ خبر وقعة النزيب في الاستانة توفي السلطان محمود العدلي وعليه تربع في دست الخلافة العثمانية بالارث والاستحقاق حضرة السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٥٥

وتبع الجلوس الهمايوني ان ابتدر الى اخذ الاحتياطات اللازمة تجاه العساكر المصرية الّا انه نظرًا للمباينة التي وقعت بين الصدر الاعظم خسرو باشا و بين القبطان احمد باشا فرّ الاخير ملتجئًا الى مصر مستصحبًا معه الاسطول واما العساكر المصرية فقد ازدادت جراءة بعد توفيقها في واقعة النزيب وقد تغيرت صفة المسالة تعرضًا بتقديم خطواتهم الى الامام واخيرًا نتج من ذلك ان تداخلت الدول المعظمة

وتقرر عند الدول المذكورة ان يصدق من قبل الباب العالي على ترك عكا لعهدة محمد علي باشا والي مصر مع شرط انتقال الحكم لاكبر اولاد عائلته وان تخلى مقابلة لذلك جزيرة كريت وولايتي حلب وسورية وغيرها من البلاد المشغولة بالعساكر المصرية واظهروا انهم عند عدم المطاوعة يلتجئون الى المراجعة بقوة السلاح ومن ثم دعوا حاكم مصر الى

اجراء احكام هذا القرار الدولي

وان كانت حكومة فرنسا في بداية هذا الاتفاق الدولي قد قوّت من امال محمد علي باشا الا ان من مقاصد انكلترا السياسية ان تبقى مصر لوحدها . فعمدت الى اسناد سياستها بالقوة . ومع ذلك فقد عمد محمد علي باشا الى استعمال السلاح ضد الباب العالي والدول المتفقة وعليه حاصرت العمارة الانكليزية بيروت وحلقتها بالقنابل واحرقت العمارة المصرية . وبعد ان اتلفت من عساكر البر نحوًا من خمسين الفًا التزم ابرهيم باشا ان ينسحب من جبل لبنان . ومن ثم فضلاً عن وقوع عكا التي هي مخزن مهمات المصريين وقلعة الشام وطرابلس وصيدا بيد الدول المتفقة وضع الاسطول الانكليزي مدينة الاسكندرية تحت التضييق . واخيرًا اجبر محمد علي باشا ان يصغر الى ماقرره الدول الا انه لما كان قد رفض الشروط الاولى التي عرضت عليه التزم حينئذٍ ان يتخلى عن عكا للدولة العلية . وبناء على ذلك عرفت حكومة مصر حكومة ممتازة وعين عليها ان تدفع سنويًا بموجب معاهدة سنة ١٨٤١ ميلادية ٢٠٠ الف كيس وابطل حق حرية سير السفن الروسية في كل من بوغازي البحر الاسود والبحر المتوسط التي استحصلتها بمعاهدتي ادرنة واسكلة خنكار وصار التصديق على اعلان سد البوغازين المذكورين عن جميع سفن الدول الحربية

وبعد ان تسوّت المسئلة المصرية على هذه الصورة قرأ في كلخانه بحضور جميع رجال الدولة الملكية والعسكرية والعلماء وسفراء الدول الاجنبية من قبل الصدر الاعظم رشيد باشا الخط الهمايوني السلطاني بصورة تؤيد وتوضح لدى الاجانب نظام الاصلاحات والانشاءات الجديدة التي كان باشرها ساكن الجنان السلطان محمود الثاني بعد ان استئصل من الوجود هيئة الانكشارية . ومن مآل الخط الهمايوني المذكور

المعروف والمشهور باسم « كلخانه خط همايوني » ان تزال تاثيرات الاحوال السالفة السيئة وان يامن جميع التبعة العثمانية مع عدم الفرق بين المذاهب والاديان على ارواحهم واموالهم وان تصان حقوقهم الشخصية والملكية . (سنة ١٢٥٦)

وبناء على هذا التوفيق الذي ناله السلطان العالي الشان وضع بواسطة اقدام الصدر الاعظم رشيد باشا مآل الخط الهمايوني المذكور تحت الاهتمام والاجراء فاخذ من الطرف الواحد ان يعتني بالمعارف العمومية والاصلاحات الداخلية ومن الطرف الاخر ان يشتغل بالترتيب والتنظيم العسكري . وفي ظرف مدة قليلة بدئ باقتطاف تلك الثمرات النافعة

وفي الزمن الذي كانت فيه الدولة العلية مشغولة بالاصلاحات الداخلية اتسعت دائرة الاختلاف والمباينة التي كانت موجوده منذ القديم فيما بين الروم الارثوذكس واللاتين وعظمت المسئلة كثيرًا (هي التي انتجت اخيرًا حرب القريم) وقد نهضت فرنسا الى طلب الاستفادة بوسيلة هذه المباينة عن الحقوق والامتيازات التي اعطيت بموجب فرمان عالٍ في عصر السلطان احمد الاول وتايد الفرمان المذكور وصار التصديق عليه بعد ذلك من بعض السلاطين العظام وذلك بشان الاماكن المقدسة واخيرًا قبلت فرنسا بتشكيل قومسيون مختلط تعين بموافقة الباب العالي لاجل التدقيق . واما الحكومة الروسية التي كانت تساعد في هذا الامر لترويج اما لها الحريصة عليها فيما يتعلق بالباب العالي فلم تكن ممنونة من القرار الواقع اي الذي قرره المجلس المختلط فبرزت الى الوجود دافعة امامها الروم تبعة الدولة العلية وقد دعت منجيكوف المشهور الى الاستانة ببعض مطالب مهمة . ولما كان الباب العالي مجبورًا الى رد ادعاءاتها بشان حماية التبعة الارثوذكسية التي وجدت فيما بين تلك المطالب منافية لحقوق الاستقلال العثماني والتملك التام انف من الموافقة وعليه ساقت روسيا

عساكرها وادخلتهم الى ايالتي الفلاخ والبغدان الممتازتين على طريق الرهن الى ان تقبل تلك المطالب المذكورة

ولما راى الباب العالي ان العدو قد اجتاز الحدود ونقض العهد اجبر الى استعمال السلاح لاجل المدافعة عن حقوقه الواضحة فاعلن الحرب على الروسية وسيقت الجنود الى جهتي الروم ايلي والاناضول «سنة ١٢٦٩»

وقد احرزت العساكر الشاهانية التي كانت تحت قيادة السردار الاكرم عمر باشا في مخنق الطونه الغلبة الجيدة على العدو في وقائع اولتانتشه وقد اسقطت حكم التصورات الروسية الحربية من الاتحاد مع الرومانيين متحدرة من ودين الى صوفيا و بناء على اخذ قلعة سلستره تحت المحاصرة واجبار العدو على تحويل حركته ٠ والمدافعة العجيبة عن القلعة المذكورة المعدودة من اعظم مفاخر جيشنا التاريخية قد استلفتت انظار العالم ٠ ومع ان الروسيين كانوا يتقدمون في جهة الاناضول لم يكن ذلك معدودا من جملة الانتصارات الكافية

وفي الوقت الذي كانت الحركات الجندية دائمة في جهتي الروم ايلي والاناضول توفق رجال سياستنا الى استجلاب انكلترا وفرنسا على قتال عدونا متاثرتين من معاملاته لنا العارية من الحق ٠ وحينئذ فاجئت السفن الروسية سفننا بغتة في سينوب فاحرقتها عن اخرها فاحتدمت من ذلك الدول احتداما عظيما نتج عنه مداخلاتهم الفعلية فادخلوا اساطيلهم الى البحر الاسود وعساكرهم ايضا خرجت الى كليبولي وسيقت الى القريم بطريق البحر الاسود واخيرا دخلت مملكة سردينيا بتشويق الامبراطور نابوليون الثالث الى الانتظام في سلك الاتفاق الاوربي على روسيا وكذلك حملت اوستريا السلاح ودخلت ميدان القتال مع انها كانت الى ذلك الوقت على الحيادة

هذا واننا لانقدر ان نصف مقدار البسالة والشجاعة التي قام بها

عساكر الدول المتفقة في حروب وحصار ملكوف وسيبستبول . وكذلك الروسيون ايضاً مع ثباتهم ومقاومتهم وعنادهم لم يقدروا ان يضبطوا ذواتهم من التقهقر امام اخصامهم . واما العساكر العثمانية في هذه الحرب التي دامت سنينا والمدافعة التي قامت بها في القارص والضحايا التي بذلتها هناك حرية بالذكر والثناء . واخيراً وقعت سبستبول في يد انتصار الدول المتفقة . واذ ذاك توفي الامبراطور نقولا امبراطور روسيا فخلفه الامبراطور اسكندر الثاني وهذا اذ كان قد اظهر ميله ورغبته في قبول الصلح عقدت شروطه في المعاهدة العمومية في باريس وصار التوقيع عليها . (سنة ١٢٧٣)

وفي المعاهدة المذكورة ان تعاد قلعة القارص التي استولى عليها الروسيون الى الدولة العلية ومقابلة لذلك تعاد القريم لروسيا وان يقفل البحر الاسود عن سير السفن الروسية وقد اخذت ملكية الدولة العلية واستقلالها تحت كفالة الدول الموقعة على العهدة وعدا عن ذلك فقد انضمت حكومتا الفلاح والبغدان الى واحدة تحت اسم رومانيا والحق بها بسارابيا الماخوذة من روسيا . واعطيت اي رومانيا استقلالاً اداريًا وكذلك الصرب كانت قد منحت الاستقلال الاداري

وبعد ان انقضت حرب القريم على هذه الصورة عادت الدولة العلية الى السير في طريق الاصلاحات التي كانت عاملة عليها اولاً الا ان الحكومة الروسية التي لم تقدر ان تجني في هذه المرة ثمرات الحرب اتخذت اساساً لسياستها اغواء وتحريك التبعة العثمانية المسيحية فكان من نتائج ذلك ان غارات الاشقياء الذين دخلوا الهرسك من الجبل الاسود ويانيه من بلاد اليونان اخلت براحة المملكة العثمانية العمومية

وان كان قد انضم الارناوءط الى العساكر الشاهانية عارضين خدمتهم للدولة متبوعتهم وسيقوا لتاديب الاشقياء الا ان مناعة الجبل الاسود الطبيعية جعلت من الصعب اجراء تاديب سكانه

ومع هذه الموانع كانت الدولة تجتهد بان لا تتوقف عن ابراز مساعيها في مداوءة الاصلاحات . وظهور الفتنة في جهات سوريا ايضاً في اواخر حكومة المرحوم السلطان عبد المجيد جعلت الباب العالي في نظر الدول مسئولاً بها

على انه كان لما اخلت العساكر المصرية حلباً وسوريا ظهر الاختلاف والبغضاء فيما بين المسيحيين وغيرهم من سكان جبل لبنان وذلك ناتج عن مسابقة كل من دولتي انكلترا وفرنسا في مضمار السياسة والغايات في الجبل المذكور . وان كانت قد طفئت الفتنة بسوق العساكر الى هناك في اوائل حكومة السلطان وبالقيام ببعض اصلاحات ملكية الا انه بتحريك المفسدين ودسائسهم تجددت تلك الفتنة في اواخر حكومة السلطان وكان من النتائج اخيراً ان انتشب القتال فيما بين الاهالي

وحينئذٍ اخذ نابوليون الثالث امبراطور فرنسا هذه المسالة بعين الاهمية زيادة عن اللازم فساق فرقة من الجند الفرنسوي الى سوريا بدعوى تسكين الاضطراب . ومن ثم تعين فواد باشا من قبل الباب العالي للنظر في تسكين الخواطر واخيراً قدر ان يتوفق الى اخماد الفتن بتقديم الضحايا نظير اعدام المشير احمد باشا وغيره

ولم يمض الا القليل من هذه الحادثة حتى انتقل الى الجنان والد الرعية الحنون السلطان عبد المجيد الغازي وهو لا يزال في الاربعين من العمر . فتاثر جميع الرعايا الماخوذين بحلمه العجيب وادميت قلوبهم حزناً

وكان المغفور له مشهوراً بالرقة والحلم وكرامة الاخلاق ولم يكن لطفه وكرمه منحصرين بالتبعة المنتسبة اليه فقط بل كان شاملاً الاجانب ايضاً وكان الاوربيون الذين يزورون مملكتنا في عهد سلطنته ويتشرفون بالاعتاب الشاهانية يرجعون شاكرين من تنازله متحيرين من سجاياه الحميدة ومكارمه العجيبة . وقد صرف ميئات الوف من الذهب على التعمير والترميم

عساكر الدول المتفقة في حروب وحصار ملكوف وسيبستبول . وكذلك الروسيون ايضاً مع ثباتهم ومقاومتهم وعنادهم لم يقدروا ان يضبطوا ذواتهم من التقهقر امام اخصامهم . واما العساكر العثمانية في هذه الحرب التي دامت سنيناً والمدافعة التي قامت بها في القارص والضحايا التي بذلتها هناك حرية بالذكر والثناء . واخيراً اوقعت سبستبول في يد انتصار الدول المتفقة . واذ ذاك توفي الامبراطور نقولا امبراطور روسيا فخلفه الامبراطور اسكندر الثاني وهذا اذ كان قد اظهر ميله ورغبته في قبول الصلح عقدت شروطه في المعاهدة العمومية في باريس وصار التوقيع عليها . (سنة ١٢٧٣)

وفي المعاهدة المذكورة ان تعاد قلعة القارص التي استولى عليها الروسيون الى الدولة العلية ومقابلة لذلك تعاد القريم لروسيا وان يقفل البحر الاسود عن سير السفن الروسية وقد اخذت ملكية الدولة العلية واستقلالها تحت كفالة الدول الموقعة على العهدة وعدا عن ذلك فقد انضمت حكومتا الفلاح والبغدان الى واحدة تحت اسم رومانيا والحق بها بسارابيا الماخوذة من روسيا . واعطيت اي رومانيا استقلالاً اداريًا وكذلك الصرب كانت قد منحت الاستقلال الاداري

و بعد ان انقضت حرب القريم على هذه الصورة عادت الدولة العلية الى السير في طريق الاصلاحات التي كانت عاملة عليها اولاً الا ان الحكومة الروسية التي لم تقدر ان تجني في هذه المرة ثمرات الحرب اتخذت اساساً لسياستها اغواء وتحريك التبعة العثمانية المسيحية فكان من نتائج ذلك ان غارات الاشقياء الذين دخلوا الهرسك من الجبل الاسود و يانيه من بلاد اليونان اخلت براحة المملكة العثمانية العمومية

وان كان قد انضم الارناؤط الى العساكر الشاهانية عارضين خدمتهم للدولة متبوعتهم وسيقوا لتاديب الاشقياء الا ان مناعة الجبل الاسود الطبيعية جعلت من الصعب اجراء تاديب سكانه

ومع هذه الموانع كانت الدولة تجتهد بان لا تتوقف عن ابراز مساعيها في مداومة الاصلاحات . وظهور الفتنة في جهات سوريا ايضاً في اواخر حكومة المرحوم السلطان عبد المجيد جعلت الباب العالي في نظر الدول مسئولاً بها

على انه كان لما اخلت العساكر المصرية حلباً وسوريا ظهر الاختلاف والبغضاء فيما بين المسيحيين وغيرهم من سكان جبل لبنان وذلك ناتج عن مسابقة كل من دولتي انكلترا وفرنسا في مضمار السياسة والغايات في الجبل المذكور . وان كانت قد طفئت الفتنة بسوق العساكر الى هناك في اوائل حكومة السلطان وبالقيام ببعض اصلاحات ملكية الا انه بتحريك المفسدين ودسائسهم تجددت تلك الفتنة في اواخر حكومة السلطان وكان من النتائج اخيرًا ان انتشب القتال فيما بين الاهالي

وحينئذٍ اخذ نابوليون الثالث امبراطور فرنسا هذه المسالة بعين الاهمية زيادة عن اللازم فساق فرقة من الجند الفرنسوي الى سوريا بدعوى تسكين الاضطراب . ومن ثم تعين فواد باشا من قبل الباب العالي للنظر في تسكين الخواطر واخيرًا قدر ان يتوفق الى اخماد الفتن بتقديم الضحايا نظير اعدام المشير احمد باشا وغيره

ولم يمض الا القليل من هذه الحادثة حتى انتقل الى الجنان والد الرعية الحنون السلطان عبد المجيد الغازي وهو لا يزال في الاربعين من العمر . فتاثر جميع الرعايا الماخوذين بحلمه العجيب وادميت قلوبهم حزنًا

وكان المغفور له مشهورًا بالرقة والحلم وكرامة الاخلاق ولم يكن لطفه وكرمه منحصرين بالتبعة المنتسبة اليه فقط بل كان شاملاً الاجانب ايضاً وكان الاوربيون الذين يزورون مملكتنا في عهد سلطنته و يتشرفون بالاعتاب الشاهانية يرجعون شاكرين من تنازله متحيرين من سجاياه الحميدة ومكارمه العجيبة . وقد صرف ميئات الوف من الذهب على التعمير والترميم

والانشاء على طرز جديد في المدينة المنورة وذلك من دلائل حبه الخصوصي للدين · ومن البرهان الجلي الواضح على وحدانية تقواه انه جعل القوم يفتحون باسم (باب التوسل) الباب الذي اسس في اثناء البناء مظهراً الموافقة باجراء الفتح تحت اسمه العالي

ودفن في تربة مخصوصة بجوار جامع السلطان سليم الشريف القديم

خلاصة

قررت الدول المتفقة منذ بدء سلطنة ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ان تعطي حكومة مصر مرتباً سنوياً للدولة وقررت ايضاً ان تصير مصر ولاية ممتازة واخليت سوريا وحلب وكريت من العساكر المصرية

ونشر الفرمان العالي الشان المشهور باسم « كلخانه خط همايوني» لاجل ائتلاف عموم التبعة العثمانية مع عدم التفريق بين المذاهب والاستئمان على حقوقهم الشخصية والملكية

وظهرت محاربة القريم مع روسيا · وصار الاستيلاء على سبستبول بسوق الجند والاساطيل الى القريم وقد اتفقت الدولة العلية مع كل من انكلترا وفرنسا وفي هذه الحرب كانت بسالة وشجاعة العساكر العثمانية في حصار القريم من قبيل الحكايات الغريبة

ومن بعد الحرب عقدت فيما بين الدول معاهدة باريس المشهورة « سنة ١٨٥٦ » ميلادية وبناء على الفتنة - التي وقعت في سوريا ربح جبل لبنان نظام الادارة الاختيارية

***

ومن حين انتقال المغفور له الى سنة ١٢٩٣ وقعت حوادث وتغييرات مشهورة تعد من اعمال ايامنا ولما لم تدخل في اسطر تاريخنا هذه الوقائع اكتفيا بان جعلنا الختام الى حد ما تقدم. ولكن لما كانت محامد عظمة مولانا الخليفة الحالي ومآثره الحميدة ومكارمه الحلمية قد عمت البحرين والبرين راينا من اللازم تزيين الكتاب بالجملة الاتية

حضرة السلطان عبد الحميد الثاني الغازي

وفي ١١ شعبان المبارك من سنة ١٢٩٣ (هو مصادف ليوم ١٩ آب (اوغسطوس) من تلك السنة وقد تجدد الخلق اجمع شعار الشكر والافتخار في كل سنة في مثل ذلك اليوم المانوس) جلس حضرة سلطاننا الاعظم صاحب الشوكة والاقتدار السلطان ابن السلطان السلطان

عبد الحميد خان الغازي

بالابهة والاجلال واليمن والاقبال على عرش اجداده العظام وبعد مرور كم يوم من ذلك اليوم الذي تمت فيه سعادة الامة وعيدها الاكبر تقلد عظمته السيف في ابي ايوب الانصاري على النمط القديم بالصورة الرسمية ومن هناك سار الى قصر

طوب قبو الهمايوني مقر شوكة واجلال العائلة العثمانية الباذخة الشرف والفخار وكان مئات الوف من التبعة السلطانية ينتظرون باحساسات الوقار واعين الاشتياق شرف قدوم متبوعهم الاعظم

ولما استلم حضرة مولانا الاعظم صاحب الشوكة والمرحمة ازمة امور الخلافة كانت احوال الممالك الشاهانية الداخلية والخارجية في حالة اضطراب واخيراً معها انتجته حرب روسيا من المشاكل بقي في القوة ما يكفل احياء الدولة وراحة ورفاهية الرعية واعالتهم بيمين العناية الخيرية المقاصد

ومن بعد اندفاع غائلة الحرب الروسية مالت الذات الشاهانية بحصر اقدامها وعواطفها الى ترقي احوال الممالك المحروسة

والشاهد على منافع عواطف السلطان الجليلة الكمال العلمي والعسكري وغيره من الاعمال النافعة التي اكتسبتها الامة بوقتٍ قريب ٠ مثل تجديد هيئات البوليس والجندرمة لصيانة راحة العباد وتأسيس المحاكم النظامية في كل مكان وتنسيق وتقسيم الولايات واصلاحها ٠ ومثل انشاء الابنية العديدة العالية وفتح الطرقات العظيمة ومد الخطوط الحديدية في الاماكن التي لم تلمسها يدٌ منذ الاعصار السالفة ٠ والاصلاحات العدلية والملكية ٠ ومثل انشاء المكاتب الخصوصية الكثيرة وتاسيس

الكليات العالية وافراغ اصول تدريس المكاتب الابتدائية في قالب جديد مفيد. ومثل توسع وازدياد اصول تحصيل المدارس العسكرية وتنظيم الجند على الخطة الجديدة وترقي المعارف الى درجة عليا وغير ذلك من المآثر الحميدية المشهورة عيانًا

والحاصل ان الذات الشاهانية المالكة الان هي مورد فيض وحياة الملة الاسلامية وسبب نجاح وفلاح الامة العثمانية واخلاقهُ الحميدة المفطور عليها والمتخلق بها عنوان افتخار العائلة العالية الشان

فاليك اللهمَّ نرفع اكف الضراعة ان تحفظ باليمن والاقبال والسعادة والاجلال خليفتنا الاعظم ينبوع العدل والشفقة ومصدر المراحم والخيرات وان تصون حياته المقدَّسة بيمينك القوية القادرة وان تعزز شوكته بالنصر المبين الى الابد آمين والف الف آمين وآمين

انتهى

فهرس تاريخ ملوك المسلمين

وجه

طوائف الملوك

وجه